مصر وذرية محمد (ص)
والصحابة والأولياء

دراسة تحقيقية وميدانية عن الأضرحة والمقامات

مصر وذرية محمد (ص)

والصحابة والأولياء

دراسة تحقيقية وميدانية عن الأضرحة والمقامات

إعداد وتأليف

الدكتور

أحمد محمد قيس

الإهداء

إلى النبيّ الأعظم (ص)

وإلى آل بيته الطيبين الطاهرين (ع)

وإلى أصحابه الأخيار المنتجبين(رض)

وإلى المسلمين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها

وإلى طلاب المعرفة والعلم والثقافة

أهدي هذا العمل راجياً من المولى عزّ وجلّ القبول

المؤلف

قبل البداية

لا بد من الإشارة الى مسألتين أساسيتين قبل الشروع بقراءة هذا الكتاب:

الأولى: تعمدنا ترتيب وتبويب هذه المقالات انسجاماً مع عنوان الكتاب (مصر وذرية محمد (ص) والصحابة والأولياء)، بحيث أننا شرعنا باستعراض مقالة خاصة عن مصر ومن بعدها المقالات الخاصة بآل البيت، ثمّ المقالات الخاصة بالصحابة، ومن بعدها المقالات الخاصة بالأولياء. وهذا الترتيب من ضروريات العمل العلمي الأكاديمي، حتى يتطابق العنوان مع المعنون.

الثانية: اعتمدنا في الكتابة إسلوب السرد التاريخي بنكهة أدبية، لذلك لم نذكر المصادر في سياق الكلام إلا ما اضطررنا إليه ودعت له الحاجة الملحة، وأخّرنا ذكر المراجع والمصادر إلى نهاية كل مقالة، بحيث يمكن للمراجع العودة إليها للتوسع إذا أراد ذلك.

بالإضافة الى أننا أردفنا جملة من الصور الفوتوغرافية في نهاية كل مقالة، حتى يستأنس القارئ بعد المطالعة بالمشاهدة، وهذا ما يحثّ القارئ على الإستزادة بشكل أنيس وجديد.

مع الرجاء من الباري ﷻ أن تعم الفائدة العلمية الجميع

باسمه تعالى

مصر وكنوزها الحضارية والإنسانية

إن الحديث عن مصر لا ينفكّ عن الحديث بالتاريخ، فمصر والتاريخ مترادفان بحيث لو تحدثت عن مصر فإنك سوف تبحر وتغوص في غمار التاريخ، وإن اشتغلت بالتاريخ فستمر حكماً بمصر.

فهذه الميزة الخاصة لمصر جعلت منها موضع اهتمام الباحثين في التراث الإنساني، وموقع تقاطع للحضارات العريقة عبر التاريخ الطويل والمجيد.

كما أنها شكّلت عبر التاريخ الملاذ الآمن والحِضن الدافئ لأبنائها والقاطنين فيها، والمهاجرين إليها. لذا استحقت وبجدارة أن تسمى «**أم الدنيا**».

وكلمة (**الأم**) باللغة تطلق على معان متعددة منها على سبيل المثال: المكان الذي يجتمع فيه الناس من كل ناحية: كما في تسمية مكة المكرمة بأم القرى، وقد ورد هذا المعنى في سورة الأنعام الآية 92، والشورى الآية 7 والقصص الآية 59، وتطلق أيضاً على أعلى مقدمة الرأس والتي تعرف (بالناصية)، كما في قوله تعالى في سورة القارعة الآية 9: ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

وتطلق أيضاً على المرأة (الوالدة) التي لديها ولد أو أولاد، كما

في قوله تعالى في سورة القصص الآية 7: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ . . .﴾ وغيرها من الآيات المباركات، وتطلق أيضاً على المقدّم بين الناس، كما في قوله تعالى في سورة الإسراء الآية 71: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ . . .﴾ وغيرها من الآيات وذلك على اعتبار أن كلمة الإمام مشتقة من (أمّ) أي تقدم.

ويوجد أيضاً معان أخرى لكلمة (الأم) لا سبيل لإستعراضها كلها في هذه العجالة، ويكفينا ما مرّ معنا للدلالة على المطلوب، وهو أن مصر قد حازت على معظم المعاني التي تقدم الحديث عنها بشكل من الأشكال. وهذه بعض الشواهد والأمثلة على ذلك:

ففي الجانب الحضاري عرفت مصر أعرق الحضارات البشرية والمتمثلة بالحضارة الفرعونية والتي استمرت ردحاً طويلاً من الزمن، ولم تزل تلقي بظلالها على كافة الحضارات المعاصرة بخلاف العديد من الحضارات الغابرة، والتي انطمست معالمها ولم تعد موجودة أو مذكورة إلّا في أمّهات الكتب التاريخية. وقد كانت نشأة هذه الحضارة الفرعونية سابقة للعديد من الحضارات، كما أنها تزامنت مع غيرها، إلّا أنها استمرت هي بشواهدها وآثارها في حين ضاعت معظم معالم الحضارات الأخرى.

وفي زمن الحضارة الفرعونية كان العالم بحدوده القديمة والمعروفة يتألف من مجموعة حضارات تتوزع في أرجاء الأرض. حيث أن الحضارة الصينية كانت منتشرة في الشرق الأقصى والى جوارها كانت الهند بحضارتها القديمة، والى الشمال الشرقي منها كانت الحضارة

الفارسية العريقة، والى الغرب البعيد عنها نشأت الحضارة الرومانية على أنقاض الحضارة اليونانية.

أما الحضارة الفرعونية فقد كانت منتشرة على أرجاء القارة الإفريقية بالإضافة إلى جزء كبير من القارة الآسيوية.

والمعروف لدى المشتغلين بالتاريخ أن هذه الحضارات انحصرت بين ثلاث منها: الفرعونية، والفارسية، والرومانية.

وبقيت باقي المناطق عرضة للتجاذب والصراعات بين هذه الحضارات الثلاث، وشكّلت الحضارة الفرعونية الركن الأساس بين هذه الحضارات، تليها الحضارة الفارسية لجهة الأهمية، وأخيراً الحضارة الرومانية، والتي بسطت نفوذها لفترة من الزمن على بعض المناطق الخاضعة للفراعنة لا سيما الإسكندرية والتي حملت اسم الإسكندر المقدوني.

والذي ميّز الحضارة الفرعونية عن غيرها، أنها امتدت على مساحة واسعة جداً من الأرض، والتي كانت بمجملها تُشكّل مناطق أساسية ومركزية في حركة التجارة والتنقل بين أبناء ذاك الزمان. وبالإضافة إلى أنها كانت منتشرة في مناطق حيوية وعلى أراض خصبة زراعية وغنية بالموارد المائية وغيرها. هذا بالإضافة إلى بعدها النسبي عن مناطق الحضارة الفارسية والرومانية، والتي كانت الصراعات في ما بينها على أشدّها معظم الأوقات. فهذه البيئة الإيجابية المتنوعة ساهمت إلى حدٍ كبير بنموّ هذه الحضارة وترسّخها.

أما باقي المناطق كبلاد ما بين النهرين فقد كانت تشهد تقلبات

متعددة من الحضارة السومرية إلى البابلية والآشورية، ولم تشهد هذه المناطق نوعاً من الاستقرار إلّا في زمن الحضارة الإسلامية.

وأما شبه الجزيرة العربية فإنها كانت تعيش حالة القبائلية المتنازعة ولم يكن يجمعها آنذاك وحدة مركزية يصح إطلاق تسمية حضارة عليها. بل على العكس من ذلك فإن العرب لم تتشكل الحضارة لديهم إلا بعد الإسلام. فالإسلام هو المُنشئ للحضارة العربية ولم ينتشر في ظل حضارة قائمة ذات معالم واضحة تجمعها مركزية ومفاهيم موحدة. ناهيك عن أن معظم هذه الحضارات بما فيها الديانات السماوية الثلاث، كانت متأخرة عن زمن الحضارة الفرعونية.

والشواهد والآثار التاريخية خير دليل على هذا.

وبناءً على ما تقدم تكون الحضارة الفرعونية بحسب هذا السياق التاريخي متقدمة على الجميع، وتعتبر بحسب ما وصل إلينا هي أم الحضارات. والاكتشافات الأثرية التي يماط عنها اللثام يوماً بعد يوم ولتاريخنا هذا يؤكد على عمق هذا المعنى وصحته.

والحضارة بمفهومها العام هي عبارة عن مجموعة من المبادئ والقيم والعلوم والإنجازات التي حازتها مجموعة بشرية في رقعة جغرافية محددة ولمدة زمنية معينة.

وهذا ما يمكن تلمّسه في الحضارة الفرعونية القديمة بوضوح شديد، كما في الهندسة المعمارية، والأهرامات شواهد على هذا المستوى الهائل والمتقدم حيث لم يستطع العلماء في وقتنا الراهن من فهم ألغاز وأسرار هذه العمارة الهندسية، مع ما وصلوا إليه من تسخير

للتقنيات الحديثة المتنوعة. وفي الطب ما زالت أسرار التحنيط وحفظ الجثامين لغزاً يحيّر الأطباء والعلماء ليومنا هذا بالإضافة إلى علم الفلك الدقيق والرياضيات والزراعة وما شاكل ذلك، وفق إدارة مركزية متماسكة تتحرك وفق منظومة مبدئية تعتمد الترابط بشكل هرمي يترأسه الفرعون بما يمثل من صفة معنوية لأبناء هذه الحضارة.

ومن المعروف أن الحضارة الفرعونية والفراعنة آمنوا بالحياة الأخرى بعد الموت وجدارية المحكمة المنقوشة داخل أحد الأهرمات تشرح هذا المعنى بشكل جليّ.

وبحسب التعريف السابق لمفهوم الحضارة، نجد أن كافة عناصرها كانت متوافرة عند الفراعنة لذا صحّ نعتها بالحضارة الفرعونية العريقة.

ومنذ الأيام الأولى للإسلام برز اسم مصر في الوجدان الإسلامي، وذلك بعدما تزوج النبي ﷺ من مارية القبطية والمشهورة بإم إبراهيم أم المؤمنين رضوان الله عليها، ومن خلال وصيته ﷺ للمسلمين بالعناية بأهل مصر - وستمر معنا لاحقاً في السياق -، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب فتحت مصر وعلى أغلب الروايات صلحاً، وبعد ذلك انتشر الإسلام بربوع مصر بشكل سلس. وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان ثار أهل مصر على والي الخليفة لشدّته عليهم وتوجهوا إلى المدينة لشكاية هذا الوالي عند الخليفة.

وفي عهد الإمام علي عليه السلام عُيّن على مصر ولاة ثلاثة: سعد بن عبادة، ومحمد بن أبي بكر، ومالك الأشتر رضي الله عنه. بعدها تسلط عليها عمر بن العاص قبل أن تنتقل إلى السلطة الأموية المروانية، ومن بعدها

العباسية، والطولونية، والإخشيدية، وصولاً إلى القائد جوهر ممثل الدولة الفاطمية، ومن بعده الدولة الأيوبية، والمماليك، وبعدها الدولة العثمانية والتي استقل بها محمد علي باشا ليؤسس الأسرة العلوية، وَيُنشئ فيها نهضة عمرانية وصناعية وزراعية، حتّى لقّب بباني مصر ومنشئ نهضتها. وسنتكلم عن هذا الموضوع بشيء من التفصيل في مقالة (محمد علي باشا).

وقبل ذلك غزاها نابليون، ومن بعده جاء الاستعمار البريطاني، في ظل الحكم الملكي الذي انتهى بما يعرف بثورة الضباط، والذين أسسوا نظاماً قائماً على الفكر القومي العربي الاشتراكي، وصولاً إلى عهد الرئيس أنور السادات الذي تحوّل النظام بعهده إلى نظام ديموقراطي برلماني واستمر كذلك حتى يومنا هذا.

هذا في الجانب التاريخي بشكل عام ومختصر، أما في الجانب الإنساني فإن رجالات مصر أغنوا العالم بالفكر والثقافة في كافة الميادين، ولا يمكننا إحصاء أسمائهم في هذه المقالة ولكن يكفي الإشارة إلى البعض منهم على سبيل المثال لا الحصر، كإبن الشاطر (الفلكي)، وابن الهيثم الذي كان أول من اشتغل بفيزياء الضوء، والدميري صاحب كتاب (حياة الحيوان)، ومحمد عبده، وطه حسين، وذا النون المصري، وغيرهم الكثير بالإضافة إلى العديد من العلماء الذين ولدوا خارج مصر وهاجروا إليها واستوطنوها وبرزوا فيها، منهم على سبيل المثال: الإمام الشافعي، ومحمد الزبيدي صاحب قاموس تاج العروس، وجمال الدين الأفغاني، وابن الفارض، ومحمد المرسي

أبو العباس وغيرهم الكثير. ومن المعاصرين أمثال: الدكتور علي باشا مبارك، والدكتور أحمد زويل، والمهندس حسن فتحي، والدكتورة سعاد ماهر محمد، والدكتورة سميرة موسى وغيرهم الكثير أيضاً.

أمّا لجهة أن مصر (**أمّ الدنيا**)، فإنه لطالما شكّلت مصر مكاناً وواحة اجتماع والتقاء للعالمين العربي والإسلامي ليومنا هذا، بغض النظر عن بعض النزاعات السياسية التي تطرأ من حين إلى آخر بشكل إستثنائي ولاعتبارات خاصة مرحلية، لذا فإنه عند مراجعتنا للواقع العربي والإسلامي نجد أن معظم هذه الدول تشعر بحالة من اليتم نتيجة ابتعادهم أو ابتعاد مصر عنهم.

وبتراجع دور الأزهر الشريف الذي كان يشكّل الركن الوثيق للمؤسسة الإسلامية العالمية، والتي لطالما جسّدت الروح الإسلامية الجامعة لأبناء الدين الإسلامي الحنيف، برزت العديد من التيارات والجهات، التي لا تفقه من الإسلام المحمدي الأصيل شيئاً.

لهذه الأسباب وغيرها ندعو المولى ﷻ أن تعود هذه الأم إلى أبنائها، وأن يعود هؤلاء الأبناء إلى حضنها الدافئ.

ويكفي مصر فخراً أن الله ﷻ ذكرها في كتبه السماوية التي أنزلها على أنبيائه، كذلك قول العلماء عنها والذي سطّروه في مصنّفاتهم العريقة، منها على سبيل المثال ما قاله: جاسم عثمان مرغي في كتابه (الشيعة في مصر):

أيّـهـا الـمـصـوّر، صـوّر مصر بالمنظر الأنيق الخليق
أنّ مصراً رواية الدهر، فاقرأ عبرة الدهر في الكتاب العتيق

وأيضاً ما نقله عبد المعطي المنوفي في كتابه (لطائف أخبار الأول) عن بعض الحكماء حول نيل مصر:

كـأنّ الـنـيـل ذو عـقـلٍ ولُـبٍّ لـمـا يـبـدو لـعـيـن الـنـاس مـنـه
فـيـأتـي حـيـن حـاجـتـهـم إلـيـه ويـمـضـي حـيـن يـسـتـغـنـون عـنـه

وأورد ابن الزيات في كتابه (الكواكب السيارة) عن ابن الكندي سبب تسمية مصر، فقال: أن سبب تسميتها مصر لأن أوّل من سكن بها مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام، وهو ابو القبط بعد أن أغرق الله قومه، وأوّل مدينة عمرت بمصر (منف)، فسكنها ثلاثون نفراُ من ولد نوح عليه السلام، وكان أكبرهم مصر، ومنف بالقبطية (ماف) وتفسيرها ثلاثون، وكانت إقامتهم قبل ذلك بسفح المقطم ونقروا هنالك بيوتاً كثيرة.

وكان نوح عليه السلام قد دعا لولده مصر أن يسكنه الله الأرض الطيبة المباركة، التي هي أمّ البلاد، وغوث العباد، ونهرها أفضل الأنهار، ويجعل الله فيها أفضل البركات، ويسخّر الله لها جميع أهل الأرض. فسأله ولده مصر عنها فأخبره نوح عليه السلام بها ووصفها له، وكان مصر بن بيصر بن حام ابن نوح عليه السلام قد كبر سنّه، وضعف أمره، فحمله ولده مع جميع إخوته إلى تلك المنطقة، فسكنوها وبذلك سمّيت على اسم ابن نوح عليه السلام مصر.

وبالمناسبة، فلقد أهدانا الأديب والشاعر اللبناني الدكتور عبد الحافظ شمص قصيدة حول مصر وزيارتنا لها.

ومما جاء فيها :

مصر العزيزة

مِصرُ العزيزةُ في الوجود هي للحياة والخلودْ
تعلو فَتلثمُ جيدَها الجوزاءُ في الفلكِ البعيد
وتُصافح القمرَ المنيرَ، ونيلها الحُلم المجيد
يحكي هناءَ الشعب في أرض الكِنانةِ من جديد
فيها مقامُ حُسينِنا والزينب العُمرِ المديد
فيها مقامُ الأولياءِ القانتينَ بلا حدود
ألمؤمنون العابدون وخيرِ نُسَّاك العُهود
ذرُيةِ الحسنِ الأمينِ المُجتبى، العقدِ الفريد
والصالحاتِ الطاهراتِ وعترةِ السبطِ الشهيد . .
مصرُ العزيزةُ قِبلةِ الأحرار والشعب الرشيد
هي جنةُ الكَونِ الفسيح، منارةُ الشرق السعيد
هي مَنهلٌ للحبِ والإيمانِ والرأي السديد
من نيلها شربَ الأنامُ وأزهرت فيها الورود
والنيلُ يزخّرُ باللآلئِ، بلسمُ الجُرح العنيد . .
حُكّامها، عُلماؤها ومِن الوليدِ إلى الحفيد
هُم علّموا الدُنيا الحضارةَ والأمانةَ والصُمود

رسموا خطوطَ سلامها واللهُ بالنُعمى يجود. . .
أهرامُها، تاريخُها والمجدُ يُبعثُ من جديد
يا زائر الأرضِ التي قد زانَها الذِكرُ الحميد
بَسْمِل وكَبِّر واحتسِب واستذكر المجدَ التليد
«قيس» أديبٌ ألمعيّ زارها، لقي الرُّدود
بنتاجه العلميِّ والأدبيِّ والدُرِ النضيد
قد حقق الأحلامَ، والعُلماءُ في أرض الجدود. .
قَدَّروا مكانةَ عِلمه، أثنوا عليه بما يُريد. . .
عرف الأنامُ بِمصرَ ما قد كانَ في كل العهود
في مِصرَ قِمّة مجدِنا وبكلّ يوم فَجرُ عيد
يسمو فتُزهِرُ سيرتي، والقلبُ يختار المزيد
مِصرُ العزيزةُ قِبلتي وعن الحقيقة لا أحيد
ستظلُ قاهرةُ المعزِّ محجة العيشِ الرَغيد. . .

وبعد كل ما تقدم، ألا يكفي مصر فخراً أنها أرض الأنبياء والصحابة والأولياء؟ ألا يكفيها عزاً أنها كانت مهد أعرق الحضارات الإنسانية؟ ألا يكفيها شموخاً أنها تحتضن في ترابها أضرحة الأنبياء والصحابة والأولياء والقديسين والشهداء والعظماء؟

ألا يجعل كل ذلك منها أرضاً طيبة مباركة وغنية بالكنوز الإيمانية والثقافية والحضارية والعمرانية؟

والجواب هو: نعم وألف نعم.

حفظ الله مصر وأهلها من عاديات الزمان، وزادها عزاً وكرامةً وشموخاً، فلله درّها ودرّ أهلها الطيبين، المؤمنين بالله وبأنبيائه وأوليائه المقدّسين، لا سيّما محمد بن عبد الله ﷺ وآل بيته الطاهرين وأصحابه الأخيار المنتجبين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1 – صورة للدكتور أحمد قيس إلى جوار جدارية منحوتة على حائط مسجد الإمام الحسين عليه السلام

2 – صورة للدكتور قيس ويبدو من خلفه النيل وبرج القاهرة المشهور

3 – صورة للدكتور أحمد قيس في منطقة الأهرامات

محمد ابن الحنفية

لطالما شكّلت مصر منذ بزوغ الفجر الإسلامي عليها وجهة ومقصداً لآل البيت عليهم السلام، والسبب من وراء ذلك - وبحسب التتبع التاريخي - هو ذلك الحبّ والود من المصريين لآل بيت النبوة صلى الله عليه وآله وسلم، وحب آل البيت وذراريهم الأشراف لمصر عبر الأزمنة والمراحل المتعاقبة، وكانت تشكّل بالنسبة إليهم واحة أمن وأمان وحبّ، وبيئة حاضنة تُقدّر وتعظّم شأنهم على مرّ الأيام حتى يومنا هذا.

ومن هؤلاء الطيبين أبناء الذرية الطاهرة، محمد ابن الحنفية رضوان الله عليه.

فمن هو محمد بن الحنفية؟

هو محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنيته أبو القاسم، وكان ولا يزال يُعرف بابن الحنفية نسبة إلى أمّه خولة بنت جعفر بن قيس من قبيلة بني حنيف. وقد تزوج الإمام علي عليه السلام من السيدة خولة وذلك بعد وفاة سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، وأنجب منها محمد الذي عُرِفَ لاحقاً بابن الحنفية نسبة لوالدته، وتمييزاً له عن شقيقه محمد الأصغر المكنّى بأبي بكر وأمّه ليلى بنت مسعود رضي الله عنه.

ولد في المدينة المنورة عام 21 للهجرة في زمن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وشبّ وترعرع ابن الحنفية في بيت والده أمير المؤمنين

مع باقي أشقائه، وعرف بالتقوى والعلم والورع والشجاعة، حيث كان صاحب اللواء يوم الجمل مع الإمام علي وأبلى بلاءً حسناً، فلمّا أعطاه علي عليه السلام الراية، أوصاه قائلاً له: تزول الجبال ولا تُزل، عضّ على ناجذك، وأعر الله جمجمتك، وتد في الأرض قدمك، وارم ببصرك أقصى القوم، وغضَّ بصرك، واعلم أن النصر من عند الله سبحانه.

وكان على ميمنة جيش الإمام علي مالك الأشتر رضي الله عنه، وعلى ميسرته عمّار ابن ياسر رضي الله عنه، وأعطى الراية ابنه محمد ابن الحنفية، وكان عمره يومذاك عشرون سنة.

وشهد معه أيضاً واقعة صفين حيث أنه كان من خلال بسالته وإقدامه تفرّ من أمامه الأبطال، وقد أراد أحد المخالفين إيقاع الفتنة بين ابن الحنفية وأشقائه الحسن والحسين عليهما السلام من خلال قوله له: «إنما يريد علي تجنيب المكاره عن الحسن والحسين ورميك فيها، فكان ردّ محمد ابن الحنفية عليه: الحسن والحسين عيناه وأنا يمينه، وإنما يدافع عن عينيه بيمينه»، وبهذا الجواب أفحم وأخرس ذلك الفتّان.

لهذه الأسباب وغيرها، كان أبوه الإمام علي عليه السلام يعتمد عليه في الكثير من الحروب التي خاضها رغم صغر سنّه.

تزوج محمد ابن الحنفية من السيدة أم عون بنت محمد بن جعفر الطيّار بن أبي طالب، ويقال لها أم جعفر، وقد روت عن جدّتها أسماء بنت عميس رضي الله عنها، واختلفت الروايات بعدد أولاده، إلّا أنه من المعروف بين المؤرخين أن ذريته كانت من ولديه: علي، وجعفر شهيد واقعة الحرّة.

وكانت وفاته بحسب أغلب الروايات في العام 80 أو 81 للهجرة. واختلف في مكان دفنه بين مكة أو المدينة أو الطائف أو في مصر؟؟ ولنا وقفة مع هذا الأمر بشيء من التفصيل في السياق.

محمد إبن الحنفية مع أخيه الحسين عليه السلام

على الرّغم من وضوح شرف نسب ابن الحنفية، وعلمه وتقواه وشجاعته، وإخلاصه لله ولرسوله ولوالده أمير المؤمنين، وللأئمة من بعد ذلك أشقّاؤه الحسن والحسين عليهما السلام ومن بعدهم الإمام زين العابدين عليه السلام بالرغم من كل ذلك ما تزال هناك حالة من الغموض أو التشويش المفتعل حول طبيعة دوره في حركة نهضة الإمام الحسين عليه السلام !!

وفي الآتي من الكلام ما يؤكد عدم صحة هذا التشويش، بل على العكس منه أي أن ابن الحنفية كان من أشد الناس التزاماً بأخيه الحسين عليه السلام.

ولتبيان هذا الأمر وحقيقته، سنُبيّن وباختصار شديد حركة نهضة الإمام الحسين من بداياتها، حتى مرحلة ما بعد استشهاد الإمام الحسين وعودة موكب السبايا إلى المدينة المنورة، لنفهم طبيعة الدور الذي قام به ابن الحنفية رضي الله عنه.

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان، وعقد البيعة بالحكم ليزيد ابن معاوية، أمر الأخير واليه على المدينة أخذ البيعة له من الحسين عليه السلام رغماً عنه، فإن أبى ذلك فلتضرب عنقه. وبعد محاولات والي المدينة

المتكررة لهذا الأمر، وإصرار الإمام الحسين على الرفض من خلال مقولته المشهورة: (ومثلي لا يبايع مثله)، عزم الإمام الحسين على الخروج من المدينة إلى مكة مع بنيه وبني اخوته وجلّ أهل بيته، فوصل خبر خروج الحسين عليه السلام إلى محمد بن الحنفية الذي كان مريضاً، فأتى الحسين عليه السلام وقال له: يا أخي أنت أحب الناس إليّ وأعزّهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق إلا لك، وأنت أحق بها، تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث برسلك إلى الناس، فإن بايعوك حمدت الله على ذلك، وإن اجتمعوا على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولم تذهب مروءتك ولا فضلك، وإني أخاف عليك أن تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم، فطائفة معك وأخرى عليك فيقتتلون، فتكون لأول الأسنة غرضاً، فإذا خير هذه الأمة كلها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

فقال الحسين عليه السلام: فأين أذهب؟ قال: تنزل مكة فإن اطمأنت بك الدار وإلا لحقت بالرمال وشعب الجبال، وخرجت من بلد إلى آخر حتى تنظر ما يصير إليه أمر الناس، فإنك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً، حتى تستقبل الأمور استقبالاً ولا تكون الأمور أبداً أشكل عليك منها حين تستدبرها إستدباراً.

فقال الحسين عليه السلام: يا أخي لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية.

فقطع محمد بن الحنفية كلام الحسين عليه السلام بالبكاء.

فقال له الحسين عليه السلام : يا أخي جزاك الله خيراً لقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي، أمرهم أمري ورأيهم رأيي. وأمّا أنت فلا عليك أن تقيم في المدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تخفي عني شيئاً من أمورهم.

وقام الحسين عليه السلام من مجلسه مع أخيه ودخل المسجد النبوي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقبل خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة كتب وصية ودفعها إلى أخيه ابن الحنفية، وقال فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم، هذا ما أوصى به الحسين بن علي عليه السلام إلى أخيه محمد ابن الحنفية، أن الحسين يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله جاء بالحق من عنده وأن الجنة حق والنار حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور.

وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله وسلم، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي إليك يا أخي وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه إلى أخيه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه.

وفي رواية أخرى: أن ابن الحنفية وصله خبر أن الحسين قد تهيأ

للخروج من المدينة وقد أوشك موكبه على التحرك، فأقبل عليه ابن الحنفية وأخذ بزمام ناقة الحسين عليه السلام وهو يبكي، وقال له: ألم تعدني النظر في ما سألتك؟ فما حداك على الخروج عاجلاً؟ فرد عليه الحسين عليه السلام قائلاً: لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما فارقتك وقال لي: لقد شاء الله أن يراك قتيلا، فاسترجع ابن الحنفية وقال: إذا كان الأمر كما تقول، فما معنى حملك للنساء وأنت تخرج لهذه الغاية؟ فقال له: «لقد شاء الله أن يراهن سبايا»، وعيناه تنهمر بالدموع والألم يحز في قلبه ونفسه عليه السلام وسلّم على أخيه وانطلق تلقاء مكة المكرمة.

وفي هذه الأحداث التي نقلناها آنفا جرت في المدينة المنورة قبيل الخروج منها إلى مكة، أمّا بعد وصول الحسين عليه السلام إلى مكة وقبيل خروجه منها إلى العراق، لحق به أخاهُ ابن الحنفية إلى مكة ودار بينهما هذا الحوار الذي نقله ابن طاووس عن الإمام الصادق عليه السلام: قال: جاء محمد بن الحنفية إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الحسين عليه السلام الخروج في صبيحتها من مكة، فقال له: يا أخي، إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من بالحرم وأمنعه.

فقال له الحسين عليه السلام: يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم، فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت.

فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البرّ، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

فقال الحسين عليه السلام : «أنظر في ما قلت» وسلّم عليه ومضى.

وفي هذه الرواية المتقدمة دليل: إضافي على لهفة وخشية محمد ابن الحنفية على شقيقه الإمام الحسين عليه السلام ، حيث خرج من المدينة والتحق به في مكة للاطمئنان على أحواله، وللتعرف إلى ما عزم عليه الحسين.

أمّا بعد استشهاد الإمام الحسين، وعودة ركب السبايا إلى المدينة المنورة، ووصول هذه الأخبار إلى ابن الحنفية، يتجلى موقف محمد ابن الحنفية بشكل صارخ وواضح، حيث نقل الطبري عن أبي مخنف، قوله: أقبل علي بن الحسين بن علي عليه السلام مع السبايا إلى المدينة، فبلغه خبر أخيه وما حصل له، وكان ابن الحنفية يتوضأ في طست من نحاس فأخذت دموعه تنهال في هذا الطست حتى سمع صوت وقوعها فيها. وفي رواية أخرى أغشي عليه من شدة الجزع على مصاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام. وبالمحصلة العامة، يتّضح معنا جلياً معذورية بقاء ابن الحنفية في المدينة بسبب مرضه من جهة، ولإذن الإمام الحسين عليه السلام له بالبقاء فيها ليكون له عيناً على أعدائه، وليكون ناشراً لأهداف النهضة الحسينية من خلال الوصية التي أودعها الحسين عنده، وأخيراً من خلال تواجده مع الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام في استقبال المعزين بأبي عبدالله الحسين، وأيضاً من خلال إقراره ومبايعته للإمام علي بن الحسين (زين العابدين) بالإمامة.

وبعد كل ذلك، هل يبقى أدنى شك في إخلاص وصدق ابن الحنفية رضي الله عنه ؟ أم هل هناك أي شبهة حول هذا الأمر؟ كلا ثم كلا.

إنه من آل البيت الطيبين الصادقين الطاهرين. فسلام عليه يوم ولد ويوم توفي ويوم يبعث حياً.

وفاته ومكان دفنه:

نقلنا آنفاً أن وفاة محمد بن الحنفية كانت في العام 80 أو 81 للهجرة النبوية الشريفة، وقلنا أن ولادته المباركة كانت في العام 20 أو 21 للهجرة، فيكون بذلك على حسب كلا الروايتين قد توفي عن عمر ناهز الستين من الأعوام.

أمّا عن مكان دفنه وسبب وفاته، فإننا وجدنا اختلافاً كبيراً بين المؤرخين، ولم يقطع أحدهم برأيه ولم يجزم به، وهذا ما يترك ثغرة في تاريخ آل البيت النبوي الشريف بهذا الخصوص.

فعن سبب وفاته رضوان الله عليه، لم نعثر على دليل قاطع حول طبيعة هذه الوفاة. هل كانت طبيعية على إثر مرض؟ أم استشهاد على إثر معركة أو ما شابه ذلك؟ وعلى كل حال، فالمعلوم أنه توفي في العام 80 أو 81 للهجرة.

أمّا عن مكان دفنه الشريف، فقد اختلفت آراء المؤرخين بشكل كبير أيضاً. حيث ذهب البعض إلى القول بمكة، والآخر إلى القول بالمدينة، والآخر إلى القول بالطائف، وكل ذلك بدون دليل أو حجة حيث لم يثبت وجود قبر له أو مقام في تلك الأماكن، كما أنه لم يذكر له قبر أو مقام هدم أو اندرس في تلك البقع من الأرض أيضاً.

والأغرب من كل ذلك قول فئة من الناس تعرف (بالكيسانية) أنه -

أي محمد ابن الحنفية - لم يتوف بل هو حي وهو الإمام المهدي الذي سيخرج ليقيم العدل في الأرض.

وهذه الفرقة انقرضت (ولله الحمد) لما في ذلك من تخريف على إرث النبوة وآل البيت، وتضييعاً لحقّهم، وإنزالاً لقدرهم بين الناس.

والله سبحانه هو الذي أعزّهم ورفع شأنهم وذكرهم، ومن كان شأنه ذلك، لن تستطيع الإنس والجن على الدنو من مقامهم الشريف، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وهناك رأي جديد، وموقف حديث يضاف إلى الآراء الأخرى، وإن كان برأينا هو الأقوى بحسب التدقيق.

فقد وفقنا المولى ﷻ إلى الاهتداء إلى ضريحين منسوبين إلى محمد ابن الحنفية رضوان الله عليه في مصر.

الأول: في جوار (قرافة) مقبرة الصحابي عقبة بن عامر الجهني، وتحديداً الضريح الملاصق لمشهد ذا النون المصري ورابعة العدوية، وسنتحدث عنهما بمقالات لاحقة بإذن الله.

الثاني: في (قرافة) مقبرة باب الوزير الواقعة في جوار القلعة من الناحية السفلية على مدخل القاهرة القديمة، وفي آخر الطريق (لسوق السلاح) باتجاه القلعة على الجهة الشمالية.

وقبل الحديث عن هذين الضريحين والنتائج التي خلصنا إليها، نتوقف قليلاً للحديث عن الفرضية المنطقية المحتملة لوجود ابن الحنفية في مصر.

في كتابنا الصادر في العام 2017 م والذي يحمل عنوان (مصر وآل البيت)، والذي جاء في طياته مقالة حول السيدة زينب عليها السلام، بحيث ناقشنا في هذه المقالة كل الآراء التي تحدثت عن مكان دفنها الشريف، والتي انحصرت في ثلاثة آراء، إثنان منها اتفقت على سبب خروج السيدة زينب عليها السلام من المدينة المنورة. وسوف نعيد ذكر هذا السبب، لما له من ارتباط منطقي بمقالتنا الحالية أعني محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، وبشيء من الاختصار والإجمال.

ذكر المؤرخون أنه بعد عودة موكب السبي إلى المدينة المنورة، ومعرفة أهل المدينة بما جرى على آل البيت من قتل وسبي وتتطواف بالرؤوس الشريفة، ضجّت المدينة بأهلها على الحكم الأموي ووالياه عليها آنذاك.

وشكّل ذلك بداية التحرك الشعبي الساخط على السلطة الأموية ووالياها، الذي أخذ يراسل يزيد ويستنجد به خوفاً على نفسه وعلى ولايته من غضبة الناس.

وخصوصاً مع وجود السيدة زينب عليها السلام التي كانت ترثي أخاها الحسين عليه السلام، وتنوح عليه هي والهاشميات ونساء الأنصار في كل مناسبة وفي أغلب الأوقات. وساهم هذا الدور الزينبي في تأجيج المشاعر ضد السلطة الأموية، والتي أضحت عرضة للسقوط لا سيما في المدينة المنورة.

لذلك أمر يزيد واليه على المدينة بنفيها منها، وإخراجها إلى أي بلد شاءت ما عدا مكة، فامتنعت السيدة زينب من الخروج، ولكن

نتيجة تدخل النساء الهاشميات وعلى رأسهن كانت زينب بنت عقيل ابن أبي طالب، وافقت على ذلك والألم والحزن يعتصرانها لمفارقة مدينة جدّها صلوات الله وسلامه عليه.

وخرجت رضوان الله عليها بموكب مهيب، وتوجهت على أغلب الظن وبحسب استنتاجاتنا إلى مصر، وخاصة أنها كانت تعرف مدى حبّ أهل مصر لآل البيت النبوي الكريم. وقد صحب السيدة زينب في مجيئها إلى مصر من ذرية أهل البيت عليهم السلام كل من: السيدة فاطمة ابنة الإمام الحسين عليه السلام وأختها سكينة أيضاً.

وسنتحدث لاحقاً وبمقالة خاصة عن مقام السيدة فاطمة ابنة الحسين عليه السلام المقطوع بصحة نسبه إليها في مصر، مع العلم بأننا قد أفردنا مقالة خاصة عن السيدة سكينة عليها السلام في الكتاب المذكور آنفاً.

وذكرنا أيضاً، أنه كان على رأس المستقبلين لهم في مصر وإليها مسلمة بن مخلد الأنصاري مع جموع غفيرة من أعيان مصر وعلمائها ووجهائها، بالإضافة إلى الجماهير المسلمة والتي أرادت أن يكون لها شرف استقبال السيدة زينب عليها السلام.

وبعد حفاوة الإستقبال المشوب بالحزن على الحسين وأصحابه، أنزلها والي مصر هي ومن معها في داره، فنزلت بتلك الدار حيث كانت موضع إجلال وتقدير المصريين، إذ كانوا يفدون إليها من كل حدب وصوب متلمّسين بركتها ودعواتها.

وتوفيت عام 62 للهجرة ودفنت في الدار التي نزلت فيها.

وبناءً على ما تقدم، وبالعودة إلى موضوع محمد ابن الحنفية رضي الله عنه،

يكون الإحتمال المنطقي لتوجه ابن الحنفية إلى مصر هو أنه كان برفقة أخته وابنتا أخيه الحسين عليه السلام فاطمة وسكينة. فمن المعروف والمسلّم به لدى المسلمين والعرب مصاحبة النساء بالسفر من قبل محارمهم، ولا يدعوهن يخرجن أو ينتقلن لوحدهن من دون حمي.

وخاصة إذا ما عرفنا وبالأدلة التاريخية أن ذرية محمد ابن الحنفية بأغلبها سكنت وعاشت وتوفيت في مصر، وهذا ما أكد عليه ابن عنبة في كتابه (عمدة الطالب) حيث قال: «بنو محمد بن الحنفية قليلون جداً، ليس بالعراق ولا بالحجاز منهم أحد، وبقيتهم فبمصر وبلاد العجم (فارس)، وبالكوفة منهم بيت واحد».

ويضيف في موضع آخر بالقول: «وجمهور عقبه - أي محمد ابن الحنفية - ينتهي إلى عبد الله الملقب (برأس المذرى)، والذي أعقب من تسعة رجال، منهم عيسى بن عبد الله وولد الحسن بن علي بن عيسى، وكانت كنيته أبا علي، ويعرف بابن أبي الشوارب، وكان أحد الطالبين بمصر، وله أربعة أولاد ذكور».

وذكر أيضاً: «منهم الشريف الفاضل أبو علي أحمد كان في مصر.....

ومنهم: «عبدالله ابن اسحاق، يقال له: (ابن ظنك)، وهو اسم امرأة من الأنصار، وكان يشبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم. ومنهم: أبو عبد الله الحسين بن إسحاق الصابوني بن الحسن بن إسحاق، والذي غرق في نيل مصر، وله عقب».

هذا بالإضافة إلى قول علي باشا مبارك حول نسبة الضريح: إلى ولد محمد ابن الحنفية. وسيأتي معنا بيان هذا القول في السياق.

كما أن ابن الزيّات في كتابه (الكواكب السيارة)، ذكر مقبرة خاصة تعرف بتربة بني المنتجب ابن علي بن أحمد بن ظاهر العلوي، وهؤلاء الأشراف يعرفون بالعلويين من نسل محمد ابن الحنفية.

لهذه الأسباب وغيرها، يقودنا التحليل والاستنتاج إلى وجود محمد ابن الحنفية في مصر، وخاصة مع وجود ضريحين ينسبان له، بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من قدوم السيدة زينب إلى مصر وعلى الأغلب برفقة شقيقها محمد بن الحنفية.

أما بالنسبة للضريح الأول وهو القريب من ضريح الصحابي عقبة بن عامر الجهني، والملاصق لقبر ذو النون المصري، فهو على الأرجح وبعد التحقيق المباشر، وكما ذكر ابن الزيات وعلي باشا مبارك، هو لأحد أبناء محمد ابن الحنفية من ذريته.

وقد وفّقنا بالكشف على هذا الضريح كما تظهر الصور المرفقة، ووصلنا بالاستنتاج إلى ما ذكر أعلاه، أي أن الضريح يعود لأحد ذرية ابن الحنفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وليس له. ولم نستطع تحديد هوية صاحب الضريح لسببين: الأول، ما قام به صلاح الدين الأيوبي من هدم للقبور والمساجد التي بنيت في العهد الفاطمي، كما ذكر ذلك علي باشا مبارك في الخطط التوفيقية.

والثاني: الترميم الجديد الطارئ على هذه الأضرحة والتي كانت فوضوية إلى حدٍ ما، حيث أخفت معالم الشاهد أو الرخامة على الضريح بحيث لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال إعادة النبش، وهذا ما لا نقدر عليه وغير مسموح لنا بذلك.

أما الضريح الثاني، فهو الذي بقرافة (مقبرة) باب الوزير أسفل القلعة.

وبالاستنتاج وبعد التحقيق بشكل مباشر كمايظهر بالصور المرفقة، يمكن القول بأنه يعود وبنسبة كبيرة أو لا بأس بها إلى محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، وللأسباب التالية:

أ - تعتبر مقبرة باب الوزير من أعرق وأقدم المقابر في القاهرة بالإضافة إلى قرافة (مقبرة) الصحابي عقبة بن عامر الهجني. ووجود ضريح ينسب إلى ابن الحنفية فيها، يتوافق زمنياً ومنطقياً مع ذلك.

ب - نتيجة لقدم هذه المقبرة، فإنها ولا شك قد تعرضت للتخريب على أيدي الأيوبين بعد زوال الدولة الفاطمية، مما ساهم في طمس المعالم فيها، أو حتى هدم القباب التي كانت عليها، الأمر الذي جعل تحديد هوية أصحاب هذه الأضرحة متعذر حتى على الذين اهتموا بتدوين التاريخ والآثار الإسلامية. ناهيك عن الشدة التي مورست بحق الفاطميين وأتباعهم بعد زوال دولتهم، بحيث كان الناس يخشون من السلطة الأيوبية الجديدة. وهذا ما يدفعنا إلى الإعتقاد بتعمد إخفاء ضريح ابن الحنفية من قبل الموالين والمحبين، حتى لا تطاله أيدي التخريب والعبث.

ج - وجود هذا الضريح في عمق المقبرة، بحيث لا يمكن الإهتداء إليه بسهولة حتى مع المساعدة من قبل أهالي المنطقة، بل إن الأمر يحتاج إلى عناء شديد للوصول إليه في وسط الأحواش المعروفة (بسكة الوداع)، وإنما وفقنا الله للإهتداء إليه بواسطة أحد أبناء (التربي) الذي

كان يعمل في هذه القرافة منذ أمد بعيد، ولقد انتقل هذا الحاج إلى رحمة الله، وبالتالي انتقلت معرفة هوية أصحاب الأضرحة إلى ابنه هذا المرفق صورته برفقتنا داخل المقبرة أو القرافة.

د - وجود رخامة كانت على الضريح تحدد هوية صاحبه، انتزعت عنه ووضعت على باب المقام كما هو واضح بالصورة المرفقة، وهي تتحدث وبوضوح أن هذا: هو مقام سيدي محمد ابن الإمام علي أخو الحسن والحسين والمشهور بابن الحنفية المتوفي عام 80 للهجرة النبوية، وهذا ما يتوافق مع ما ذكره المؤرخون بشكل دقيق.

هـ - عناية أبناء الطريقة الصوفية المعروفة (بالأحمدية)، نسبة إلى مؤسس هذه الطريقة سيدي أحمد ابن إدريس بهذا المقام الشريف، من خلال وضع الجداريات داخل المقام والتي تترجم وتحدد هوية صاحبه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه . كما من خلال إقامة المراسم السنوية بذكرى ولادته وتوزيع الطعام وما شابه ذلك.

و - إشارة علي باشا في (خطته) إلى وجود ضريح في هذا المكان ينسب وبحسب قوله إلى محمد زين العاقلين ولم يترجم له ولم يشرح شيئاً عن صاحب هذا المقام، بل اكتفى بالقول: أن المقريزي ذكره قرب الجامع قوصون، وهو المعروف حالياً بجامع باب الوزير، وهذا يؤكد على قدم هذا الضريح واشتهاره أثناء الحقبة العثمانية وفترة حكم الأسرة العلوية (محمد علي باشا).

ز - إن المشتغل بالتراث الإسلامي وخاصة في مصر، يعلم أن لدى المصريين نزعة نحو النعوت والألقاب، بحيث يمكن إطلاق لقب

أو نعت على أي كان، فيصبح ملازماً له ولا يعرف إلا به، مثال ذلك: مقام سيدنا العجمي والذي هو مقام مالك ابن الحارث الأشتر النخعي رضي الله عنه ، أو سيدنا البدوي الذي كان يرتدي ثياب البدو فنعت بذلك واصبح اسمه، والمرسي أبو العباس، وسيدنا الدسوقي وغيرهم الكثير، وسنفرد مقالات خاصة عن هؤلاء الكرام بإذنه تعالى. ولا يسعنا قبل الختام إلا ترديد قوله تعالى كما في سورة هود /آية 73: ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾.

وفي الختام نُشير إن نعت محمد بن الحنفية (بزين العاقلين) إنما اعتمدناه نقلاً عن علي باشا مبارك في خططه، كما أننا وانسجاماً مع المنهج الذي أشرنا إليه في مقدمة الكتاب، نشير إلى بعض أهم المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا، منها:

1 - تاريخ الطبري للطبري

2 - الكامل في التاريخ لإبن الأثير

3 - الكواكب السيارة لإبن الزيات.

4 - الخطط التوفيقية لعلي باشا المبارك.

5 - عمدة الطالب لإبن عنبة.

6 - اللهوف في قتلى الطفوف لإبن طاووس.

7 - مقتل الحسين لعبد الرزاق المعترم.

8 - مثير الأحزان لإبن نما الحلي.

9 - نور العين في مشهد الحسين للإسفراييني.

10 - المجالس السنية للسيد محسن الأمين.
11 - مقتل الحسين لأبي مخنف.
12 - الدروس البهية للسيد اللواساني.
13 - من وحي الثورة الحسينية للسيد هاشم معروف الحسني.
14 - مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني
15 - مصر وأل البيت (أحمد قيس).

وغيرهما الكثير من المراجع والمصادر التي لا يمكننا إيرادها خشية الاطناب.

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

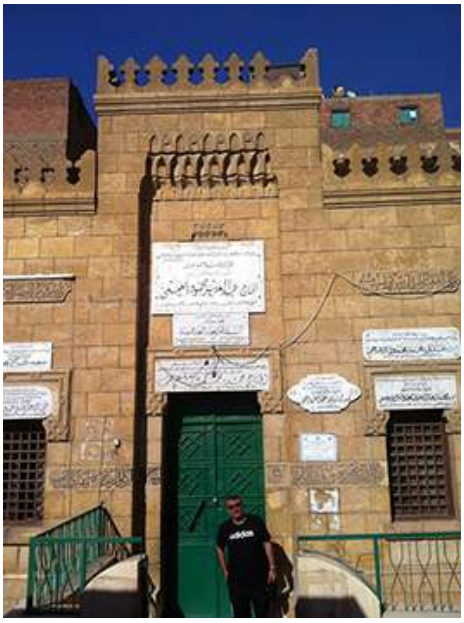

1 – صورة للدكتور أحمد قيس على باب مدخل المقام المنسوب
لمحمد ابن الحنفية والذي يقع إلى جوار ذا النون المصري ورابعة العدوية

2 – جدارية على مدخل المقام تشير إلى الأضرحة بداخله ومنها محمد ابن الحنفية

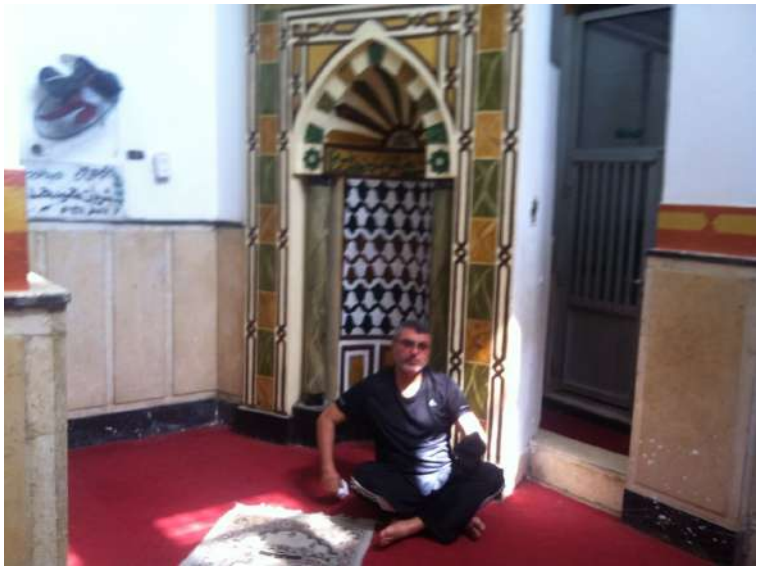

3 – صورة للدكتور قيس قرب محراب المسجد حيث توجد الأضرحة والمراقد المذكورة

4 – الدكتور قيس جالساً والى يمينه المرقد المنسوب لمحمد ابن الحنفية

5 – لوحة موضوعة على المرقد تتحدث عن محمد ابن الحنفية ومناقبه

6 – صورة للدكتور قيس وهو يستعد للدخول إلى المرقد للتحقق منه

7 – صورة للدكتور قيس وهو يحرّك الصندوق الخشبي فوق الضريح للتحقق من صحة نسبه

8 – صورة للدكتور قيس بعد إزاحة الصندوق الخشبي عن المرقد
قام بكشف السجاد عن الضريح للتحقق من صحة نسبته لابن الحنفية

9 – صورة للدكتور قيس وهو يحرك الصندوق الخشبي
فوق الضريح من الجهة الثانية للتحقق أيضاً

10 – صورة للدكتور قيس أثناء العمل

11 – صورة للدكتور قيس وهو يكشف السجاد عن الضريح للتحقق من نسبته

12 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين عن قرب وبدقة الضريح للتحقق منه

13 – صورة للدكتور قيس وهو يعمل ويبدو الصندوق الخشبي
فوق الضريح وهو مائل نحو اليمين

14 – صورة للدكتور قيس وهو يعيد كل شيء
إلى ما كان عليه بعد عملية التحقق من صحة نسبة المقام

15 – صورة للدكتور قيس وهو يعمل على إعادة كل شيء إلى ما كان عليه

16 – صورة للدكتور قيس بعد الفراغ من التحقق من صحة نسبة المرقد

17 – صورة للدكتور قيس وهو خارج من جوار المرقد

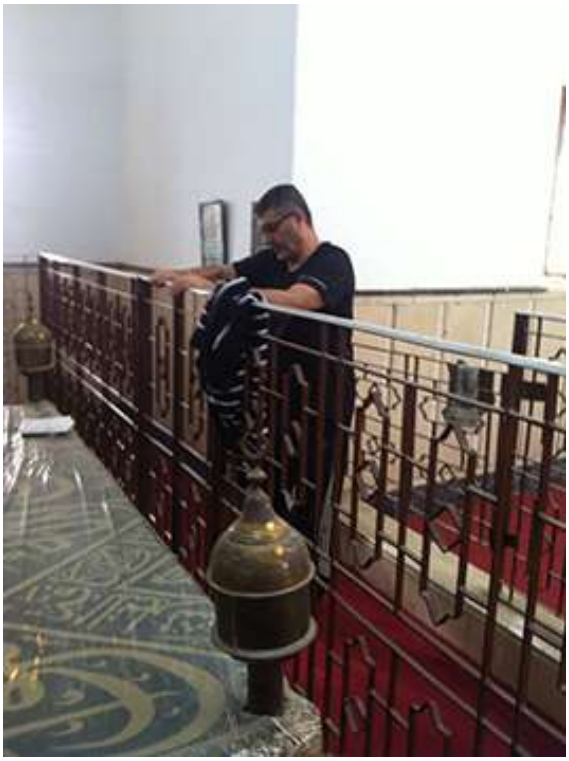

18 – صورة للدكتور قيس وهو يغلق البوابة خلفه بعد الإنتهاء من العمل

19 – صورة للدكتور قيس على مدخل قرافة (سكة الوداع)
والتي تتضمن مرقد محمد ابن الحنفية رضي الله عنه

20 – صورة للدكتور قيس بعد وصوله إلى مكان المرقد الشريف ويبدو المقام مقفلاً

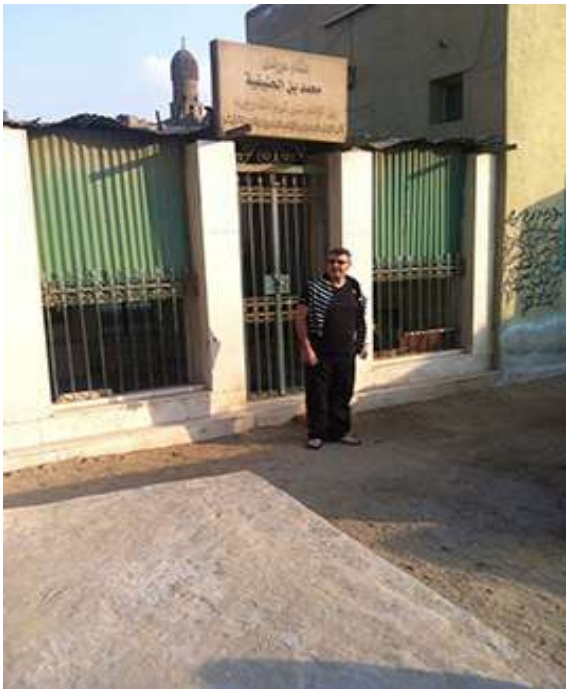

21 – صورة للدكتور قيس وهو ينتظر الشخص الذي قيل بأنه لديه المفتاح للمقام الشريف

22 – صورة للحاج الذي كان لديه مفتاح المقام يقف إلى جوار الدكتور قيس بعد فتح الباب

23 – صورة للدكتور قيس على باب المرقد الشريف وهو يشير إلى الآية القرآنية فوق الباب

24 – جدارية منحوتة ومعلقة على باب المرقد الشريف والمتداول بين الناس أنها كانت على الضريح الشريف فنزعت عنه ووضعت على الجدار

25 – صورة للدكتور قيس وهو يدخل إلى داخل المرقد الشريف

26 – الدكتور قيس يقف إلى جوار المقصورة للضريح الشريف
وبجانب الجدارية المعلقة والتي تتحدث عن مناقب ابن الحنفية

27 – صورة للدكتور قيس وهو يفتح باب المقصورة ليدخل إلى المرقد الشريف

28 – صورة للدكتور قيس وهو يدخل بشيء من الصعوبة إلى المرقد الشريف

29 – صورة للدكتور قيس بعد دخوله إلى داخل المقصورة بنجاح ولله الحمد

30 – صورة للدكتور قيس من داخل المقصورة وإلى جوار المرقد الشريف لجهة الرأس المبارك

31 – صورة أيضاً من داخل المقصورة للدكتور قيس

فاطمة أُم اليتامى

تحتضن مِصرَ والقاهرة تحديداً، مقاماً شامخاً ومسجداً يعرف بإسم (**مقام السيدة فاطمة أُم اليتامى**)، ويعرف أيضاً باسم (مقام فاطمة النبوية) ويقع هذا المقام الشريف في منطقة الدرب الأحمر الملاصق لدرب زويلة. فمن هي هذه السيدة الجليلة وماهي قصّتها؟.

فاطمة أم اليتامى

هي فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي أُخت السيدة سكينة بنت الإمام الحسين أيضاً، وأمهما أُم إسحاق بنت طلحة إبن عبيد الله التميمية. ولدت السيدة فاطمة في عام45 للهجرة، وذلك قبل مولد أُختها السيدة سكينة بنحو سنتين، وقد نشأت وترعرعت في حجر والدها الإمام الحسين عليه السلام وورثت عنه التقوى والعلم والصلاح.

وكان من أهم ما اتّصفت به السيدة فاطمة، أنّها كانت تشبه جدتها والدة الإمام الحسين وهي السيدة فاطمة الزهراء زوجة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. كما انّها كانت فصيحة أديبة وكريمة دائمة العبادة، وروت الأحاديث عن والدها الإمام الحسين عن جدّها رسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. وسيمر معنا طائفة من هذه الأحاديث الشريفة في السياق.

ويقول المؤرخون أن السبب في لقبها (**أُمّ اليتامى**) يعود إلى رعايتها للأيتام الذين فقدوا آباءهم ولا سيما في واقعة كربلاء، وكانت أحياناً تأخذهم معها في رحلاتها وتضم إليهم آخرين.

قصة زواجها

لما بلغت السيدة فاطمة مبلغ النساء واشتهرت بين مثيلاتها من النساء بالزهد والعفاف والجمال والكمال تقدم إلى والدها الإمام الحسين إبن عمها الحسن المثنى إبن الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك لخطبة إحدى بنات عمه: فاطمة أو سكينة.

فأدخله الإمام الحسين داره وخَيَرّهُ بينهما فاستحى الحسن المثنى أن يختار إحداهما دون الأُخرى، فأخبره الإمام الحسين بأنه يُفضّل له فاطمة لأنها تكبر سكينة كما أنها كثيرة الشبه بجدتها فاطمة الزهراء عليها السلام، ولأن السيدة سكينة مستغرقة في صوم النهار وقيام الليل لذلك فهي غير ملائمة للزواج منه في هذا الوقت. فوافق الحسن المثنى على اختيار عمّه له، وتزوجها. ورزق منها بعبد الله الملّقب (بالمحض)، وإبراهيم الملّقب (بالغمر)، وبالحسن (المثلث).

وشارك زوج السيدة فاطمة الحسن المثنى في واقعة كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام واثُخن بالجراح ونقل إلى المدينة لاحقاً ثم مالبث أن توفي عن عمر خمس وثلاثين سنة رضي الله عنه.

ولما توفي الحسن المثنى رضي الله عنه ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين عليه السلام على قبره فسطاطاً (خيمة). وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وذلك لمدة عام كامل.

الأحداث التي عاصرتها

إنَّ أهم الأحداث التي عاصرتها السيدة الطاهرة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام كانت واقعة كربلاء، عندما استشهد والدها وإخوتها وأعمامها ومن حضر معهم.

وبعد المعركة الأليمة سيقت السيدة فاطمة مع الأسرى والسبايا إلى الكوفة أولاً، ومن ثم إلى دمشق حيث مقر يزيد بن معاوية.

ثم رجعت مع نساء آل البيت عليهم السلام إلى المدينة المنورة مع عمّتها السيدة زينب وأُختها سكينة، حيث لازمت صيام النهار وقيام الليل، والعطف على الفقراء والمساكين.

وبقيت على هذا الأمر في المدينة حتى وقت خروجها منها مع عمتها السيدة زينب وأُختها سكينة عليها السلام وذلك على إثر طلب يزيد من واليه على المدينة إخراج السيدة زينب منها، وقد تقدمت الإشارة إلى هذه الأسباب في مقالة إبن الحنفية، فتوجهت مع السيدة زينب وأختها سكينة وغيرهن برفقة - **محمد بن الحنفية** - إلى مصر.

وبقيت في مصر حتى عام 110 للهجرة حيث توفيت هناك ودفنت في ذلك المرقد المنسوب إليها في الدرب الأحمر في القاهرة.

فاطمة الصغرى

يقع الكثير من الكُتّاب أوالخطباء في شبهة خاطئة لا دليل عليها، وهي: أن السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام تكنى بفاطمة الصغرى لوجود أخت لها تكنى بفاطمة الكبرى.

والصحيح أن فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام هي المكناة (**بأُمّ اليتامى**)، (**وفاطمة الصغرى**)، في حين أن السيدة فاطمة إبنة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هي المكناة بـ (**فاطمة الكبرى**) و(**أُمّ كلثوم**). وكلتا السيدتين الجليلتين شهدتا واقعة كربلاء مع الإمام الحسين عليه السلام، وشاركتا في إلقاء الخطب في الكوفة أو الشام، أو حتى على طريق السبي نحو دمشق.

هذا بالإضافة إلى إشارة البعض بوجود فاطمة ثانية للإمام الحسين عليه السلام تركها خلفه في المدينة لأنّها كانت مريضة، وهي التي تعرف على الألسن بإسم (**فاطمة العليلة**).

وهذا الأمر غير صحيح على الإطلاق عند أهل التحقيق والعلم، إذ أن أكثر الروايات مبالغة في عدد أولاد الحسين عليه السلام لم يتجاوز عشرة أولاد، ستة ذكور وأربع إناث.

ولم يذكر بين أسماء هؤلاء النسوة سوى فاطمة واحدة. في حين أن معظم العلماء الأعلام ذكروا عدد أولاد الحسين عليه السلام وحصروهم بستة، أربعة ذكور والسيدة فاطمة والسيدة سكينة عليها السلام. وهذا الرأي هو الأدق والأصح مع أمكانية وجود طفلة صغيرة للحسين عليه السلام تدعى رقية وليست فاطمة، والله العالم.

من هي فاطمة الكبرى؟

هي فاطمة بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وزوجة سعيد بن عقيل، وقد حضرت واقعة كربلاء وعاشت حتى أدركها الإمام الصادق عليه السلام، وتوفيت عام117للهجرة عن عمر 80 عاماً.

وكنيتها (أُمّ كلثوم)، وهي شقيقة زينب والحسين عليه السلام من أبيها الإمام علي عليه السلام، وأُمّها من النساء اللواتي لم يذكر التاريخ أسماءهن.

المحطات التي ذكرت بها

تداخلت النصوص التاريخية التي تتحدث عن الفاطمتين (**الكبرى والصغرى**)، وهذا ما أوجد الشبهة لدى بعض الخطباء أو الكتاب، ولكن من خلال دراسة حركة النهضة الحسينية من بدايتها إلى مرحلة عودة موكب السبي إلى المدينة، ومن خلال مقارنة هذه النهضة كما دوّنت لدى معظم المؤرخين من كافة المشارب الفكرية والمذهبية يتبين معنا دور كل من السيدتين الجليلتين بأعلى نسبة من الوضوح.

فمن أبرز هذه المحطات

1 - عند استشهاد عبد الله الرضيع بالسهم بين يدي والده الحسين عليه السلام، دفعه وأعطاه لام كلثوم فضمته إلى صدرها وبكت.

2 - في الوداع الأخير للنساء، وقف الإمام الحسين عليه السلام على باب الخيمة ونادى: يازينب، يا أُمّ كلثوم، ياسكينة عليكن مني السلام، فقالت أُمّ كلثوم: يا أخي إستسلمت للموت؟ فقال: كيف لا استسلم مع قلة ناصري، فلما سمعته سكينة عليها السلام رفعت صوتها بالبكاء والنحيب.

3 - بعد إستشهاد الإمام الحسين عليه السلام أقبل جيش عمر ابن سعد على الخيام لحرقها وسلب ما على النساء من حُليّ، فلمّا دخلوا خيمة الإمام زين العابدين عليه السلام وجدوه طريحاً على الفراش من المرض،

فأرادوا قتله، فلمّا رأتهم أُمّ كلثوم أقبلت وهي حاسرة الوجه، وطرحت نفسها عليه، وقالت لهم: إن كان ولا بد من قتله فاقتلوني قبله.

4 - عند وصول موكب السبي من كربلاء إلى الكوفة أخذ أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين في المحامل الخبز، فصاحت بهم أُم كلثوم وقالت لهم: أن الصدقة علينا حرام آل البيت، فضج الناس بالبكاء والنحيب، ثم قالت أم كلثوم لهم: غضوا أبصاركم عنّا.

5 - عندما أدخلوا السبايا مع الرؤوس إلى مجلس إبن زياد، قال لهم: أيكم أم كلثوم؟ فقالت: ماتريد مني ياعدو الله؟.

6 - أورد المؤرخون لأم كلثوم خطبة بليغة تُقرع فيها أهل الكوفة، لا مجال لإستعراضها في هذه المقالة، ويمكن الرجوع إلى المصادر للإطلاع عليها.

7 - ذكر المؤرخون جملة من المواقف لأم كلثوم في المنازل أو الأماكن التي مروا بها في موكب السبي توجهت بها لأهل هذه المناطق سلباً أوإيجاباً بحسب استقبالهم لهم. ومنها: حلب، وحماة، وحمص، وبعلبك، وغيرها...

8 - وذكر المؤرخون أيضّاً: أنه وعند إقتراب موكب السبي من دمشق طلبت أم كلثوم من قائد الركب أن يدخلهم من درب قليل النظارة.. لأنهن استشعرن بالخزي من كثرة النظر إليهن.

9 - وأيضّاً أوردت كتب التاريخ بعض المواقف لها في مجلس يزيد، وعند عودة موكب السبي إلى المدينة المنورة، فالسلام عليها وعلى والدها وإخوتها وأخواتها وجدّها المصطفى ﷺ.

أما بالعودة إلى السيدة فاطمة الصغرى إبنة الإمام الحسين عليه السلام، من خلال ملاحظة دورها الشريف في هذه النهضة، فهو يبرز على الشكل التالي:

1 - في الوداع الأخير للنساء، وقف الإمام الحسين عليه السلام على باب الخيمة ونادى: يا زينب، يا أم كلثوم، يا فاطمة، يا رباب، يا سكينة، أنظرن إذا أنا قتلت فلا تشققن عليَّ جيباً، ولا تخمشن عليَّ وجهاَ، ولا تقلن عليَّ هجراً.

2 - ذكر أبي إسحاق الإسفراييني الرواية التالية: دخل على خيمة النساء بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام مجموعة من الرجال بهدف سلبهن وبعدما فعلوا نظر أحدهم إلى خلخال كان في رجلي فاطمة الصغرى فجعل يعالجها حتى كسرها وأخرج الخلخال منهما.

3 - عند وصول موكب السبي من كربلاء إلى الكوفة، وقبل إدخالهم إلى مجلس إبن زياد، خطبت فاطمة الصغرى بالجموع المحتشدة خطبة بليغة قرّعتهم بها تقريعاً لخذلانهم الإمام الحسين عليه السلام، ماحدا بهم إلى النحيب والعويل حتى قالوا: حسبك يا ابنة الطيبين فقد أحرقت قلوبنا وانضجت نحورنا، واضرمت أجوافنا... وهذه الخطبة البليغة مذكورة بتمامها في المراجع والمصادر، ومؤرخة لدى الجميع، ولم ننقلها خشية الإطالة.

4 - بعد إدخال آل البيت النبوي صلى الله عليه وآله وسلم سبايا مكبلات وحاسرات إلى مجلس يزيد، قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد بنات رسول الله سبايا، فبكى الناس وبكى أهل داره.

5 - في مجلس يزيد في الشام، قام رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليها السلام وتوجه بالقول إلى يزيد بن معاوية: يا أمير هب لي هذه الجارية، قالت فاطمة: فارتعدت وظننت أن ذلك جائز عندهم، فأخذت بثياب عمتي زينب وقلت: يا عمتاه أوتمت واستخدم؟ وكانت عمتي تعلم أن ذلك لا يكون، فقالت: لا حباً ولا كرامة لهذا الفاسق، وقالت للشامي: كذبت والله ولؤمت والله ما ذلك لك ولا له، وحول هذه الحادثة تحديداً، نقل أبي مخنف في مقتله أن الحادثة المذكورة حصلت مع فاطمة بنت علي (الكبرى)، والأدق بين العلماء هي فاطمة الصغرى.

6 - في بعض الروايات ذكرت السيدة فاطمة إبنة الحسين على أنها طلبت من عمتها زينب عليها السلام شيئاً من المال، أو هدية من الحلي لتعطيها لسائس القافلة العائدة بهن إلى المدينة، وذلك لأمانته وحرصه عليهن، فاعطتها شيئاً من الحلي ودفعتها فاطمة إلى هذا السائس الذي رفض أخذها.

وبحسب أهل العلم أن التي سألت السيدة زينب عن ذلك هي أختها (أم كلثوم) فاطمة الكبرى، وإن كان في هذه الحادثة ماينبئ عن الخلق الرفيع لآل البيت عليهم السلام رغم فداحة خسارتهم ومعاناتهم، وبهذا المعنى لا فرق بين الفاطمتين عليهما السلام.

فاطمة الصغرى (أُم اليتامى) وروايتها للحديث

نقلت كتب الأحاديث الشريفة الكثير من هذه الأحاديث والتي يتصل سندها بالسيدة فاطمة إبنة الإمام الحسين عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذه الروايات والأحاديث نقلها معظم العلماء من كافة المذاهب الإسلامية، وفي هذا دليل على وثاقتها عند الجميع، وشهرتها بنقل الحديث الشريف. وفي ما يلي نماذج عن البعض منها:

1 - في كتاب (الأمّ) للإمام الشافعي بسنده عن فاطمة بنت الحسين: أن رجلاً شهد عند علي عليه السلام على رؤية هلال شهر رمضان فصام - أي الإمام علي -، وأحسبه قال: وأمر الناس أن يصوموا. (ج2: ص80).

2 - في كتاب (الكافي) للكليني بسنده عن إبن فضال عن عاصم بن حميد عن الثمالي عن عبد الله ابن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان، إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ماليس له» (ج2: ص239).

3 - في كتاب (علل الشرائع) للشيخ الصدوق، وأيضّاً في (بحار الأنوار) للعلَّامة المجلسي، نقل هذا الحديث: حدثني الحسين بن يزيد، عن عمر بن علي بن الحسين، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت أبي بكر، عن صفية بنت عبد المطلب (عمة النبي) صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه وكنت وليتها، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ياعمة هلمي إليَّ إبني. فقلت: يارسول الله، إنا لم ننظفه بعد. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا عمة: أنت تنظيفنه! إن الله تبارك وتعالى قد نظفه وطهره. (العلل: ص 1137، البحار: ج43، ص238).

4 - في كتاب (الأمالي) للشيخ الصدوق، عن محمد بن أحمد الأسدي، عن أحمد بن محمد العامري ابن إبراهيم بن عيسى، عن سليمان بن عمرو، عن عبد الله بن الحسن إبن علي عليه السلام عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها الإمام الحسين عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن صلاح أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين وهلاك آخرها بالشحّ والأمل».

5 - روى الهيثمي في كتابه مجمع الزوائد، والعقيلي في الضعفاء، والطبراني في المعجم الكبير، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، والمزني في تهذيب الكمال، عن فاطمة بنت الحسين، عن فاطمة الكبرى، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم، إلَّا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم وأنا عصبتهم».

فاطمة الصغرى وأداء الأمانة

ورد في الكتب المعتبرة، أن الإمام الحسين عليه السلام سلّم إبنته فاطمة كتاباً ووصية، وطلب إليها تسليمها للإمام زين العابدين عليه السلام بعد شفائه من مرضه، وقد قامت السيدة فاطمة بأداء هذه الإمانة على أكمل وجه، وهذه الرواية منقولة عن الإمام الباقر محمد بن علي زين العابدين عليه السلام، وهذا نصّها :«**في كتاب (الكافي) للكليني عن محمد بن الحسين، وأحمد عن محمد بن إسماعيل، عن بزرج عن ابي الجارود، عن أبي جعفر - (محمد بن علي)** ـ عليه السلام قال :**إن الحسين** عليه السلام لما حضره الذي حضره، دعا إبنته فاطمة بنت الحسين، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة، وكان علي ابن الحسين مبطوناً معهم لا يرون إلَّا

انه لما فيه، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين عليه السلام، ثم صار والله ذلك الكتاب إلينا يازياد، قلت: ما في ذلك الكتاب جعلني الله فداك؟ قال: فيه والله ما يحتاج إليه ولد آدم منذ خلق الله آدم إلى أن تفنى الدنيا، والله إن فيه الحدود حتى أن فيه أرش الخدش» (ج1: ص303).

وفاتها ومرقدها الشريف

كنا قد ذكرنا سابقاً، أن السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام قد رافقت عمتها السيدة زينب بنت علي عليها السلام في رحلة قدومها إلى مصر. وقلنا أنها بقيت في مصر وتوفيت عام 110 للهجرة، ودفنت في المرقد المنسوب إليها في الدرب الأحمر في القاهرة.

وهذا القول عليه شبه إجماع عند معظم المؤرخين، ولا يوجد ما ينقض هذا الأمر بشكل علمي مؤيد بالأدلة، وإن وجد شيئاً فهو من باب الإحتمال والظن وليس القطع.

فقد ذكر وجود مرقدها هذا في القاهرة، على سبيل المثال لا الحصر، كل من: المقريزي، وإبن بطوطة، والعلَّامة الأجهوري، والشبلنجي، وإبن الزيات، ومحمد زكي إبراهيم، وعلي باشا مبارك، والدكتور عادل عدس، وغيرهم الكثير...

وقد أنشأ المسجد الذي يتضمن المرقد الشريف عباس باشا، في حين أن الأمير سليمان أفندي أهتم بعمارة الضريح الشريف.

وقد تجددت العمارة لهذا المسجد والمرقد مرات عدة، وأخيراً

كان بإشراف وزارة الأوقاف المصرية. وبهذا دليل على مدى حب واهتمام أهل مصر بآل البيت النبوي الشريف، ومراقدهم الطاهرة.

فالسلام على سيدتي ومولاتي فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، وهنيئاً لأهل مصر بوجود هذا الغصن الشريف من الدوحة النبوية المباركة بينهم.

أهم المراجع والمصادر التي أعتمدنا عليها في بحثنا هذا:

1 - مجمع الزوائد	الهيثمي
2 - الإرشاد	الشيخ المفيد
3 - المعجم الكبير	الطبراني
4 - مقتل الحسين	لأبي مخنف
5 - تهذيب الكمال	المزني
6 - اللهوف	إبن طاووس
7 - تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي
8 - الخطط التوفيقية	لعلي باشا مبارك
9 - الكواكب السيارة	إبن الزيات
10 - نور الأبصار	الشبلنجي
11 - المجالس السنية	السيد الأمين
12 - من وحي الثورة الحسينية	هاشم معروف حسني
13 - مقتل الحسين	عبد الرَّزاق المقرم

14 - الدروس البهية	السيد اللوساني
15 - مراقد أهل البيت	محمد زكي إبراهيم
16 - فاطمة بنت الحسين	د. محمد هادي الأميني
17 - مشارق الأنوار	العلَّامة الأجهوري
18 - إسعاف الراغبين	الشيخ الصّبان
19 - أهل البيت في مصر	هادي خسرو شاهي
20 - ضعفاء العقيلي	العقيلي
21 - فاطمة العليلة	محمد باقر الناصري
22 - فاطمة بنت الحسين	أبي معاذ السيد أحمد بن إبراهيم
23 - تراجم أعلام النساء	الأعلمي الحائري

وآخر دعوناأن الحمد لله رب العالمين

1 – صورة للدكتور قيس على مدخل مقام السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

2 – صورة لمقصورة مرقد السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف

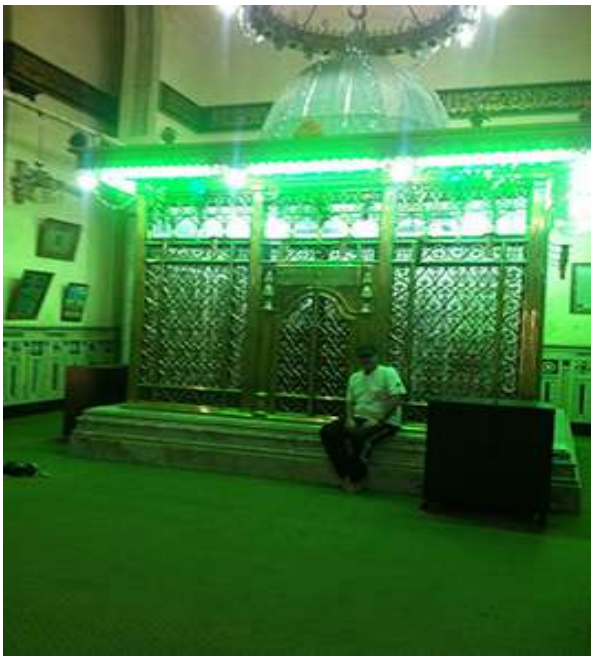

4 – وأيضاً صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف

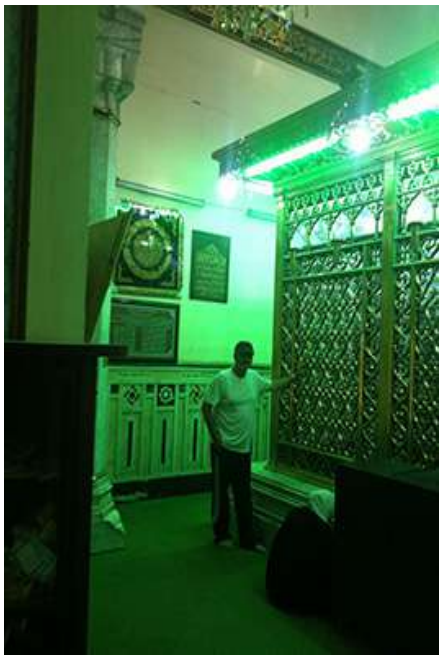

5 – صورة للدكتور قيس من زاوية أخرى للمرقد الشريف لجهة النساء

6 – لوحة في داخل المقام تتحدث عن السيدة فاطمة عليها السلام

7 – قصيدة في مدح السيدة فاطمة عليها السلام معلقة داخل المقام الشريف

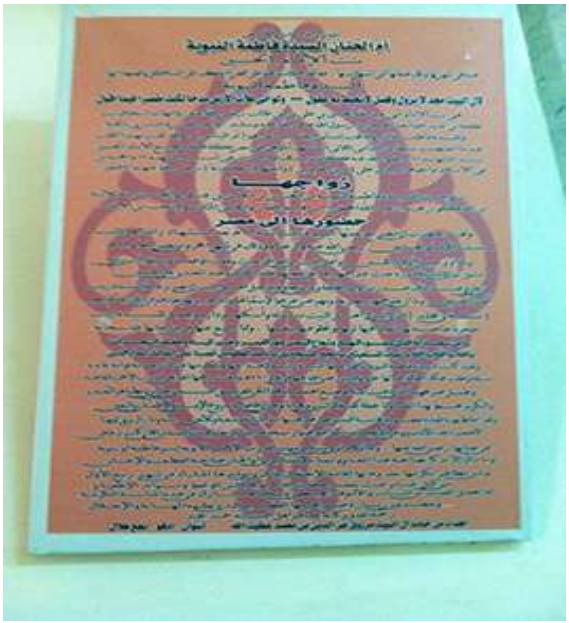

8 - صورة لوحة جدارية معلقة داخل المقام الشريف
تترجم لحياة السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام

9 - صورة للدكتور قيس إلى جوار ضريح عبد الله الدسوقي شقيق ابراهيم صاحب الطريقة (الدسوقية) والمدفون إلى جوار ضريح السيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في منطقة الدرب الأحمر

10 – صورة أخرى للدكتور قيس إلى جوار ضريح الدسوقي المجاور لضريح ومرقد السيدة فاطمة عليها السلام

11 – جدارية تترجم لحياة صاحب المرقد (الدسوقي) وتظهر نسبه المتصل بآل البيت عليهم السلام

القاسم بن محمد الطيب

اشتهر العرب منذ القدم بالكنى والألقاب، وأمتازوا بذلك عن الكثير من الشعوب والحضارات الأخرى، وعند اعتناق العرب للإسلام وإنتشاره في بلادهم، ساهم هذا الأمر على توكيد هذه المسألة، بحيث أن الإسلام ندب عند ولادة الذكور إلى تسميتهم بالأسماء الحميدة وتكنيتهم أيضاً.

لذلك فإنه وعند أدنى مراجعة للتاريخ الإسلامي، قلّ ما نجد أحداً ينعت باسمه منفرداً وبدون كنيته أو لقبه. فالنبي ﷺ كنيته (أبو القاسم)، وعلي عليه السلام كنية (أبو تراب)، والحسن عليه السلام كنيته (المجتبى)، والحسين عليه السلام كنيته (أبو عبد الله)، هذا في إطار آل البيت عليهم السلام.

أما في إطار الصحابة، فإننا نجد كنية الخليفة الأول (الصديق)، والثاني (الفاروق)، والثالث (ذا النورين)، والرابع (أمير المؤمنين)، وهكذا... رضي الله عنه.

فمن هو القاسم بن محمد المكنّى (بالطيب)؟

هو القاسم بن محمد الملقب (بالمأمون) بن جعفر الملقب (بالصادق) بن محمد الملقب (بالباقر) بن علي الملقب (بزين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ويقال أن أمّه أم ولد، ومن الصالحات العابدات، ولم تسعفنا المراجع والمصادر التاريخية في تحديد اسمها ونسبها.

وهو بالتالي حفيد الإمام جعفر الصادق عليه السلام بشكل مباشر أي بواسطة واحدة.

وهو أيضاً بالإضافة إلى لقبه (الطيب) له لقب آخر يعرف به وهو (الديباج)، وأيضاً (الشبيه). ويقال أن لقب (الشبيه) هو خاص بولده يحيى وإليه ينتمي (الشبيهيون) نسبة إلى يحيى. وسيمر معنا بإذن الله مقالة خاصة عن يحيى (الشبيه).

نبذة مختصرة عن مناقبه

ذكر (ابن الزيات) بعضاً من مناقب القاسم الطيب، من خلال ما قاله النسابة القرشي في كتابه (طبقة الأشراف)، قال: قال ابن النحوي: كان القاسم الطيب من أحفظ الناس لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولقد كتب عنه أربعمائة محبرة، وكان من الأشراف الأجواد. ونقل عن أبي عمر قوله: رأيت القاسم بمكة يدعو الله وقد اقشعرّ جسده، فقلت له: ما هذا يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: إني لأستحي من الله أن أدعوه بلسان ما أديت به حق شكره.

ولادته المباركة، وعمره، ووفاته

لم نجد في المراجع والمصادر التاريخية التي راجعناها واعتمدنا عليها - وهي ليست بقليلة - على ترجمة خاصة تشرح أحواله لجهة الولادة والنشأة وتاريخ الوفاة. إلا أنه وإذا ما أردنا إجراء عملية حسابية

تقريبية، فإنه يمكن القول: أن وفاة عمته السيدة عائشة النبوية ابنة الإمام جعفر الصادق عليه السلام كانت في العام (145) للهجرة، وجده الإمام الصادق عليه السلام توفي في العام (148) للهجرة، كما أن وفاة ولده أبي عبد الله بن القاسم الطيب كانت في العام (261) للهجرة)، وعليه يكون احتمال ولادة القاسم الطيب بناءً على ما تقدم ما بين العام 150 حتى 175 للهجرة، ووفاته المحتملة ما بين عام 200 إلى 230 للهجرة. وهذا الإحتمال قمنا به وأوردناه بحسب التواريخ المثبتة لولادة جدّه ووفاته، وولادة عمته ووفاتها، وولادة ابنه ووفاته، والله أعلم بحقيقة الأمور.

نبذة مختصرة عن والده محمد المأمون

من ألقاب محمد المأمون والد القاسم الطيب (الديباج)، ولقّب بذلك لحسن وجهه، أي أنه كان جميل الوجه وذو جلاله وهيبة.

وبحسب كتب التاريخ، فإن محمد المأمون كان من مناصري محمد بن إبراهيم طباطبا الحسني، الذي كان رافضاً للسلطة العباسية ويدعو لنفسه، فلما مات محمد بن ابراهيم طباطبا، دعا محمد المأمون إلى نفسه وبايعته جموع الناس في مكة، إلاّ أن حركته هذه أجهضت وألقي القبض عليه وجيء به إلى المأمون العباسي، فعفا عنه، وعلى أغلب الظن نتيجة تدخل الإمام الرضا عليه السلام، وخرج إلى جرجان ومات فيها وقبره ومرقده بها هناك.

وأعقب من ثلاثة رجال: علي الخارص، والقاسم الطيب، والحسين. وجميعهم أعقبوا ولهم ذرية.

نبذة مختصرة عن جدّه (أي جد القاسم الطيب) الإمام جعفر الصادق عليه السلام

هو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. وهو سادس الأئمة من آل البيت عند الإمامية، وكنيته (أبو عبد الله). نسبه الشريف لجهة الأب تقدم ذكره، أما نسبه الشريف لجهة الأم، فأمّه هي (أم فروة) بنت القاسم الفقيه بن محمد أبي بكر رضي الله عنه الشهيد بمصر. وأمّها للسيدة (أم فروة) هي السيدة أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وعمة السيدة (أسماء) تكون أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنه.

لهذا كان الإمام الصادق عليه السلام يقول: «ولدني أبو بكر مرتين».

ويقال للإمام الصادق عليه السلام: عمود الشرف، ومناقبه متواترة بين الأنام، ومشهورة بين الخاص والعام، وموضع إجلال واحترام كبيرين من قبل كافة المسلمين. وقصده (المنصور الدوانيقي) الخليفة العباسي بالقتل مراراً، فكان الله سبحانه يعصمه منه في كل حين، وباءت جميع محاولات الدوانيقي بالفشل ولله الحمد.

ولد الإمام الصادق عليه السلام سنة (80 أو 83) للهجرة وتوفي سنة (148) للهجرة.

وتميز عصره بانتشار العلوم الإسلامية، كالتفسير والفقه والحديث وعلم الكلام والجدل والأنساب واللغة والشعر والأدب والكتابة والتاريخ والفلك وغيرها.

وكان الإمام الصادق عليه السلام أشهر أهل زمانه علماً وفضلاً، قال

الإمام مالك بن أنس، إمام المذهب المالكي: ما رأت عين، ولا سمعت أذن، ولا خطر على قلب بشر، أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وعبادةً وورعاً، وكان كثير الحديث طيّب المجالسة، كثير الفوائد. وقال الحسن بن زياد: سمعت أبا حنيفة النعمان (إمام المذهب الحنفي) وقد سئل عن أفقه من رأيت؟ فقلت: جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

والحديث عن الإمام الصادق عليه السلام لا يمكن حصره واختصاره في مقالة أو حتى في كتاب، وهو الذي ملأ الخافقين بالعلم والتقوى والورع. وإنّما اقتصرنا على نقل هذه النبذة الشديدة الإختصار لتبيان شرف سلالة القاسم الطيب رضي الله عنه.

وأعقب الإمام الصادق عليه السلام من خمسة رجال: الإمام موسى الكاظم، وإسماعيل، وعلي العريضي، ومحمد المأمون(والد القاسم الطيب)، وإسحاق رضي الله عنه.

ذريته وعقبه

أعقب القاسم الطيب من الذرية: عبد الله، أبو القاسم، أبو محمد الأعرج، علي، ويحيى (الشبيه)، وذلك كما ذكر ابن عنبة في (عمدة الطالب)، والحسن، والحسين، ومحمد، كما ذكر محمد زكي ابراهيم. وأعقاب هذه الذرية من هم عقب علي بن محمد بـ (جرجان)، وآخرين بـ (كرمان).

هذا العقب من الذكور، أما بنات القاسم الطيب فهنّ: السيدة

فاطمة الملقبة (بالعيناء)، ولنا وقفة خاصة مع هذه السيدة الجليلة، والسيدة (كلثم) أو (أم كلثوم)، ولنا أيضاً وقفة خاصة مع هذه السيدة الجليلة.

زوجته الطاهرة

تزوج الشريف قاسم الطيب من بنت عمه الإمام الكاظم عليه السلام وهي السيدة آمنة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وتلقب (بأم الذرية).

وسنفرد لهذه السيدة مقالة خاصة مباشرة بعد هذه المقالة بإذن الله.

مكان الضريح وحالته

يقع مرقد وضريح السيد قاسم الطيب في جوار منطقة سفح المقطم في قرافة (مقبرة) الإمام الليثي، ويبتعد عن مرقد الإمام الليثي قرابة 500 متر بين الأحياء العشوائية المنتشرة في هذه المقبرة. ولا يمكن الوصول إليه إلا بمساعدة خاصة، ومن خلال السؤال عن مرقد الشبيهي وليس القاسم الطيب!!.

أما عن حالة هذا الضريح الشريف والمهجور، فإنها تدعو للحزن الشديد والأسف العميق، فهو مغلق على الدوام ولا يزوره أحد إلّا من هدى الله أو من المتخصصين بالآثار.

وحالة هذا المرقد الشريف من الداخل والخارج تحكي عن مرارة واقعها الصور الملحقة بهذه المقالة، واستغل المناسبة لمناشدة شيخ الأزهر الشريف والذي نكن له الحب والاحترام، ومعالي وزير

الأوقاف الأخ والصديق، ومديرية الآثار المحترمين في جمهورية مصر العربية أن يتداركوا هذا المعلم الإسلامي والحضاري من الإندثار والضياع.

عملاً بقوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: 23].

أهم المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا:

1 - الإرشاد للشيخ المفيد

2 - الكواكب السيارة لإبن الزيات

3 - تراجم أعلام النساء للأعلمي الحائري

4 - نور الأبصار للشبلنجي

- 5 مراقد أهل البيت لمحمد زكي ابراهيم

6 - الخطط التوفيقية لعلي باشا مبارك

7 - المجالس السنية للسيد محسن الأمين

8 - عمدة الطالب لإبن عنبة

9 - أعلام الورى لأبي علي الطبرسي

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة الدكتور قيس أمام بوابة مقام ومرقد القاسم الطيب رضي الله عنه

2 – صورة للدكتور قيس على باب المدخل القديم للمقام الشريف
وتبدو المحاريب القديمة ظاهرة على جانبي الصورة وهي ذاهبة للإندثار وللأسف

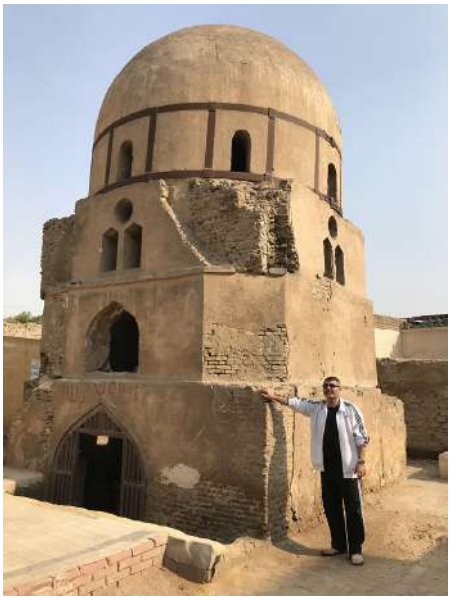

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مقام القاسم الطيب رحمه الله

4 – صورة للدكتور قيس وهو ينزل باتجاه المرقد الشريف

5 – صورة للدكتور قيس إلى جوار بوابة الدخول إلى المرقد الشريف

6 – صورة للدكتور قيس بعد دخوله إلى المرقد الشريف

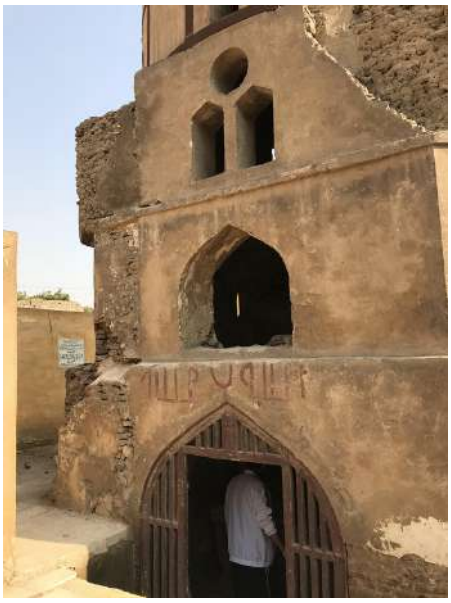

7 – صورة أخرى للدكتور قيس
وهو يتوجه نحو المرقد الشريف

8 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد
الشريف وهو يعاين حالته التي تدمي القلب

9 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف ويبدو متأثراً جداً
بالحالة السيئة لهذا المعلم الحضاري والإنساني والإسلامي

10 – صورة للدكتور قيس وهو يقبل الضريح والمرقد الشريف

11 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين حالة الإندثار لا سيما شاهد القبر والمتروك والمهمل إلى جوار الضريح الشريف

12 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين بقايا آثار العمارة القديمة المبعثرة للمرقد الشريف

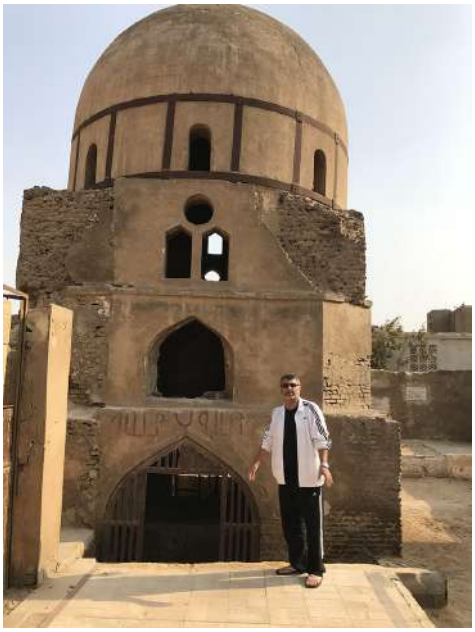

13 – صورة للدكتور قيس بعد خروجه من جوار المرقد

14 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى عمارة القبة والتي تعود إلى الحقبة الفاطمية والتي تندثر وللأسف

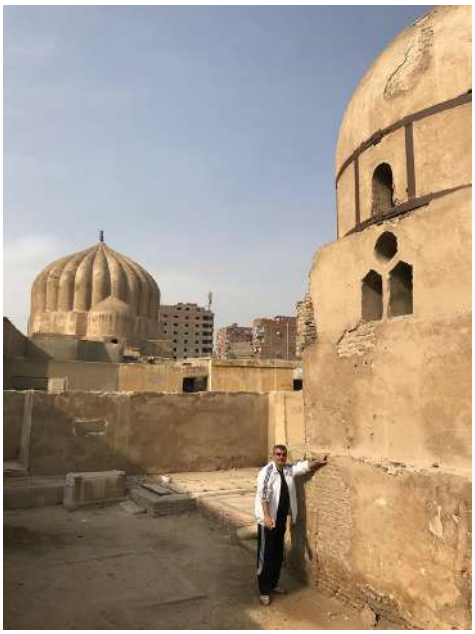

15 – صورة للدكتور قيس من الناحية الجنوبية للمقام الشريف

16 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين أحد القبور والأضرحة المندثرة إلى الناحية القبلية للمرقد الشريف

17 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى محراب قديم يعود إلى الحقبة الفاطمية

18 – صورة للدكتور قيس قرب مقام القاسم الطيب رضي الله عنه
وتبدو القبة الخاصة بيحيى الشبيه ووالدته السيدة آمنة رضي الله عنها

19 – صورة من الجهة الخلفية للمقام الشريف
ويبدو الدكتور قيس بين القبتين والى جواره بعض الأضرحة القديمة

آمنة أم الذرّية

في قرافة قريش، شرقي قبر الإمام الشافعي، في المنطقة المجاورة لمقام الإمام الليثي، وقرب ضريح ومقام السيد قاسم بن محمد الطيب رضي الله عنه ، والذي تحدثنا عنه في المقالة السابقة، توجد هناك قبة مشيدة منذ العهد الفاطمي فوق مجموعة أضرحة كانت تسمى قديماً بمشهد الأشراف، وتعرف حالياً بيحي الشبيهي.

وتنزل إلى تحت مستوى الأرض لتدخل من باب حديدي، لتجد مجموعة من الأضرحة المهملة جداً والأيلة إلى الإندثار نتيجة الإهمال. ويتوسط هذه الأضرحة تحت القبة ضريح خاص بالسيدة آمنة والمعروفة بأم الذرية رضي الله عنه .

فمن هي هذه السيدة الجليلة؟

هي السيدة آمنة بنت الإمام موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الإمام الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأمّها أم ولد من الصالحات والقانتات رضي الله عنه .

وهي أخت الإمام علي بن موسى الملقّب (بالرضا) الثامن من الأئمة عند الإمامية، وضريح الإمام الرضا في منطقة ومدينة طوس قديماً أو مشهد حالياً في إيران.

وهي شقيقة السيدة فاطمة المعروفة (بالمعصومة) وضريحها مشهور جداً في مدينة قم في إيران.

ولدت السيدة آمنة ونشأت وترعرعت في هذه الحديقة النبوية وسط إخوتها وأشقائها الذين ناهز عددهم 39 من ذكور وإناث. وتخلّقت بأخلاق القرآن، ونهلت علومها من المعين النبوي الشريف بواسطة والدها الإمام الكاظم، ومن شقيقها الإمام الرضا.

واشتهرت بالعلم والتقوى والورع والصلاح والجمال.

زواجها الميمون وسبب لقبها (أمّ الذرية):

نتيجة لعلو شرف نسب هذه السيدة الجليلة، وكمال دينها، وعظيم ورعها وتقواها، لم يكن من كفؤ للزواج منها سوى ابن عمها القاسم الطيب، أبن محمد المأمون، ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

وتقدم السيد قاسم الطيب إلى عمّه الكاظم لخطبة كريمته السيدة آمنة، وتمّ الزواج المبارك بين هاتين الدوحتين النبويتين المباركتين.

ورزقت من زوجها الطيب ذرية من الأشراف الذين اشتهروا بالعلم والورع والتقوى، والجود والكرم والشجاعة. ولهذا السبب لقّبت (بأم الذرية)، نسبة إلى هذه الذرية الطيبة.

أمّا زوجها القاسم الطيب فقد تقدم الحديث عنه في المقالة السابقة. أما عن حماها والد زوجها والملقب (بالمأمون) فقد تقدم شرح نبذة مختصرة عنه، كذلك الأمر بالنسبة إلى جد زوجها الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

أما عن والدها الإمام موسى بن جعفر الملقب بالكاظم عليه السلام فهذه نبذة مختصرة عنه أيضاً:

الإمام الكاظم:

هو الإمام موسى بن جعفر (الصادق)، بن محمد بن علي (الباقر)، بن علي بن الحسين (زين العابدين)، بن الحسين بن علي (شهيد كربلاء)، بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام.

ولد الإمام الكاظم في منطقة الأبواء بين مكة والمدينة عام (128 أ و129) للهجرة، وتوفي مسموماً في السجن عام (186 أ و188) للهجرة. أما عن سبب لقبه (بالكاظم)، لما كظمه من الغيظ، وصبر على ما فعله الظالمون به حتى مضى شهيداً في سجنهم. ومعنى الكاظم أيضاً: الممتلئ خوفاً وحزناً.

وكان الإمام الكاظم عليه السلام من أكثر الأئمة ذرية، بحيث أنه أعقب من عشرين ذكراً وله من الإناث عشرون، منهن السيدة آمنة رضي الله عنها.

قال الشاعر:

خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الأصول

بعض من مناقبه عليه السلام

ذكر صاحب (عمدة الطالب): كان عظيم الفضل، رابط الجأش، واسع العطاء.

وقال عنه المفيد: كان أعبد أهل زمانه وأزهدهم، وأفقههم، وأسخاهم كفاً، وأكرمهم نفساً. وفي مناقب (إبن شهر آشوب): كان

الإمام الكاظم أفقه أهل زمانه، وأحفظهم لكتاب الله، وكان أجلّ الناس شأناً، وأعلاهم في الدين مكاناً، وأسخاهم بناناً، وأخصمهم لساناً، وأشجعهم جناناً، قد خصّه الله بشرف الولاية وحاز إرث النبوة.

قوم كأولهم في الفضل آخرهم والفضل أن يتساوى البدء والعقب

بعض ما جاء عن عبادته عليه السلام

ما ذكره المفيد في (الإرشاد)، قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام أعبد أهل زمانه، بحيث أنه كان يصلي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من السجود حتى يقرب زوال الشمس. وكان يدعو كثيراً، فيقول: اللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب، ويكرر ذلك. وكان من دعائه أيضاً: عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك، وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل لحيته بالدموع، وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان إذا قرأه يحزن ويبكي، ويُبكي السامعين لتلاوته، وكان الناس بالمدينة يسمونه (زين المجتهدين).

بعض ما جاء عن سخائه عليه السلام

قال: كان أبو الحسن موسى عليه السلام أوصل الناس لأهله ورحمه، وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل، فيحمل إليهم الطعام والمال على ظهره ويوصل ذلك إليهم، بحيث لا يعلمون من أتى به إليهم، ولمّا انقطعت عنهم وشاع خبر وفاته عرفوا أنه هو صاحب ذلك الفضل.

سجنه ووفاته عليه السلام

ألقي القبض على الإمام الكاظم في المدينة المنورة، وهو قائم يصلي عند قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بأمرٍ من هارون الرشيد العباسي، وحمل مقيداً إلى البصرة وحبسه سنة في سجن عند عيسى بن جعفر، ثم نقله إلى بغداد فحبسه تارة عند الفضل بن الربيع، وأخرى عند الفضل بن يحيى، ثم نقله إلى حبس السندي بن شاهك، فضيق عليه السندي حتى مضت عليه أربع سنوات أو سبع سنوات وهو مسجون، ثم دسَّ إليه السم فقضى شهيداً مسموماً غريباً مظلوماً في حبس السندي. وبعد وفاته أخرج جثمانه الشريف وألقي على قارعة الطريق على جسر بغداد، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ورثاه الشاعر السيد صالح النجفي المعروف بالقزويني في قصيدة طويلة، يقول في مطلعها:

اعطف على الكرخ من بغداد وابك بها
كنزاً لعلم رسول الله مخزونا
موسى بن جعفر سر الله والعلم الـ
ـمبين في الدين مفروضاً ومسنونا
باب الحوائج عند الله والسبب الـ
ـموصل بالله غوث المستغيثينا
الكاظم الغيظ عمن كان مقترفاً
ذنباً ومن عمّ بالحسنى المسيئينا

وفاة السيدة آمنة عليها السلام ومرقدها

انتقلت روح السيدة الجليلة آمنة بنت موسى الكاظم إلى بارئها بمدة بعد وفاة زوجها القاسم الطيب، ودفنت في المقبرة والتي عرفت لاحقاً بتربة الأشراف. وقد ذكرها (الأسعد) النسابة، وعدّها القرشي في طبقة الأشراف.

وذكرها ابن عثمان في تاريخه، ونقل عن خادم ضريحها أنه كان يسمع قراءة القرآن في الليل، كما ذكر أن رجلاً جاءها بعشرين رطلاً من الزيت، وطلب من خادم الضريح أن يشعل هذه الكمية في ليلة واحدة، فوضع الخادم هذا الزيت في القناديل فلم تشتعل، فتعجب الخادم من ذلك، فرآها في المنام وهي تقول له: يا فقيه، ردّ عليه زيته فإنّا لا نقبل إلا الطيب، واسأله من أين أكتسبه؟ فلما أصبح جاء إلى الرجل الذي أحضر الزيت وقال له: خذ زيتك، قال الرجل: لم!!، قال الخادم: أنه لم يشتعل، وقد رأيتها في المنام وهي تقول: إنا لا نقبل إلا الطيّب، فقال الرجل صدقت، إني رجل مكاس (أي يجبي الضرائب)، ثم أخذ الزيت ومضى...

وقد أجمع المؤرخون كافة على صحة نسبة هذا الضريح بأنه لها. وأن الذي بنى هذا المشهد هو الخليفة الفاطمي الظافر بالله عام 545 للهجرة، وظل هذا المسجد المقام عامراً بذكر الله وقراءة القرآن، وكان يُحيي هذه الإحتفالات كبار القراء في مصر حتى الأمس القريب، كالشيخ مصطفى اسماعيل، والشيخ عبد الباسط عبد الصمد، وكان

يترأس هذه المراسم شيخ الأزهر الشريف بنفسه، ومنهم الشيخ عبد الحليم محمود رضي الله عنه .

حالة الضريح في الوقت الراهن

إن حالة الضريح الشريف في الوقت الراهن، وباللغة المصرية (بتصعب على الكافر)، أي أنه في حالة الإندثار التدريجي إلا إذا ما أذن المولى سبحانه وألهم المسؤولين باستنقاذه.

وإذا ما أردنا أن نعلق على ذلك، فمن ناحيتين:

الأولى: لغة العقل، إذ أن أي أمّة، أو حضارة، أو شعب، أو قبيلة، يهتمون بتراثهم ويفتخرون به، كما يشكل لهم ذلك إبراز عمق انتمائهم الإنساني والحضاري، كما أنهم يعمدون إلى تعريف العالم إليه لمعاينته عن قرب، مما يساعد في ربط الماضي بالحاضر، وفي إنتاج المستقبل المبني على تجنب الأخطاء الماضية.

بالإضافة إلى كل ذلك، فإن السياحة الدينية أصبحت تشكل دخلاً مهماً في ميزانية الدول، لذلك نجد أن الدول التي لديها آثار دينية إسلامية كانت أو مسيحية، فإنها عمدت إلى العناية بهذه الآثار لما تشكل من دخل يصب في مصلحة الصندوق القومي لهذه الدول. وأنا أجزم بأن مصر من خلال الآثار القديمة الموجودة فيها (الفرعونية والرومانية)، أو من خلال الآثار (الإسلامية والمسيحية)، فإن في ذلك ما يحقق لها دخلاً قومياً هائلاً.

أيضاً: وبرأينا فإن مصر تشكل نموذجاً حضارياً جامعاً وفريداً يجب

العناية به وتعريف العالم عليه، لا سيما أضرحة آل البيت والصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

الثانية: لغة القلب، لا أخفي ما أصابني من الألم والحزن العميقين عندما تشرفت بالدخول إلى هذه التربة وزيارة الأضرحة فيها، لا سيما مرقد السيدة آمنة بنت موسى رضي الله عنها. وخاصة معاينتي لآثار التخريب المتعمد والحديث، الأمر الذي زادني غماً وحسرة وأسفاً، حتى أنني قد بكيت لهول ما رأيت من تضييع لهذه المعالم الإسلامية، العزيزة على قلب كل مسلم، والمصريون من أوائلهم في الحب والود. وبقيت طوال مدة إقامتي في مصر المحروسة وهذه الصور لم تفارق قلبي وعقلي، وعند رجوعي إلى بيروت، وابتدائي بكتابة المقالات الخاصة بهذا الكتاب، وقع في خاطري بعض العبارات الأدبية التي تصف حالة هذا المرقد الشريف، بالإضافة إلى الصور المرفقة. فجاءت هذه العبارات على الشكل التالي:

أيا آمنة، يا ابنة الطيبين
أيُخفى قبَرك ويُترك ويُهمَل
وأنتِ أنتِ من دون العالمين
كريمةُ الكاظمِ المسمومِ والمُكبَّل
ما هكذا كان الظنُ بالمسلمين
الموالين لله ورسولِه والأُول
أيَرجون شفاعَة جدّك الأمين

يـــوم تَـــشْـــخـــصُ الأبـــصـــارُ والـــمُـــقـــل
وقـد فـاتـهـم أن شـرف الـمـكـان بـالـمـكـيـن
لا بـــالـــقـــصـــورِ الـــفـــارهـــةِ ولا بـــالـــطَـــلـــل
ومـــا هـــمَّـــك يـــا آمـــنـــةُ وأنـــتِ تـــسـكُـنـيـن
فـي ريـاض الـجـنـةِ وتـلـبـسـيـن الـحُـلـل
وفـــي جـــوارك الـــمـــلائـــكـــةُ مُـــتَـــقـــرِّبـــيـــنْ
يُـهـلـلـون، ويُـصـلُّـون عـلـى خـيـرِ الـرُسُـل
ألـشـبـيـهُ عـن الـيـمـيـن وابـنِ الأنـورِ الـحـسـن
وكـوكـبـةٌ مـن أظـهـرِ الـمـيَـامـيـن والـنِـحَـل
وأنـــتِ فـــي روضـــةٍ غـــنّـــاء تُـــقـــيـــمـــيـــن
مـــع آلِ بـــيـــتِ الـــنـــبـــي الـــمُـــبَـــجَّـــل
فـلـكِ مـنـيِّ عـهـدٌ ووعـدٌ ويـمـيـن. .
أن لا أتـــرُك زِيَـــارتـــك ومـــن دونِ وَجـــل
وإنـــي لأدعـــو الـــمـــولـــى الـــكـــريـــم أن
يُـعـيـن عـلـى الـبـرِّ بـعـهـدي ونـيـلِ الأمـل
بـالـشـفـاعـة يـومَ الـخـوفِ والـمِـحَـن
فـأنـتـم وسـيـلـةُ الله ورحـمـتـهُ والـعِـلَـل. .
فـالـحـمـد والـشـكـر لله ربِّ الـعـالـمـيـن

والـصـلاة والـسـلام عـلـى خـاصَّـتـه والـرُسُـل

وقبل الختام أقول: السلام على رسول الله وعلى آل بيته الطيبين لا سيما سيدتي آمنة بنت موسى (الكاظم) وعلى أصحابه الأخيار وعلى جميع المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

وفي الختام نورد أهم المراجع والمصادر التي اعتمدنا عليها في هذا البحث:

1 - تراجم أعلام النساء	للأعلمي الحائري
2 - المجالس السنية	للسيد الأمين
3 - نور الأبصار	للشبلنجي
4 - الخطط التوفيقية	لعلي باشا مبارك
5 - مراقد آل البيت	محمد زكي ابراهيم
6 - الكواكب السيارة	لإبن الزيات
7 - الإرشاد	للشيخ المفيد
8 - عمدة الطالب	لإبن عنبة
9 - مقاتل الطالبين	لأبي الفرج الأصبهاني
10 - الدروس البهية	للوساني
وغيرها الكثير	

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة الدكتور قيس أمام مدخل مقام يحيى الشبيه والسيدة آمنة رضي الله عنها وتبدو القبة الخاصة لهذه المراقد الشريفة

2 – باب مدخل المقام وعليه جدارية تحمل إسم يحيى الشبيهي (الشبيه) وهو مقفل على الدوام

3 – صورة للعم جمال وهو يفتح لنا باب المراقد الشريفة وذلك بعد العناء والجهد للوصول إليه لكونه من يحمل مفتاح هذا الباب

4 – صورة للدكتور قيس وهو يقف على عتبة باب المراقد الشريفة قبل الدخول والزيارة

5 – صورة لمرقد السيدة آمنة رضي الله عنها وتبدو الحالة السيئة للمكان بشكل واضح وللأسف

6 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين لوحة رخامية منقوشة بالخط الكوفي القديم وموضوعة لجهة الرأس الشريف

7 – صورة إضافية للدكتور قيس وهو يعاين هذه اللوحة ويبدو مرقد يحيى الشبيه ليمين الصورة

8 – صورة للدكتور قيس وهو يقرأ الفاتحة للسيدة آمنة رضي الله عنها

9 – صورة للدكتور قيس وهو يقف لجهة اليسار من المرقد الشريف

10 – صورة للدكتور قيس وهو يقف بين ضريحي السيدة آمنة ويحيى الشبيه

11 – صورة للدكتور قيس وهو يبدو متأثراً جداً للحالة السيئة لهذه المراقد الشريفة

12 – صورة للدكتور قيس وهو يقف في المحراب الكبير داخل المقام الشريف والذي لطالما كان عامراً بالذكر والصلوات

13 – صورة للدكتور قيس وهو يعاين أحد الأضرحة المندثرة والمجهولة

14 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى ضريح مجهول ومهدم

15 – صورة للدكتور قيس قرب ضريح مجهول ومندثر ويبدو المحراب الثاني في المقام لجهة اليمين للداخل إليه

16 – صورة للدكتور قيس وهو يقف بجوار مرقد عليه صندوق خشبي قديم تعلوه الأتربة والأوساخ وهو مجهول وغير معروف لمن يعود

يحيى الشبيهي

كنا قد استعرضنا في المقالتين السابقتين موضوع السيد (القاسم الطيب) وزوجته السيدة (آمنة أمّ الذرية)، وشرحنا في هاتين المقالتين جملة من أخبارهما وزواجهما المبارك.

وسنشرع الآن بإذن الله بنقل أخبار ذريتهما الطيبة، وخاصة أنهم مدفونون إلى جوار بعضهم في تربة الأشراف إلى جانب مرقد والدتهم السيدة آمنة بنت موسى الكاظم عليها السلام.

وننطلق في البداية مع أبرز أبنائهم، وهو يحيى والملقّب (بالشبيه) ويعرف حالياً (بالشبيهي).

فمن هو يحيى الشبيه؟

هو يحيى بن القاسم الطيب بن محمد المأمون بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، ووالدته هي السيدة آمنة بنت الإمام الكاظم عليه السلام ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

فوالده وأمّه أبناء عم لجد مشترك هو الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ولم يذكر المؤرخون تاريخ ولادته المباركة، رغم شهرته الواسعة في العالم الإسلامي آنذاك، وجلّ ما ذكروه عنه هو ذلك السبب من

وراء نعته (بالشبيه)، كما ذكروا تاريخ وفاته ومكان ضريحه، وشيء عن أحواله ومناقبه.

سبب تسميته بالشبيه

بحسب المراجع والمصادر التاريخية، أنه كان شديد الشبه بجدّه الأعلى رسول الله ﷺ، كما كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوّة المشهور لرسول الله ﷺ.

كما أنه كانت لديه من المناقب والأخلاق الرفيعة ما يذكّر المسلمين برسول الله ﷺ، وكان رضوان الله عليه إذا دخل الحمام العام ليغتسل وشاهده الناس، وعاينوا تلك الشامة بين كتفيه، كانوا يكبّرون ويهللون ويصلون على النبي وعلى آله.

وذاع صيته بالأرجاء حتى طغى على إسم والده (المأمون) وتميّز عن باقي أشقائه.

سبب قدومه إلى مصر

تذكر المصادر التاريخية سبب قدوم يحيى الشبيه واسرته مع والديه وإخوته بشكل عام، ولا تذكر الأسباب التفصيلية، وتحيل ذلك إلى دعوة وجهها له أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية، ولنا وقفة خاصة مع ابن طولون في مقالة خاصة.

ومن خلال مقابلة هذه النصوص التاريخية ببعضها البعض، ومن خلال دراسة العوامل السابقة عليها والمرافقة لها، نصل إلى الإستنتاج التالي:

قامت العديد من الثورات على ابن طولون نتيجة لكثرة سفكه للدماء، ولإنتشار الجوع والفقر في عهده نتيجة أعمال الحاشية المحيطة به، ما جعل الناس في مصر تحديداً يلوذون بالسيدة نفيسة عليها السلام لنجدتهم ورفع الظلم عنهم، وسترد هذه المسألة بشيء من التفصيل في مقالة ابن طولون.

كما ثار أهل الحجاز عليه، وكان جلّهم من أبناء وذرية الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وبالأخص أبناء طباطبا، وأبرزهم كان محمد بن ابراهيم طباطبا الحسني والذي كان يدعو لنفسه ويرفض الخلافة العباسية، ولقد كان جدّ (يحيى الشبيه) وهو (محمدالمأمون) من مناصري ابن طباطبا في دعوته.

وقد انتهت حركة محمد بن ابراهيم طباطبا بعدما ألقي القبض عليه من قبل الخليفة العباسي المأمون.

إلّا أن أبناءه ما لبثوا حتى انتفضوا على ابن طولون وكانوا يومذاك في مدينة الرسّ في الحجاز.

فأصدر ابن طولون أمراً يقضي بمصادرة أملاكهم في الرسّ، وهي تعرف بالتاريخ بإسم (مصادرة الرسيين)، وأمر بحمل عبد الله بن القاسم بن محمد بن ابراهيم بن طباطبا مع ابنه القاسم ابن عبدالله، وحفيده جعفر بن القاسم، إليه في مصر.

وفي الوقت نفسه ونتيجة لشيوع ذكر يحيى الشبيه بين المسلمين في الحجاز وصولاً إلى مصر، والتفاف وحبّ الناس حول آل البيت وخاصة بعد واقعة كربلاء، وفي طليعتهم أهل مصر، وتداركاً لخطر

دعوة يحيى الشبيه لنفسه مع ما يشكل ذلك من خطر على ابن طولون، واحتواءً للأزمة التي نشأت من خلال قمع ذرية طباطبا ومصادرة أملاكهم، أقدم ابن طولون على هذه الخطة. فقد أوعز بإشاعة حبّه وشغفه بلقاء شبيه رسول الله ﷺ بين الناس، وأوفد الوفود المحملة بالهدايا، وأصرّ عليهم بالقدوم إلى مصر مع كامل أسرته، تطييباً لقلوب المصريين، لما هو عليه من الخير، ولما هو معروف عن المصريين من صدق حب أهل البيت النبوي الشريف.

وتمّ لإبن طولون هذا الأمر، وقد كان يوم دخوله مصر ومن معه من الأشراف عيداً من أكبر الأعياد، وخلت دور مصر من قاطنيها ليلة قدومه.

فاستقبله ابن طولون وأكرمه وأكرم أسرته، وبقي محظياً بالإجلال والإحترام من المصريين حتى توفي في العام (263) للهجرة.

ومن خلال فعل ابن طولون هذا، استطاع أن يدرأ خطراً يهدد حكمه من جهة، وأن يقضي على ثورة الطباطبائين عليه في الحجاز من جهة أخرى.

ويروى: أنه كان من جملة من خرج لإستقبال يحيى الشبيه رجل يدعى أبو إسرائيل اليهودي.

وكان هذا الرجل اليهودي كفيفاً، فقال لابنته: خذي بيدي، وإذا ما رأيتِ هذا الرجل (أي يحيى) فأخبريني به.. فلما رأته قالت له: هنا هنا يا أبت... فقال أبو إسرائيل: اللهم إن كان هذا شبيهاً بنبيّك في شيء من خلقه وهو على حق، فاردد عليّ بصري، فما أتمّ كلامه حتى

ردّ الله بصره عليه، فما عاد إلى داره إلّا وهو يمشي مع الناس بصيراً، فأسلم من جرّاء ذلك وحسن إسلامه.

وفاته ومرقده ومن دفن بجواره

تقدم القول بأن وفاة (يحيى الشبيه) عليه السلام كانت في العام 263 للهجرة، ودفن في تربة الأشراف إلى جانب ضريح ومرقد والدته السيدة آمنة بن الإمام الكاظم عليه السلام من جهة اليمين، أمّا عن يسار مرقد السيدة آمنة فيوجد مرقد السيد يحيى بن الحسن الأنور، وهو أخ السيدة نفيسة عليها السلام.

ويذكر ابن الزيات حكاية مشهورة عن كرامة (يحيى الشبيه)، وهي: أنه كان يُرى على قبره نور، قال أبو الذكر: دخلت إلى قبر يحيى فلم أحسن الأدب، فسمعت من قبر ورائي يقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 33]. ويضيف أبن الزيات بالقول: والواجب على الزائر إذا دخل مكان فيه أشراف أن يقرأ هذه الآية، كما أن مشهد يحيى الشبيه معروف بإجابة الدعاء فيه.

وإلى جانب مرقد السيدة آمنة، ويحيى الشبيه بن حسن الأنور، تنتشر مجموعة مراقد وأضرحة لمجموعة من الأشراف وهم:

1 - عبد الله بن القاسم الطيب، وهو أخ يحيى الشبيه.

2 - الحسن بن القاسم الطيب، وهو شقيق يحيى الشبيه.

3 - المحسن بن القاسم الطيب، وهو شقيق يحيى الشبيه.

4 - أم كلثوم بنت القاسم الطيب، وهي أخت يحيى الشبيه.

5 - محمد بن القاسم الطيب، وهو أخو يحيى الشبيه.

6 - علي بن عبد الله القاسم الطيب، وهو ابن أخ يحيى الشبيه، وهو من أهل الصلاح والدين، ومشهده جليل القدر، أمر ببنائه الخليفة الظافر الفاطمي، وكان يحمل إليه النذور.

7 - رجل من ذرية اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ذكره القرشي في (طبقاته).

كما يوجد في هذه التربة الطيبة مجموعة من الأشراف الذين اندثرت معالم أضرحتهم، ولم يعد بالإمكان التعرف إليها، هذا بالإضافة إلى مراقد لبعض العلماء والعرفاء المندثرة أضرحتهم أيضاً، كما تظهر الصور المرفقة مع هذه المقالة.

ومن الجهة الغربية لمدخل هذه التربة الشريفة، يوجد حوش خاص فيه قبرين من الدفن القديم، يقال أنها تعود للسيدة (مشعرة) والسيدة (ست الناس) مولاتا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ويقال أنه قبر واحد للسيدة زبيدة القرشية زوجة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، والله أعلم.

كما يوجد ضريح لرجل صالح يعرف باسم (القمّاح) أو (زارع النوى)، وكان من أهل الخير والصلاح والدين.

ويوجد قبور قديمة وأضرحة مجهولة تنسب لبنات بني النجار، أو للبنات الأبكار كما يذكر، وهذه الأضرحة أيضاً شبه مندثرة وأصحابها أضحوا غير معروفين، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

حالة الضريح ليحيى الشبيه والتربة بشكل عام

يعجز القلم عن تسطير حالة هذه التربة الطيبة ومراقد الأشراف

فيها، لما أصابها من إهمال وعبث، واندثار لمعالم إسلامية في غاية الأهمية.

لذا نعود ونكرر الدعاء للباري ﷻ أن يلهم المسؤولين عن هذه المعالم الحضارية الإنسانية والإسلامية باستنقاذها من الإندثار الوشيك جداً. وبالله الأمل والرجاء.

فالسلام على ساكني هذه التربة الشريفة ورحمة الله وبركاته.

أهم المصادر والمراجع:

1 - نور الأبصار	للشبلنجي
2 - الكواكب السيارة	لابن الزيات
3 - مراقد أهل البيت	أحمد زكي ابراهيم
4 - الخطط التوفيقية	لعلي باشا مبارك
5 - عمدة الطالب	لابن عنبة
6 - يحيى الشبيه موقع	د. محمود صبيح

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

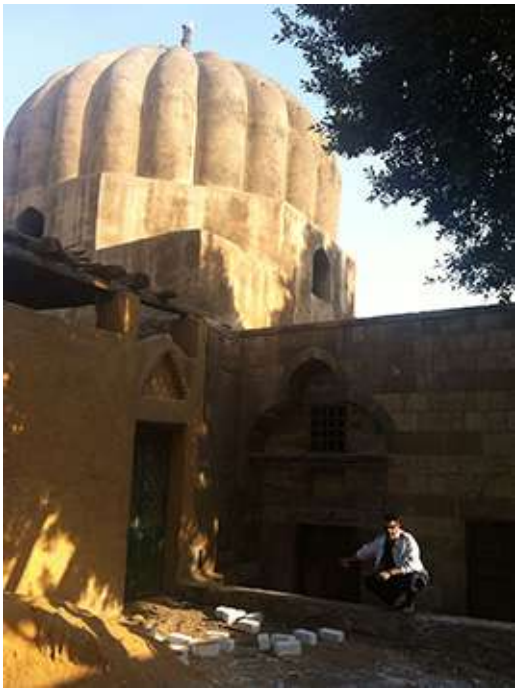

1 – الدكتور قيس قرب مقام يحيى الشبيه وتبدو القبة الشريفة

2 – وأيضاً على مدخل التربة

3 – الدكتور قيس من داخل المقام حيث يظهر الباب القديم

4 – الدكتور قيس قرب ضريح يحيى الشبيه وتبدو الحالة السيئة جداً لهذه الأضرحة الشريفة

5 - وأيضاً صورة أخرى قرب الضريح الشريف

6 - وأيضاً صورة أخرى قرب الضريح الشريف

7 – صورة للدكتور قيس بين ضريح يحيى الشبيه والسيدة آمنة رضي الله عنها

8 – صورة تظهر الدكتور قيس متأثراً لحالة هذه الأضرحة الشريفة

9 – صورة تظهر مرقد السيد علي بن عبد الله القاسم الطيب والحسن بن القاسم الطيب
وذلك على يمين الدكتور أحمد قيس في عمق الصورة

10 – وأيضاً صورة لمحراب المقام الشريف ويبدو من جهة اليمين
ضريح يحيى الشبيه ومن جهة اليسار ضريحي عبد الله والحسن رضي الله عنهم

11 – صورة تظهر مرقد يحيى المتوج بالأنوار وفي عمق الصورة
القبور المنسوبة لبنات بني النجار أو بني زهرة

12 – الدكتور قيس وهو يعاين أحد المراقد التي تعرضت للهدم
والتي لا يمكن التعرف إلى هوية صاحبه

13 – صورة لمرقد آخر مندثر
وينسب لمحمد المظلوم

14 – صورة لمرقد آخر مندثر
لا يعلم صاحبه وللأسف

15 – الدكتور قيس إلى جوار مرقد
منسوب لمحمد زارع النوى

16 – الدكتور قيس وهو يعاين
ضريح غير معروف لمن ينسب

فاطمة العيناء

بجوار مرقد القاسم الطيب رضي الله عنه ، وبمحاذاة تربة الأشراف الموجود بها أضرحة: السيدة آمنة رضي الله عنها ، ويحيى الشبيه رضي الله عنه ، وغيرهم من الأشراف الذين تمّ ذكر أسمائهم في مقالة يحيى الشبيه رضي الله عنه ، يوجد هناك ضريح تعلوه قبة خضراء صغيرة، وتعرف صاحبة هذا المرقد الشريف بإسم (فاطمة العيناء). فمن هي هذه السيدة الجليلة؟

فاطمة العيناء

هي السيدة فاطمة بنت القاسم الطيب بن محمد المأمون بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأمّها السيدة الجليلة آمنة بنت الإمام الكاظم عليه السلام .

وأخوها يحيى الشبيه رضي الله عنه

ولقّبت بالعيناء لحسن عينيها وجمالهما، ويقال أيضاً: نسبة إلى جمالها الذي يشبه الحور العين، وأيضاً: نسبة للشبه بينها وبين جدّتها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام .

بعض من مناقبها

بالإضافة إلى شرف نسبها الرفيع، وجمالها الباهر، فقد امتازت السيدة فاطمة بالتقوى والزهد والعلم والعفاف. وكانت من العابدات

القانتات الصائمات والتاليات لكتاب الله ﷻ ، حتى أن المصحف الشريف الذي كانت تتلوه آناء الليل والنهار، وضع في مرقدها عند رأسها الشريف.

ونتيجة لصدق إخلاصها لله، وصلاحها، وبِرِّها للناس، كانت الوفود تأتيها لنيل بركة دعائها. هذا في حياتها.

أمّا بعد وفاتها، فقد أمسى مرقدها الطاهر قبلة للمسلمين، وكانوا يأتون إلى هذا المرقد الشريف ويدعون الله سبحانه عنده من أجل قضاء حوائجهم ومسائلهم.

ويقول ابن الزيّات: والدعاء في محرابها مجاب.

وفي أعلى الباب لمرقدها توجد جدارية من الرخام القديم، وقد نقشت عليه هذه الأبيات من الشعر:

هذا مقام كريمة الآباء من لُقّبت يا صاح بـ (العيناء)
تدعى بفاطمة غدت منسوبة للمصطفى المخصوص بالإسراء
قد سميت عيناء لما أن بدا في عينيها شبه من الزهراء
بشرى لزائر قبرها فلقد سما بمودة القربى إلى العلياء
فأنزل بساحتها وقف متضرعاً وأطلب من المولى قبول دعاء

تاريخ ولادتها المباركة ووفاتها

لم نعثر في الكتب والمصادر التاريخية التي راجعناها تواريخ الولادة أو الوفاة، وإن كان هذا الأمر يشكّل نقصاً في المعلومة التاريخية، إلّا أنه لا يغير شيئاً لجهة شرف وطهارة ومكانة هذه السيدة الجليلة رضوان الله عليها.

بعض من كراماتها ومن يجاور مرقدها

ينقل ابن الزيات عن خادم الضريح: أنه كان يقرأ عندها سورة الكهف، فغلط في موضع فردّت عليه من داخل القبر.

وكان المصريون - وما زالوا - يعظّمون هذا المشهد الشريف لما رأوا من عظيم بركته، لذا فإنه وعند بناء مشهد ومقام الإمام الشافعي رضي الله عنه، حملوا من حوله جماعة من الصالحين ودفنوهم إلى جوار مشهدها الشريف، لنيل شرف مجاورتها في مرقدها، وهم يُعرفون ببني زهرة.

ودفن إلى جوارها العديد من الأشراف كما ذكرهم ابن الزيات، وهم:

1 - السيد الشريف محمد بن اسماعيل بن عبد الله الحسيني.

2 - الشريف زيد ابن أحمد بن يحيى بن محمد بن علي بن اسماعيل ابن عبد الله المحض ابن الحسن المثنّى عليه السلام.

3 - السيد الشريف يوسف ابن اسماعيل بن ابراهيم الحسيني.

4 - السيد الشريف زيد بن محمد بن يحيى بن محمد بن علي بن اسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام.

5 - السيد الشريف أبي القاسم ابن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن المثنّى عليه السلام.

6 - السيد أبي طالب الحسن بن جعفر.

7 - السيد محمد بن حمزة بن محمد.

8 - هذا بالإضافة إلى وجود ضريح ومرقد خادم السيدة فاطمة العيناء رضي الله عنه ، وهو على الأغلب صاحب الرواية المنقولة حول تصحيح القراءة في المصحف الشريف، ويدعى: الشيخ داود، وهذا المرقد مستقل كما تظهر الصور المرفقة.

9 - كما يقال أن في مشهد السيدة فاطمة العيناء مشهد ومقام السيدة زينب بنت يحيى المتوج بالأنوار، وسيأتي الكلام عنه بإذن الله.

10 - وضريحان كبيران، أحدهما للمنسترلي باشا والآخر لأحد أبنائه، وتظهر الصور المرفقة تلك الأضرحة. ومنسترلي باشا هذا، هو من قام بتجديد عمارة المشهد أيام حكم الأسرة العلوية أي (محمد علي باشا).

حالة الضريح في الوقت الراهن

يعتبر مقام وضريح السيدة فاطمة العيناء رضي الله عنه بحالة جيدة جداً مقارنة بالأضرحة الموجودة في تربة الأشراف التي تم الحديث عنها سابقاً.

إلّا أن الإشكالية تكمن في إغلاق أبوابه معظم الوقت، وكما تنقل جريدة اليوم السابع المصرية: . . . ولأعوام طويلة مضت كانت تفتح أبواب المقام أمام المحبين والزوار على يد خادم المقام كما يقول (سيد حربي) أحد سكان المنطقة، مضيفاً أنه منذ وفاة الخادم، فإن أبناءه هم من ورثوا مفاتيح الأبواب ويفتحونها كل حين وحين، موضحاً أن قلة من المريدين هم من يأتون لزيارة المقام من أماكن بعيدة، في حين

تقتصر زيارته على أهالي المنطقة فقط الذين قد يقصدونها لقضاء بعض حاجاتهم ملتمسين منها البركة لمساعدتهم في قضاء هذه المسائل.

فالسلام عليك أيتها الشريفة العيناء وعلى أمل الشفاعة منكم آل البيت يوم القيامة.

أهم المصادر والمراجع لهذا البحث:

1 - نور الأبصار الشبلنجي

2 - الكواكب السيارة ابن الزيات

3 - مراقد أهل البيت محمد زكي ابراهيم

4 - أخبار الزينبيات حسن قاسم

5 - تحفة الأحباب للسخاوي

6 - الخطط التوفيقية علي باشا مبارك

7 - أعلام الورى الطبرسي

8 - نراجم أعلام النساء الأعلمي الحائري

9 - جريدة اليوم السابع المصرية

وغيرها من المصادر والمواقع.

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس على باب مدخل الحوش المؤدي إلى مرقد السيدة فاطمة رضي الله عنها

2 – صورة للدكتور أحمد قيس على باب مرقد السيدة فاطمة رضي الله عنها

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد خادم الضريح صاحب الحادثة المشهورة والذي يدعى بالشيخ داود

4 – جدارية قرب مقصورة السيدة فاطمة رضي الله عنها

5 – صورة لقصيدة مهداة للسيدة فاطمة رضي الله عنها داخل المقام

6 – صورة للدكتور قيس بعد فتحه لباب المقصورة الخاصة بالمرقد الشريف

7 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف لجهة الرأس المبارك

8 – أيضاً صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف لجهة الرأس

9 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد من جهة الرأس الشريف للناحية القبلية

10 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف لجهة القدمين المباركتين

11 – صورة للدكتور قيس وهو يشير باتجاه القبة التي تعلو المرقد الشريف

12 – صورة للدكتور قيس إلى جوار أضرحة المنسترلي باشا وابنه

أم كلثوم بنت الحسين

إلى جوار مرقد الشريف السيد قاسم الطيب رضي الله عنه لجهة القبلة، يوجد غرفة مغلقة على الدوام وفوق باب المدخل هناك جدارية كتب عليها: مقام السيدة أم كلثوم بنت الإمام الحسين عليه السلام.

فمن هي هذه السيدة الجليلة؟ ومدى صحة أنها بنت الإمام الحسين عليه السلام؟

أم كلثوم بنت الحسين

هي السيدة الجليلة أم كلثوم أو (كلثم) زينب بنت القاسم الطيب، ابن محمد المأمون، ابن الإمام جعفر الصادق، ابن الإمام محمد الباقر، ابن الإمام علي زين العابدين، ابن الإمام الحسين الشهيد، ابن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأمّها هي السيدة آمنة بنت الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

وأخوها: يحيى الشبيه رضي الله عنه.

وأختها: فاطمة العيناء رضي الله عنها.

أمّا عن نسبتها بشكل مباشر إلى الإمام الحسين فهو خطأ، لأنها بنت القاسم الطيب من ذرية الإمام الحسين عليه السلام.

وهذا النوع من التسمية أي نسبة أحد ما إلى أحد أجداده العظماء معروف ومشهور، إلّا أنه من الناحية العلمية غير صحيح، لأنه مع تطاول الأزمنة قد يؤدي ذلك إلى تشويش في صحة النسب، وبالتالي ضياعه.

وعلى كل حال، فإن هذا الأمر ولله الحمد أمكننا من توضيحه للأجيال القادمة.

وهناك مسألة لا بدّ من الإشارة إليها، وهي: أن السيدة زينب (أم كلثوم) بنت القاسم الطيب رضي الله عنه، هي غير السيدة زينب (أم كلثوم) بنت يحيى المتوّج بالأنوار رضي الله عنه، والتي أشرنا إليها في مقالة السيدة العيناء وقلنا أنها مدفونة معها بحسب البعض من أهل التاريخ.

ولادتها ووفاتها

لم نُوفق أيضاً بالعثور على هذه التواريخ من الكتب والمصادر التي راجعناها، والمسألة قد تحتاج إلى وقت طويل من التدقيق والبحث، إلّا أننا اخترنا العزوف عن هذا الأمر في الوقت الراهن على أمل العمل عليه في المستقبل إن شاء المولى، وخاصة أننا منهمكين في إنهاء هذا الكتاب قبل حلول الأجل والله المستعان.

مع الملاحظة إلى أننا وجدنا ما يشير إلى تاريخ وفاتها في العام (240) للهجرة، وهذا الأمر غير قطعي ويحتاج إلى التدقيق.

بعض من أخبارها

ذكر القرشي في (طبقة الأشراف) السيدة زينب (الكلثمية)، ومعنى (الكلثمية) أي من ذرية القاسم الطيب، وذريته يعرفون بالكلثميين، ويعرفون أيضاً (بالطيارة).

وقال إن مرقدها على جانب الطريق عند مشهد آمنة بنت الإمام الكاظم عليه السلام.

وقد كان مشهدها كبيراً ومعروفاً ويزار على مدى الوقت، وتقام به الموالد وحلقات الذكر.

وبعد التحقيق والتدقيق تبين أن أولادها هي يعرفون (بالكلثميين) نسبة لها، وتمييزاً لهم عن سائر أبناء القاسم الطيب وذرياتهم.

وهذا ما أكّد عليه ابن عثمان في تاريخه، حيث قال: أنها تزوجت وأنجبت الأولاد، وقد انقرضت ذريتها، وقيل أن معها في مشهدها جماعة من أولادها.

بعض من مناقبها وكراماتها

قال الأسعد النسابة عنها: . . . . وشهرتها تغني عن الإطناب في مناقبها، وأن مشهدها معروف باستجابة الدعاء عنده.

ونقل ابن الزيات، أن الخليفة الظافر الفاطمي، كان يأتي إلى زيارتها ماشياً، تعظيماً لقدرها عند الله. وكان أهل مصر يأتون إلى زيارة مرقدها بشكل كبير، وعلى مدى العام.

وهذا إن دلّ على شيء، فإنه يدل على المستوى العالي من التقوى والورع والعلم والزهد التي اشتهرت بها السيدة زينب (أم كلثوم) في حياتها، وتناقلتها الأجيال، ولكن وللأسف لم تدوّن بشكل تفصيلي أو على الأقل لم نجده نحن.

ومن كرامتها التي منّ الله عليها: أنه حصل في زمن انخفاض في مستوى نهر النيل، ولم تمطر السماء أيضاً، فجاء أهل مصر إلى مشهد السيدة (أم كلثوم) زينب بنت القاسم، وأخذوا يدعون الله ويصلون صلاة الإستسقاء، فجرى نهر النيل من فوره بإذن الله وببركة هذه السيدة الجليلة.

مرقدها الشريف ومن دفن إلى جوارها

1 - بالإضافة إلى وجود ضريح السيدة زينب بنت القاسم (أم كلثوم)، دفن معها جماعة من أولادها لم تذكر المصادر التاريخية أسماءهم، بل اكتفت بالإشارة إليهم باسم (الكلثميين).

2 - ويوجد أيضاً ضريح الشيخ أبي العباس أحمد السردوسي، خادم أبي العباس أحمد البدوي (شيخ الطرقية)، وسنفرد له مقالة خاصة بإذن الله.

3 - وبجوارها السيد الشريف ابراهيم الغمر من ذرية ابراهيم الغمر بن عبد الله المحض بن الحسن المثنّى بن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

4 - ضريح الشيخ علي الخامي خادم مشهد السيدة زينب بنت القاسم رضي الله عنه.

5 - وذكرت المصادر وجود جماعة من الأشراف دفنوا إلى جوار مرقدها، ولم تحدد أسماءهم.

حالة المرقد والمشهد

تعتبر حالة هذا المشهد الشريف والمقام بداخله جيدة إلى حدٍ ما، إلا أن مظاهر الإهمال والهجران بادية عليه، ويزيد الطين بلّة إغلاقه بشكل دائم، ونحن وفقنا الله إلى الوصول لمن لديه المفتاح بعد عناء ليس بقليل.

وللأسف أن تصل الأمور ببعض المعالم الإسلامية إلى هذا الحد من الإهمال.

فبعدما كان هذا المشهد عامراً بالصلاة، وقراءة القرآن، والدعاء، وبالزوار الذين يأتون مشياً على أرجلهم كحال الخليفة الفاطمي (الظافر)، أضحى هذا المشهد مهجوراً ومهملاً، ولا يزوره أحد تقريباً، حتى أنه وعند زيارتنا لهذا المشهد كان الغبار والأتربة تعلوه، ولا توجد فيه إضاءة، أو أي شيء من هذا القبيل. ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فالسلام عليك يا سيدتي يا زينب بنت القاسم (أم كلثوم)، وعلى جميع من جاورك من المسلمين والمسلمات.

أهم المصادر والمراجع

1 - أعلام تراجم النساء الأعلمي الحائري

2 - الكواكب السيارة لإبن الزيات

3 - نور الأبصار للشبلنجي

4 - مراقد آل البيت محمد زكي ابراهيم

5 - الخطط التوفيقية علي باشا مبارك

6 - طبقة الأشراف للقرشي

7 - أخبار الزينبيات حسن قاسم

8 - آل البيت في مصر د. عادل عدس

وغيرها من المصادر.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – الدكتور قيس يشير إلى الجدارية فوق مدخل المقام وهي خطأ بحيث كتب عليها (أم كلثوم بنت الحسين) وقد أوضحنا ذلك في المقالة

2 – صورة لمدخل مقام السيدة أم كلثوم زينب بنت القاسم الطيب من ذريّة الإمام الحسن عليهما السلام ويبدو المقام في وسط الصورة

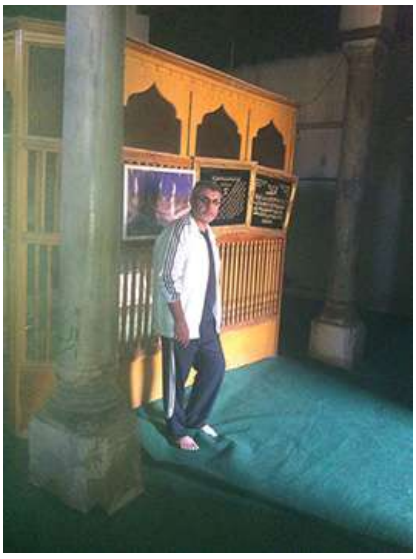

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد أم كلثوم زينب بنت القاسم الطيب

4 – صورة عامة لمقصورة الضريح وهي من الخشب المزين بالنقوش

5 – صورة للدكتور قيس بجوار المرقد الشريف من زاوية أخرى

6 – صورة للدكتور قيس وهو يفتح باب المقصورة للدخول إلى المرقد الشريف

7 – صورة للدكتور قيس من داخل المقصورة ويبدو المرقد الشريف للسيدة أم كلثوم

8 – صورة للدكتور قيس لجهة الرأس الشريف

9 – صورة للدكتور قيس من داخل الضريح للجهة المقابلة للرأس الشريف

10 – صورة للدكتور قيس وهو يخرج من مقصورة الضريح الشريف

يحيى المتوّج بالأنوار

في قرية الغار الواقعة في محافظة الشرقية في مصر، هناك مقام شامخ يعرف صاحبه بإسم (يحيى المتوّج بالأنوار)، فمن هو يحيى هذا؟

يحيى المتوّج

هو يحيى الملقّب (بالمتوّج بالأنوار) بن حسن الملقّب (بالأنور) ابن زيد الملقّب (بالأبلج) ابن الإمام الحسن المجتبى (السبط) ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وأخته هي السيدة نفيسة رضوان الله عليها، صاحبة المقام الشريف المعروف والمشهور.

أمّا بالنسبة إلى والدته، فإننا لم نجد من تحدّث عنها أو ذكرها على الرغم من بحثنا.

أمّا عن ولادته المباركة فقد ذكرت المصادر أنها كانت في المدينة المنورة حيث نشأ وترعرع في رعاية والده الحسن الأنور، وكنّا قد استعرضنا أحواله في كتاب (مصر وآل البيت).

ولم تذكر المصادر تاريخ هذه الولادة الميمونة، كما أنها لم تحدد تاريخ وفاته.

لقبه المتوّج بالأنوار

أوردت المصادر أنه كان عابداً زاهداً وتقياً ورعاً، حاله بذلك كحال معظم آل البيت النبوي الشريف، وكان الناظر إليه يستشعر بتلك الأنوار التي تشع من وجهه المبارك، لما كان عليه من ميراث النور النبوي والبركة، كما أنه كان ذو مهابة وخُلق رفيع.

لهذه الأسباب لُقّب (بالمتوّج بالأنوار).

قدومه إلى مصر

تذكر كتب التاريخ أنه وَفدَ إلى مصر بصحبة أخته السيدة نفيسة رضي الله عنها، وبقي في مصر حيث توفي ودفن فيها.

ولقد ذكره ابن الجبّاس في (طبقة الأشراف) كما نقل عنه ابن الزيات في (الكواكب السيارة)، كما أنهم ذكروا ابنته زينب التي كانت في خدمة عمتها السيدة نفيسة رضي الله عنها، ونقلت عنها وعن أحوالها الكثير.

مرقده الشريف في قرية الغار من مدينة الزقازيق

هذا المرقد الشريف والمنسوب إلى السيد يحيى (المتوج بالأنوار) هو مكتشف منذ العام 1967 م أي إنه من المراقد الحديثة الإكتشاف في تلك المنطقة.

ومسألة اكتشاف هذا الضريح تعود إلى المهندس محمد حسن محمد زمزم عام 1967 م، حيث كان يصلي في بيته في القاهرة عندما أحسّ بوجود رجل من خلفه يرتدي الزي الإسلامي مع العمامة على رأسه وهو يقول له: أنا يحيى ابن الحسن ابن زيد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، وأخو السيدة نفيسة، وابنتي السيدة زينب خادمة عمتها

نفيسة، وبعدها طلب منه أن يقيم (مقام) له في نفس مكان مقتله حيث يقبع جسده، وذلك في منزل عائلة زمزم في قرية الغار، والذي كان مغلقاً منذ انتقال العائلة إلى القاهرة.

وبالفعل امتثل المهندس محمد زمزم لهذا الأمر، وأخذ بنبش أرضية الدار حيث أشار عليه بذلك، وبالفعل وعلى عمق ستة أمتار وجد ضريحاً عليه إسم صاحبه وهو (يحيى ابن الحسن ابن زيد).

وعلى إثر ذلك، وبعد شيوع الخبر، حضرت لجان متخصصة من الطرق الصوفية وتأكدوا من الجثمان وهو للإمام يحيى المتوّج بالأنوار، وأعادوا الجثمان إلى مكانه.

وبعدها شرع المهندس محمد زمزم بعمارة المشهد والمرقد على نفقته الخاصة، واستمر بذلك من بعده ابنه حسام محمد زمزم، والذي يؤكد على ظهور بعض النقوش والرسومات على جدران هذا المشهد والتي هي من الرخام الأبيض. وتنسب هذه الرسومات إلى بعض الأنبياء والأولياء.

واعتبرت هذه من الكرامات الدالة على حقيقة وجود يحيى المتوّج بالأنوار في هذا المكان.

وهذه الرواية وردت عن لسان حسام زمزم الولي على الوقف حالياً، وهو ابن المهندس محمد زمزم المذكور.

وقد تناقلت العديد من الوسائل الإعلامية أخبار هذا الحدث، بالإضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية وما شابه ذلك.

ونحن بدورنا قمنا بزيارة هذا المشهد الشريف لمعاينته عن قرب، إلّا أننا لم نوفق بالدخول اليه لكونه مغلقاً، ولم نستطع العودة إليه

مجدداً لابتعاده عن القاهرة حيث يقع في محافظة الشرقية (الزقازيق).

وكل ما تقدم من كلام كان (رواية)، أي بمعنى أنها تحتمل الخطأ والصواب.

أمّا الكلام في (الدراية)، أي التحقيق العلمي (بالرواية) فأمر آخر.

تربة الأشراف

في مقالة السيدة آمنة بنت الإمام الكاظم عليها السلام، وأيضاً يحيى (الشبيه) تحدثنا عن وجود ضريح على يسار السيدة آمنة يعود ليحيى المتوج بالأنوار رضوان الله عليه.

وهذا الضريح قد تمّ التحقق منه وذكر منذ أيام المقريزي، وابن بطوطة، وابن الزيات، والأسعد النسابة، والقرشي، وعلي باشا مبارك، ومحمد زكي ابراهيم، وغيرهم الكثير.

وبمعنى آخر: أن ضريح السيد يحيى المتوّج بالأنوار هو معروف ومشهور وعريق لدرجة أنه ذكره هؤلاء المؤرخون في كتبهم، منذ ما يقارب الألف عام بالحد الأدنى، بخلاف الضريح والمقام الجديد المنشأ منذ العام 1967م، أي منذ 52 عاماً.

الخلاصة

إننا وإن كنّا من المحبين لآل البيت النبوي الشريف، ونتلمس آثارهم المباركة أينما كان، إلّا أننا لا نستطيع الجزم بدون بينة علمية دقيقة، أو ظن علمي معتبر، عملاً بالمقولة المشهورة: نحن أبناء الدليل حيث ما مال نميل.

كما أننا نتقرب إلى الله بحبهم ومودتهم، على أمل أن يرزقنا الله

سبحانه شفاعتهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم.

ورغبتنا أن تكون لهم في كل أرض راية لأنهم آل بيت الوحي والقرآن والولاية.

ومع هذا فإننا نذهب إلى القول بصحة الضريح الموجود في تربة الأشراف قرب ضريح السيدة آمنة رضي الله عنها، بخلاف الثاني الموجود في قرية الغار في الزقازيق، والله أعلم.

فالسلام عليك يا سيدي يا يحيى ابن الحسن ابن زيد ابن الحسن المجتبى عليه السلام، أينما كنت وفي أي أرض حللت، ورحمة الله وبركاته.

أهم المصادر والمراجع

نور الأبصار	الشبلنجي
الكواكب السيارة	ابن الزيات
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
مراقد آل البيت	محمد زكي ابراهيم
عمدة الطالب	ابن عنبة
موقع صوت الأمة	مقالة يحيى المتوّج
موقع البوابة نيوز	يحيى المتوّج
يحيى المتوّج	يحيى المتوّج
موقع أخبارك نت	مقالة يحيى المتوّج

وغيرها الكثير

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – مدخل قرية الغار في محافظة الشرقية وتبدو حالة الطريق السيئة للغاية

2 – صورة لمسجد قرية الغار الملاصق لمسجد وضريح يحيى المتوج بالأنوار

3 – صورة للدكتور أحمد قيس قرب مدخل ضريح يحيى المتوج بالأنوار

4 – صورة أقرب للدكتور قيس قرب مدخل المرقد

5 – جدارية وضعت على مدخل المرقد تتحدث عن يحيى المتوج بالأنوار

6 – صورة أوضح للدكتور قيس على باب الضريح وتبدو الجدارية من فوقه وعن يساره

7 – صورة من داخل قرية الغار ويبدو النهر الذي يغذي القرية بالمياه خلف الدكتور قيس والى جانبه بعض أولاد القرية وبعض الدواب التي يستعملها أبناء تلك المنطقة للتنقل

8 – صورة للسائق ياسر الذي رافق الدكتور قيس في جولته وتبدو قرية الغار من خلفه

9 – صورة لمرقد يحيى المتوج بالأنوار في تربة الأشراف
إلى جوار يحيى الشبيه والسيدة آمنة رضي الله عنها

السيدة نفيسة الكبرى

تشرفت أرض مصر المحروسة بحلول سيدتدين جليلتين من آل البيت النبوي الشريف بها، وهاتان السيدتان تحملان نفس الإسم (نفيسة)، وللتمييز بينهن أطلق على الأولى إسم (نفيسة الكبرى)، والثانية (نفيسة الصغرى).

أمّا السيدة نفيسة الصغرى رضوان الله عليها، فهي صاحبة المقام والمشهد العامر والمعروف، وهي ابنة الشريف حسن الأنور. ولقد تحدثنا مطولاً عن هذه السيدة الجليلة في كتابنا السابق (مصر وآل البيت).

وعليه، فمن هي نفيسة الكبرى؟

هي نفيسة بنت زيد الملقب (بالأبلج)، ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام، ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهي عمة نفيسة الصغرى، أي أخت أبيها الحسن الأنور.

وأمها: لبابة بنت عبد الله العباس رضي الله عنه، عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولدت في المدينة المنورة حيث نشأت وترعرعت هناك برعاية والدها زيد (الأبلج)، الإبن البكر للإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

بعض من أخبارها

ذكرت المصادر التاريخية المعتبرة، أنها كانت زوجة للوليد بن عبد الملك بن مروان قبل أن يصبح حاكماً أموياً.

وقد أحضرها معه إلى مصر بعد تعيينه والياً عليها من قبل أبيه عبد الملك بن مروان.

إلّا أنه وبعدما تولى الخلافة الأموية بعد أبيه عبد الملك، وانتقاله إلى مقر الحكم في الشام، اختلفت السيدة نفيسة معه لابتعاده عن طاعة الله في حقوق عباد الله، فطلّقها على إثر ذلك.

فرحلت إلى مصر عند ابنة عمها السيدة سكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام.

واستفاضت شهرة صلاحها وتقواها وعلمها، وعبادتها وبركاتها، فقصدها أهل مصر لنيل بركة دعائها، ولينهلوا من علمها النبوي الشريف.

وكان آنذاك والي مصر هو عبد الله بن عبد الملك شقيق طليقها الوليد، فوهبها داراً في شمال مصر القديمة، حيث اتخذته داراً ومعبداً لها، واعتكفت في داخله حتى أتاها الله الأجل، وتوفيت ودفنت فيه.

وهذه الدار التي سكنتها السيدة نفيسة (الكبرى)، كانت مجاورة وملحقة بدار أم هانئ التي نزلت فيها السيدة نفيسة (الصغرى) لاحقاً.

واشتهرت هذه الدار بإسم: معبد السيدة نفيسة، والمقصود هنا الكبرى والصغرى، وذلك لأن السيدة نفيسة الصغرى اتخذت من هذه الدار مقراً للعبادة أيضاً.

لهذا السبب وقع الاشتباه بين الناس، إذ لا يميزون بين النفيستين، ولا يعلمون أن في هذا المكان دفنت فيه السيدة نفيسة الكبرى.

مرقدها الشريف

ترقد السيدة نفيسة الكبرى في المكان الذي تعلوه قبة خضراء صغيرة داخل المقبرة المجاورة لمقام السيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها، كما تظهر ذلك الصور المرفقة.

وهذا المكان، أي المرقد، يعرف بإسم معبد السيدة نفيسة كما تظهر الصور المرفقة أيضاً.

ولا يمكن الوصول إلى هذا المرقد إلّا من خلال النزول على سلّم إلى تحت الأرض وبشكل عميق نسبياً.

كما أنه لا يمكن الوصول إلى هذا المكان، إلّا من خلال المساعدة من بعض أبناء المنطقة والمسنين، إذ أنه غير معروف بالنسبة إلى الكثير من الناس، ونحن بدورنا عانينا الكثير لإيجاد سيّدة مسنة كان لها الدور والأجر في إرشادنا، وذلك بعدما عجز الكثير عن ذلك.

وصورة هذه السيدة أرفقناها أيضاً تقديراً لدورها معنا.

وهذا المكان المجهول عند أغلب الناس زواره قليلون على الرغم من قربه من مقام السيدة نفيسة الصغرى، ولكن سبحان الله، وكما يقال: لله في خلقه شؤون.

فلماذا تترك زيارتها ويهجر مرقدها، وهي التي وقفت في وجه زوجها بعدما طغى على عباد الله؟ أليست من سلالة البيت النبوي

الشريف؟ وأليست حفيدة الحسن المجتبى عليه السلام؟ ألم تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فلا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

وعلى كل حال، لعل الله أراد من خلال تسديده لنا بكتابة هذه المقالة عنها، أن يجدد ذكرها، ويخلّد إسمها مع أسماء آبائها الأشراف.

وكما يقول الشاعر:

لولا اشتعال النار في ما جاورت لما عرف طيب عرق العود

أهم المصادر والمراجع

تراجم أعلام النساء	الأعلمي الحائري
عمدة الطالب	إبن عنبة
الكواكب السيارة	إبن الزيّات
نور الأبصار	الشبلنجي
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
مراقد أهل البيت	محمد زكي ابراهيم
وغيرها الكثير	

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة لقبة ضريح السيدة
نفيسة الكبرى من داخل القرافة

2 – صورة أقرب لهذه القبة
والمشار إليها بمعبد السيدة نفيسة

3 – صورة الدكتور قيس قرب نافذة الضريح

4 – صورة للدكتور قيس
من داخل الضريح الشريف

5 – صورة للدكتور قيس على باب مدخل الضريح والذي يقع في أسفل الصورة

6 – صورة للدكتور أحمد قيس برفقة المرأة المسنة التي أرشدته إلى مكان الضريح بالإضافة إلى صورة (التوك توك) التي استعملت للوصول إلى مكانه البعيد نسبياً

فاطمة بنت الأنور

في ميدان الصحابي عقبة بن عامر الجهني، وقبل الولوج إلى باحة مشهده لجهة اليسار، هناك ضريح صغير وعليه قبة خضراء صغيرة، وينسب إلى السيدة فاطمة بنت الحسن.

فمن هي هذه السيدة؟

فاطمة بنت الحسن

هي السيدة فاطمة بنت الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الإمام الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب عليه السلام.

وهي أخت السيدة نفيسة الصغرى صاحبة المقام المعروف.

وعلى أساس هذا النسب، تكون السيدة فاطمة هذه قد رافقت والدها واخوتها إلى مصر وتوفيت ودفنت بهذا المكان المنسوب إليها.

دراسة وتحليل:

من المعلوم لدى كل المشتغلين بالتاريخ صعوبة أن يقف الباحث أمام حلقة ضائعة منه، بحيث تجعل الباحث حائراً وعاجزاً عن إمكانية حسم المسألة التي يعمل عليها.

ومن هذه المسائل موضوع السيدة فاطمة أخت السيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها.

بحيث أننا وعلى الرغم من المراجعة للعديد من المراجع والمصادر المعتبرة وغيرها، لم نجد أن هناك سيدة تحمل إسم فاطمة هي شقيقة السيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها !!!.

والمصادر التاريخية تتحدث عن العديد من النساء اللواتي حملن إسم فاطمة وتشرفت مصر بهن، إلّا أنها أي المصادر، لم تذكر شقيقة للسيدة نفيسة رضي الله عنها !! والفواطم اللّواتي تمّ ذكرهن:

1 - فاطمة الصغرى بنت الحسين الشهيد عليها السلام ولقد تحدثنا عنها.

2 - فاطمة العيناء بنت القاسم الطيب رضي الله عنه ولقد تحدثنا عنها أيضاً.

3 - (فاطمة المحضيّة) وهي أم كلثوم زينب بنت القاسم الطيب رضي الله عنه وهذا الإسم نعت مصري خاص لها، ولقد تحدثنا عنها أيضاً.

4 - فاطمة النبوية بنت محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام ويقال أن مرقدها في حي الخليفة إلّا أننا لم نعثر عليه.

5 - فاطمة النبوية بنت أحمد بن إسماعيل بن محمد بن جعفر الصادق عليه السلام، ومرقدها في درب السعادة (بباب الخلق)، كما ذكر المقريزي وأكد على وجودها في مصر، إلا أن مرقدها مندثر أو غير معروف بالنسبة لنا على الأقل.

6 و7 - السيدتين فاطمة الصغرى، وفاطمة الكبرى، ذكرهما السخاوي وقال أن مرقدهما كانا في سفح المقطم قرب قبر العارف أبي

بكر ألأدوفي، ومعها جماعة من الأشراف، وهذه القبور اندثرت.

8 - فاطمة بنت عبد الله بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام وهي ابنة أخ السيدة عائشة النبوية رضي الله عنها .لم نعثر على مرقدها.

9 - فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثنى رضي الله عنه وهي عمة السيدة نفيسة (الصغرى) رضي الله عنها . لم نعثر على مرقدها.

وبناءً على ما تقدّم، فإنه من الواضح عدم وجود ذكر لسيدة تحمل إسم فاطمة هي أخت أو شقيقة للسيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها .

وكما يقال: عدم الوجدان ليس دليل على عدم الوجود، فإن المراقد الخاصة لآل البيت وغيرهم من العلماء تعرضت عبر التاريخ وما تزال إلى إهمال أو إندثار.

وإذا ما التفتنا إلى أهمية السيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها لدى المصريين، فإنه لا يتوقع إخفاء أو حتى عدم العناية بمرقدٍ يعود لأختها من قِبَلهم.

وهذا الأمر يقودنا وبالضرورة إلى الظن والإحتمال. والذي نستأس به وهو أحد أمرين:

1 - أن يكون هذا المرقد لإحدى الفاطمتين: فاطمة بنت عبد الله بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ابنة أخ السيدة عائشة رضي الله عنها ، أو فاطمة بنت عبد الله بن الحسن المثنى رضي الله عنه عمة السيدة نفيسة الصغرى رضي الله عنها .

2 - أن يكون هذا المرقد لإحدى بنات الذرية الشريفة من آل البيت تحمل إسم فاطمة.

هذا ما يمكن الخلوص إليه بحسب ما تقدم والله أعلم بحقيقة الأمور.

أهم المصادر والمراجع

تراجم أعلام النساء	الأعلمي الحائري
عمدة الطالب	لإبن عنبة
الكواكب السيارة	إبن الزيات
نور الأبصار	الشبلنجي
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
مراقد أهل البيت	محمد زكي ابراهيم
مساجد مصر	د. سعاد ماهر محمد
آل البيت	د. عادل عدس
أعلام الورى	الطبرسي
الإرشاد	الشيخ المفيد
الدروس البهية	للسيد اللواساني
المجالس السنية	السيد الأمين

وغيرها . . . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

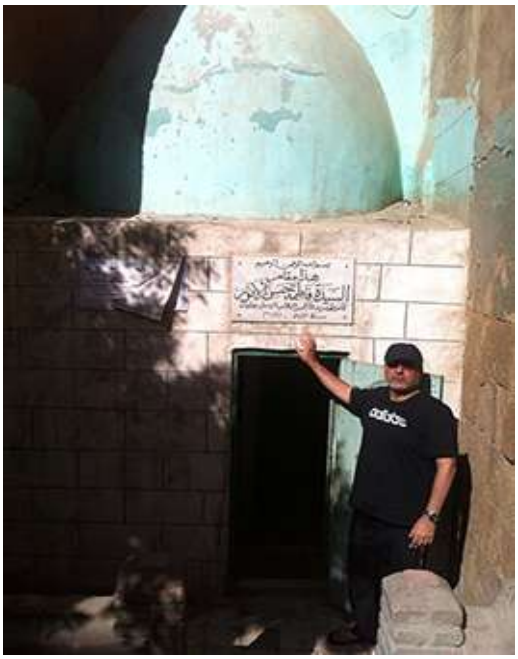

1 – صورة للدكتور قيس على مدخل ضريح السيدة فاطمة بنت الأنور

2 – صورة أقرب لمدخل المرقد المنسوب للسيدة فاطمة بنت الأنور

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف

4 – صورة للمرقد الشريف وتبدو الزينة عليه

مقام سيدي عقبة

يقع جامع ومقام سيدي عقبة في القرافة المجاورة لقرافة الإمام الليثي، وهذا المكان أشهر من أن يعرّف وخاصة بين المصريين.

فمن هو سيدي عقبة؟

هو عقبة بن عامر، بن عيسى، بن عمرو، بن عدي، بن عمرو، بن رفاعة، بن مودود، بن عدي الجهني. وأختصاراً يعرف بإسم عقبة بن عامر الجهني.

وكنيته: أبو عامر أو أبو حماد، أو أبو عمر.

وهو من أصحاب النبي ﷺ، الذين بايعوه في المدينة المنورة بعد الهجرة إليها.

ولازم عقبة النبي ﷺ، وكان من أصحاب الصفة الفقراء، ومن خدّام النبي ﷺ، بحيث أنه كان يسوس بغلته في الأسفار.

وشهد عقبة فتوح مصر والشام، وكان هو رسول البريد إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وتنقل الدكتورة سعاد محمد عن أبي سعيد بن يونس، عن صفات عقبة بن عامر رضي الله عنه، فتقول: كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه، صحيح اللسان شاعراً كاتباً، وهو آخر من جمع القرآن، وأضاف: ورأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان، وفي آخره تذييل (كتبه عقبة بن عامر بيده).

سبب قدومه إلى مصر

كان سبب قدومه إلى مصر مع عمرو بن العاص لإفتتاحها، ثم وليها من قبل معاوية بن أبي سفيان، وذلك بعد موت أخيه عتبة بن أبي سفيان في سنة 44 للهجرة.

وقد جمع له معاوية في إمرة مصر بين الخراج والصلاة.

وكانت مدة ولايته بمصر ثلاث سنوات، وبنى بها داراً.

وقال النووي في تهذيب الأسماء واللغات: عقبة بن عامر سكن دمشق وكانت له داراً في ناحية قنطرة سنان من باب توما، وسكن مصر ووليها لمعاوية بن أبي سفيان سنة 44 للهجرة، وتوفي بها سنة 58 للهجرة.

ولما تولى عقبة إمرة مصر، كتب إلى معاوية يسأله أرضاً يبني فيها منازل ومساكن، فأمر له معاوية بألف ذراع في ألف ذراع، وهذه الأرض التي اقتطعها عقبة هي في محافظة الجيزة في منطقة الدقي، وتعرف باسم منية عقبة، وتعرف الآن بالمنيل.

وفاته ومرقده

أقام عقبة بمصر إلى أن توفي في اليوم الذي توفيت فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أي في الثامن من شعبان عام 58 للهجرة.

ودفن بالقرافة الكبرى والتي تقع بقرب مسجد الإمام الليث بن سعد.

ويقول ابن تغري بردى: وليس في الجبانة قبر صحابي مقطوع بصحته، إلّا قبر عقبة فإنه زاره الخلف عن السلف.

وقال عنه الشهاب بن أبي حجلة التلمساني: وتوفي رضي الله عنه آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان في اليوم الذي توفيت فيه سيدتنا عائشة رضي الله عنها، يوم الأربعاء، الثامن من شعبان، سنة 58 للهجرة، وخلف سبعين فرساً بجعابها ونبالها، وأوصى بها في سبيل الله تعالى، ودفن بالمقطم بمقبرة أهل مصر، وقبره ظاهر يتبرك به، ويعرف بالإجابة، ومما قيل فيه من الشعر:

سقى تربة فيها ضريح ابن عامر سحائب تروي لحده وتوارى
فتى كان من أعلى الصحابة همة وأكرمهم في عسرة ويسار
أحاديثه عن سيد الخلق دوّنت روى عنه منها مسلم وبخاري

وفي كتاب المزارات للسخاوي: أن قبر السيد عقبة بن عامر الجهني بالقرافة مشهور، والدعاء عنده مستجاب، وليس فيه اختلاف، ولم يكن في الجبانة أثبت منه.

تجديد عمارة المسجد والمشهد

في كتاب (نزهة الناظرين): أن الوزير محمد باشا (أبو النور) السلحدار، والي السلطان العثماني على مصر، عمّر مقام سيدي عقبة رضي الله عنه، وجدده، ورتّب له الخيرات الجارية إلى يومنا هذا، وأمر بترميم الجوامع وتبييضها، فلقّبه السادة الوفائية (بأبي النور).

وكان هذا الترميم في العام 1066 للهجرة. وعمارة المسجد والمقام ما تزال كما هي منذ ذاك الوقت.

وفي الحائط بجوار القبلة من الجهة الشرقية حجر منقوش فيه: هذا قبر عقبة بن عامر الجهني حامل راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي داخل هذا المشهد هناك قبور جماعة من الأفاضل، فعن يمين الداخل قبر الشيخ ابراهيم خادم سيدي عقبة وعليه كتابة فيها تاريخ 1182 للهجرة، ومقابله قبر الشيخ خليل العقبي.

وفي رحلة النابلسي، قال: قصدنا زيارة عقبة بن عامر الصحابي المشهور رضي الله عنه، فدخلنا إلى مزاره فوجدناه عظيم البناء، كامل الضياء والسناء، وفيه جامع له منارة ومنبر ومحراب تقام فيه صلاة الجمعة. وعند مزاره سيفه وترسه معلقان عند رأسه إلى الآن، فوقفنا وقرأنا الفاتحة، ودعونا الله تعالى التوفيق.

وذكر المقريزي: ... وهذا المسجد مقام الشعائر إلى الآن..... ويعمل مولد لسيدي عقبة رضي الله عنه في شعبان مع مولد الإمام الليث رضي الله عنه، ويقصده الزوار كثيراً في ليالي الأعياد وخلافها.

المسجد والمشهد في الوقت الحالي

إن هذا المسجد الشريف والمقام بداخله ظل تحت رعاية وعناية كل من تعاقب على الحكم في مصر، وهو الآن تحت إشراف وزارة الأوقاف ووزارة الآثار.

لذلك، فإن العناية به واضحة لجهة الترميم والتبييض، والخدمة والنظافة وما شابه ذلك.

وزوّار هذا المسجد والمقام كثر وعلى مدى العام، من داخل مصر ومن خارجها وتقام به صلاة الجمعة والتي غالباً ما تكون محتشدة من المصريين المحبين لرسول الله وآل بيته وأصحابه.

إلّا أن المشكلة في هذا الأمر هي الطريق المؤدية إليه، بحيث

تخترق القرافة حتى تصل إلى المسجد، والطريق سيئة للغاية وبحاجة إلى رعاية خاصة لأهمية هذا المكان من الناحيتين: الإسلامية والتاريخية.

على أمل أن يلتفت المعنيون عن هذا الأمر للمبادرة إلى إصلاح هذا الطريق.

فالصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وعلى أصحابه الأخيار الطيبين.

أهم المصادر والمراجع

الخطط التوفيقية علي	باشا مبارك
الكواكب السيارة	ابن الزيات
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
مساجد مصر	د. سعاد ماهر
تاريخ الطبري	الطبري
الولاة والقضاة	الكندي
المزارات	للسخاوي
الحقيقة المجاز	للنابلسي

وغيرها . . . . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور أحمد قيس في الساحة الخارجية والتي تعرف بميدان سيدي عقبة

2 – صورة أيضاً في البهو القديم المؤدي إلى مسجد ومقام سيدي عقبة

3 – صورة من باحة المسجد الخارجية ويظهر فيها الدكتور قيس وهو يشير إلى المسجد والمرقد لسيدي عقبة

4 – صورة للدكتور قيس قرب مدخل المسجد والمقام لسيدي عقبة

5 – صورة لمرقد سيدي عقبة من داخل المسجد

6 – صورة من داخل المقصورة الخاصة بالمرقد ويبدو الدكتور قيس إلى جوار الضريح وهو يعاين العامود القديم الذي يشير إلى صاحب الضريح

7 – صورة لمرقد وضريح سيدي عقبة من داخل المقصورة

8 – صورة للدكتور قيس مع خدّام المرقد من داخل المقصورة

9 – صورة للدكتور قيس على شباك المقصورة
المطلة على مرقد سيدي عقبة من داخل المسجد

مسجد ومرقد عمرو بن العاص

جامع عمرو

هو الجامع العتيق بمدينة فسطاط مصر، ويقال له: تاج الجوامع، وهو أول مسجد أسّس بديار مصر بعد فتحها، وذلك أنه لما افتتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلدان، كتب إلى عماله بالبصرة، والكوفة، والشام، ومصر، أن يتخذوا للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكان عامل مصر يومذاك عمر بن العاص، فبنى هذا الجامع.

فمن هو عمرو بن العاص؟

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم، وبنو سهم بطن من بطون قريش المشهورة.

وكان والده العاص بن وائل من التجّار الأغنياء الذين يتاجرون بالقوافل بين الشام واليمن.

وكان عمرو بأبيه فخور جداً، حتى أنه كان يفخر بأبيه على الخلفاء كعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان رضي الله عنه.

وتنقل الدكتورة سعاد محمد عن الطبري وابن حجر، التالي: «لما أرسل إليه عمر بن الخطاب من يحاسبه ويشاطره ما له، غضب عمرو

وقال للرسول: قبّح الله زماناً عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فيه عامل. والله أني لأعرف الخطاب (والد الخليفة عمر) يحمل فوق رأسه حزمة من الحطب، وعلى ابنه مثلها، وما منها إلا في نمرة لا تبلغ رسغيه.

والله ما كان العاص بن وائل يرضى أن يلبس الديباج مزوراً بالذهب».

وفي هذه الرواية يريد عمرو بن العاص التقليل من شأن الخليفة عمر بن الخطاب بسبب فقر والده الذي كان يعمل بجمع الحطب.

أمّا مع الخليفة عثمان بن عفان، فتقل الدكتورة سعاد أيضاً: «ولما عزله عثمان من ولاية مصر دعاه وأنّبه وقال له: استعملتك على ظلعك (الغمز في المشية)، وكثرة القالة فيك. (أي كثرة الشاكين منك في معاملة الناس بالسوء).

فقال عمرو: كنت عاملاً لعمر بن الخطاب، ففارقني وهو عني راض.

واحتدم الغضب بينهما، فهمّ عمرو بالخروج مغضباً وهو يقول: قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك، فوالله للعاص كان أشرف من عفان. فأجابه الخليفة عثمان: ما لنا ولذكر الجاهلية.

وعلى قدر فخره بأبيه (العاص بن وائل)، كان خجله من نسبه إلى أمّه.

وتنقل الدكتورة سعاد أيضاً: كان حسّاده والناقمون عليه يلاحقونه

بذكرها، وهو على دست الإمارة، ومنبر الخطابة، فسأله رجل وهو على المنبر، قال: من أمّ الأمير؟

فأمسك عمرو عن غضبه وقال: النابغة بنت عبد الله، أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ، فاشتراها عبد الله بن جدعان، ووهبها للعاص بن وائل، فولدت فأنجبت، فإن كانوا جعلوا لك شيئاً فخذه.

إسلامه

بعدما ظهر الإسلام في الحجاز، ودخلت فيه العرب، تقول المصادر التاريخية أن عمروا ابن العاص لم يعتنق الإسلام إلّا في حدود العام الثامن للهجرة ومنهم من يقول: بعد فتح مكة بزمن وجيز.

وينقل عنه أنه عندما بايع النبي ﷺ اشترط عليه المغفرة عمّا تقدم وما تأخر، من خلال الرواية التالية: «قال عمرو: كنت أعتزم لقاء النبي ﷺ، فأضمرت أن أبايعه على ما تقد وما تأخر، فلمّا بسط النبي ﷺ يده قبضت يدي، فقال ﷺ: مالك يا عمرو؟ قلت: أبايعك يا رسول الله على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي. قال النبي ﷺ: أن الإسلام والهجرة يجبّان ما كان قبلهما».

ويضيف: «فبايعته ووالله ما ملأت عيني منه وراجعته بما أريد حتى لحق ربّه، حياءً منه».

وتذكر المصادر: أن عمروا ابن العاص بعد إسلامه كان حسن السيرة، ويتعبد، ويتصدق، ويستغفر من ذنوب وقع فيها، ويعيش بين المسلمين كأحدهم.

ولقد انتدبه النبي ﷺ إلى غزوة (ذات السلاسل)، ولهدم الصنم (سُوَاع).

وحول هذا الإختيار يقول المؤرخون: أن النبي ﷺ قد اختار له المساعي والأعمال التي توافق رجلاً معتدّاً بنسبه، ومحباً للرئاسة وتدبير المال.

فعرف الرسول ﷺ ذلك كله في عمرو، فاختاره لما فيه من الدهاء والجرأة وحب الرياسة والطمع والثراء.

ويقال: إنه لم يرَقط في حزن كالحزن الذي غمره يوم وفاة النبي ﷺ، فبكى طويلاً وجلس يتلقى العزاء كما يتلقاه في أقرب الناس إليه.

وفي عهد الخليفة أبي بكر رضي الله عنه، شارك عمرو بن العاص في التصدي للمرتدين بأمر من الخليفة، وبعد نجاحه في المهام التي كلف بها، زادت ثقة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عمرو لما عرف فيه من حنكة حربية وسياسية. فأخذه يوليه المهام واحدة بعد الأخرى، وصولاً إلى الإستيلاء على بيت المقدس حيث تمّ تسليمها للخليفة عمر عام 15 للهجرة.

وفي العام 18 للهجرة تطلعت نفس عمرو بن العاص إلى فتح أكبر وأخطر، إلى فتح الديار المصرية، والتي كانت درّة التاج في امبراطورية هرقل الروماني.

وأخذ يقنع الخليفة عمر بن الخطاب بذلك حتى وافقه، وأرسله إلى فتح مصر وتمّ له ذلك.

ويقول مصطفى العقاد عن هذا الأمر: «قام عمرو بفتح مصر، وقام بتأمين ذلك الفتح وتمكنه على نحو لم يسبقه إليه سابق من فاتحي وادي النيل في قدوم عصره، لأن هذا الفتح ترك أثراً خالداً في لغة البلد ودينه وفنونه.

ولقد كافأه الخليفة عمر بن الخطاب عندما جعله والياً عليها بعد فتحها.

وكان عمرو من الولاة القليلين الذين طال عهدهم بالولاية في خلافة عمر بن الخطاب إذ بقي نحو خمس سنوات والياً لمصر في خلافة عمر بن الخطاب، وأقرّه على ذلك من بعده وتولى عمرو ولاية مصر للمرة الثانية في عهد معاوية بن أبي سفيان سنة 41 للهجرة، وبقي بها حتى وافته المنية سنة 43 للهجرة وقد جاوز الثمانين على أكثر الروايات. وكانت وفاته ليلة عيد الفطر، ودفن بجوار المقطم.

ندمه وتوبته قبيل وفاته

ذكرت معظم المراجع التاريخية أن عمرواً بن العاص كان في غاية الندم قبيل وفاته، وكان يدعو الله سبحانه في الليل والنهار ليغفر له ما اقترفت يداه.

منها على سبيل المثال: دعاء أمّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عليه دُبر كل صلاة، وذلك لأنه المسؤول عن قتل شقيقها وحرقه في جيفة حمار، وضمّت رضوان الله عليها في دعائها معاوية. وقال البعض أن معاوية هذا هو معاوية بن خديج وليس معاوية بن أبي سفيان.

ومحمد بن أبي بكر رضوان الله عليه كان قد استشهد ومُثّل بجسده الشريف من خلال وضعه داخل حمار مجوف وأحرق. ما جعل أمّ المؤمنين تجزع عليه جزعاً شديداً، وتقنت بالدعاء على عمرو وعلى معاوية هذا، ولم تعد تأكل شواء حتى توفاها المولى سبحانه.

وللتوسع حول هذا الأمر انظر مثلاً: ابن الأثير (ج3 - ص230). أو الطبري (أحداث العام 38 إلى 40).

ومن المعروف بين المسلمين مدى خطورة أن يدعو مظلوم على ظالم، فكيف إذا كان من يدعو ويقنت دبر كل صلاة هي أمّ المؤمنين رضي الله عنه.

والذي يعضد هذا الأمر، ما قالته الدكتورة سعاد في (مساجد مصر): وكان رحمه الله في أخريات أيامه يدعو الله قائلاً: «اللهم آتيت عمراً مالاً، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمر ماله ولا تعذبه بالنار فأسلبه، وأنك أتيت عمراً أولاداً، فإن كان أحب إليك أن تسلب عمر ولده ولا تعذبه بالنار فأثكله ولده، وأنك أتيت عمرا سلطانا، فإن كان أحب إليك أن تنزع منه سلطانه ولا تعذبه بالنار فانزع منه سلطانه».

وأيضاً ما كان يردده، قبل وفاته: «اللهم لا قوي فانتصر، ولا بريء فاعتذر، ولا مستكبر بل مستغفر، لا إله إلّا أنت، لا إله إلا أنت». ولم يزل يرددها حتى مات. وفي هذه المسألة ومثيلاتها لا يعلم حقيقة أمرها إلا الله سبحانه الذي يعلم السر وأخفى، ولله عاقبة الأمور.

مرقده

أجمعت معظم المصادر على أنه دفن في جوار المقطم، إلا أن الإختلاف حصل في تحديد المكان. فمنهم من ذهب إلى القول بأنه دفن في فضاء المسجد الذي بناه في الفسطاط، ومنهم من قال بأنه دفن في القرافة الكبرى، ومنهم من قال بأنه دفن إلى جوار مرقد الصحابي الجليل عقبة بن عامر الجهني الذي تقدم الحديث عنه.

ونحن من خلال التدقيق والإستطلاع المباشر، نضم صوتنا مع الذين قالوا بأنه على مدخل ضريح الصحابي عقبة بن عامر الجهني، وللأسباب التالية:

1 - يعتبر ضريح عقبة من أقدم الترب التي دفن فيها أصحاب رسول الله ﷺ الذين دخلوا مصر وتوفوا بها.

2 - اعتقاد عمرو بن العاص بكرامة عقبة بن عامر، وبالتالي أراد أن يدفن إلى جواره حتى يتشفع له عند الله بحق الجوار والصحبة.

3 - من غير المتوقع أن يدفن عمرو في مكان لوحده بعيداً وهو كان والي مصر لمدة طويلة.

4 - ما أكد عليه ابن الزيات ونقل عنه علي باشا مبارك من وجود قبره عند مدخل ضريح عقبة بن عامر رضي الله عنه.

وعلى كل حال فإننا تشرفنا بزيارة ضريح عقبة وعاينا المكان المنسوب لعمرو بن العاص، كما تظهر ذلك الصور المرفقة.

ولا نستطيع في هذا المقام إلّا ترديد قوله تعالى: «تلك أمة قد

خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عمّا كانو يعملون» سورة البقرة الآية/ 134.

أهم المصادر والمراجع

تاريخ الطبري	الطبري
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
الإصابة في معرفة الصحابة	ابن حجر العسقلاني
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
الكواكب السيارة	ابن الزيات
مساجد مصر	د. سعاد ماهر محمد

وغيرها.....

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى مسجد ومرقد عقبة حيث يوجد مرقد عمرو بن العاص

2 – صورة لمرقد عمرو بن العاص على مدخل مرقد عقبة بن عامر الجهني

3 – الدكتور قيس إلى جوار مرقد عمرو بن العاص

4 – الدكتور أحمد إلى جوار مرقد عمرو بن العاص من زاوية أخرى

5 – الدكتور أحمد يعاين جدارية قديمة منحوتة بالخط الكوفي القديم إلى جوار المرقد

6 – صورة للدكتور أحمد قيس أمام المسجد الذي يحمل اسم عمرو بن العاص

7 – صورة أخرى للدكتور قيس وهو يشير إلى مدخل المسجد القديم

8 – صورة عامة من داخل مسجد عمرو بن العاص

الإمام الشافعي

الإمام الشافعي نجم من كوكب العلم، وعلمٌ من أعلام الأمتين العربية والإسلامية، ذاع صيته وأشتهر حتى ملأ الخافقين، ما أحبّه إلّا ودود، وما كرهه إلّا حسود. لذا وجب على أبناء هذا الجيل التعرّف إلى هذه الشخصية الفريدة في العلم والعمل والتقوى، بشكل جديد، وبلغة معاصرة وموضوعية. فمن هو؟

الإمام الشافعي

هو: (أبو عبد الله) محمد بن إدريس، بن العباس، بن عثمان، بن شافع، بن السائب، بن عبيد، بن عبد زيد، بن هاشم، بن عبد المطلب، بن عبد مناف القرشي، المُطلبي.

وهو يعتبر من أبناء أعمام النبي ﷺ، لأنه يجتمع معه بالنسب في عبد مناف رضي الله عنه.

وأمّه: فاطمة بنت عبد الله، بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: أنها أزدية.

أمّا عن لقبه بالشافعي: فهو بالنسبة إلى جده الثالث (شافع). وذكره القرشي في أول طبقة الفقهاء، وقدمه على الإمام الليثي لأجل قرابته من رسول الله ﷺ.

مولده المبارك ونشأته

ولد في غزة هاشم من فلسطين سنة 150 للهجرة، في نفس العام الذي توفي فيه الإمام أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه .

وينقل علي مبارك في خططه عن ابن عبد الحكم: إن والدة الإمام الشافعي لما حملت به رأت كأن كوكب المشتري خرج من بطنها وانقضّ، فوقع منه في كل مكان شظية، فقال لها المُعبّر (أي المفسّر لهذه الرؤيا): أنه يخرج منك عالم عظيم.

نشأ الإمام الشافعي في مكة المكرمة، وترعرع وأقام بها. وكان في صغره يهوى الشعر، فقد كان يخرج إلى جبال العرب ليكتب الشعر، ثم يعود إلى مكة. وعن هذا الأمر يقول إبن غانم في كتاب (الواضح النفيس)، عن الإمام الشافعي: إني لأحفظ شعر أربعمائة مجنون (أي شاعر) ثم انشد:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من لبيد

وتعلّم الشافعي القرآن وختمه لسبع سنين، وينقل عنه رضي الله عنه قال: لما ختمت القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة، وكان منزلنا في مكة في شعب الخيف، وكنت فقيراً بحيث لا أملك أن أشتري القراطيس، فكنت آخذ العظم واكتب عليه.

ودرس الفقه أول مرة عند مسلم بن خالد الزنجي مفتي مكة آنذاك، وكان ابن 15 سنة، ووصل إليه خبر سعة علم الإمام المالكي رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة.

قال الإمام الشافعي: فوقع في قلبي أن أذهب اليه، فاستعرت كتاب المالكي (الموطأ) من رجل بمكة وحفظته، ثم قدمت المدينة فدخلت عليه، فقلت: أصلحك الله إني رجل أطلب العلم وقصتي كذا وكذا، فلما سمع كلامي نظر إليّ ساعة وكان لمالك فراسة، فقال لي: ما اسمك؟ فقلت محمد. فقال: يا محمد اتقِّ الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن. فقلت: نعم وكرامة. فقال: إن الله تعالى القى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية.

وهكذا استمر الإمام الشافعي بحضور دروس الإمام مالك في المدينة حتى توفي مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وفي هذه المرحلة العلمية من حياته والتي تظهر مدى نبوغه وذكائه، ينقل الشبلنجي وغيره الحادثة التالية: كان الإمام الشافعي جالساً بين يدي الإمام مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فجاءه رجل وقال لمالك: إني رجل أبيع القماري (الديوك)، وإني بعت في يومي هذا قمرياً (أي ديك يصيح وقت الفجر)، فردّه عليّ المشتري وقال: قمريك لا يصيح، فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح، فقال له الإمام مالك: طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها، وكان الإمام الشافعي يومئذ ابن 15 سنة، فقال لذلك الرجل: أيّما أكثر صياح قمريك أم سكوته؟ فقال الرجل: بل صياحه، فقال له: لا طلاق عليك.

فسأله الإمام مالك وقال له: يا غلام من أين لك هذا؟ فأجابه الإمام الشافعي: لأنك حدثتني عن الزهري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن فاطمة بنت قيس قالت: يا رسول الله أن

أبا جهم ومعاوية خطباني، فقال ﷺ: أما معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه، وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح، وقد قال ﷺ: لا يضع عصاه على المجاز، والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته، ولما كان صياح ديك هذا أكثر من سكوته، جعلته كصياحه دائماً. فتعجب الامام مالك من مقالته هذه وقال له: افتِ، فقد آن لك أن تفتي.

والشيء بالشيء يذكر: فإن الإمام مالك رضي الله عنه هو من تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وبالتالي فإن الإمام الشافعي يعتبر من تلامذة الإمام الصادق بواسطة الإمام مالك رضوان الله عليهم.

وينقل عن الإمام الشافعي قوله: رأيت قبل البلوغ رسول الله ﷺ وقد تفل في فمي، ورأيت علي بن أبي طالب وقد أخرج من كمه ميزاناً فأعطاه لي، فسألت عن تفسير ذلك، فقيل لي: أنك تكون في الناس كالميزان يعرف بكلامك الحق من الباطل.

وينقل عنه رضي الله عنه أيضاً أنه قال: رأيت علي بن أبي طالب في النوم فسلّم علي وصافحني، وخلع خاتمه من اصبعه وجعله في اصبعي، وكان لي عم ففسرها لي فقال: أما مصافحتك لعلي فأمان من العذاب، وأما نزع خاتمه من اصبعه وإدخاله في اصبعك، فسيبلغ اسمك ما بلغ إسم علي رضي الله عنه في المشرق والمغرب.

رحلاته وصولاً إلى مصر

بعد وفاة الإمام مالك رضي الله عنه بقي الإمام الشافعي في المدينة لفترة وجيزة، ثم ارتحل إلى بغداد عام 195 للهجرة، وأقام بها سنتين.

وطوال مدة إقامته في بغداد كان يجتمع عليه علماؤها ويأخذون عنه، ورجع كثير منهم عن مذاهب كانوا عليها إلى مذهبه. ثم عاد إلى مكة فأقام بها مدة.

ثم عاد إلى بغداد عام 198 للهجرة فأقام بها شهراً، وبعد ذلك خرج إلى مصر وبقي بها حتى توفاه الله.

ولما أراد الدخول إلى مصر قال وهو سائر إليها:

أرى النفس مني قد تتوق إلى مصر ومن دونها أرض المهامه والقفر
فوالله ما أدري إلى العلم والغنى أساق إليها أم أساق إلى القبر

وفاته ومكان دفنه الشريف

بعد استقراره في مصر بمدة طويلة، أصيب الشافعي رضي الله عنه بمرض في بطنه جعله طريح الفراش. وعن ذلك قال المزني: دخلت على الشافعي في علّته التي مات فيها فقلت: كيف أصبحت؟

قال: أصبحت من الدنيا راحلاً ولإخواني مفارقاً، ولكأس الموت شارباً، ولسوء أعمالي ملاقياً، وعلى الله وارداً، فلا أدري روحي إلى الجنة تصير فأهنيها، أو إلى النار فأعزيها، ثم بكى وأنشد:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
فما زلت ذاعفو عن الذين لم تزل تجود وتعفو منّةً وتكرما
فلولاك لم يسلم من إبليس عابد وكيف وقد أغوى صفيك آدما

وتوفي بعد ذلك نهار الجمعة أخر رجب عام 204 للهجرة، وله من

العمر 54 سنة. ودفن بمقبرة بني زهرة والتي أصبحت تعرف لاحقاً بقرافة الإمام الشافعي رضوان الله عليه.

وبعد مدة من الزمن، طلب علماء بغداد نقل جثمانه المبارك اليها، فلما حفروا عليه عبقت رائحة عظيمة غطت حواس الحاضرين، فتركوا ذلك.

ولاحقاً أنشأ الملك (الكامل بن العادل) قبة على ضريح الإمام الشافعي عام 658 للهجرة، وهي ما تزال قائمة ليومنا هذا، ومشهده الشريف كان أثناء زيارتنا الأخيرة قيد التجديد ولله الحمد.

بعض ما قيل فيه

1 - قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : ما أعلم أحداً أعظم مِنّةَ من الشافعي في زمن الشافعي.

2 - قال عبد الله بن حنبل لأبيه: أيُّ الرجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر الدعاء له؟

فقال: يا بني كان الشافعي رضي الله عنه كالشمس بالنهار، وكالعافية للناس، فانظر: هل لهذين من خلف أو عنهما عوض؟.

3 - قال المزني: ما رأيت أكرم من الشافعي، خرجت معه ليلة عيد من المسجد أذاكره في مسألة حتى أتيت إلى باب داره، فأتاه غلام بكيس، فقال: سيدي يقرئك السلام ويقول لك: خذ هذا الكيس، فأخذه منه. فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الله ولدت امرأتي الساعة وليس عندي شيء. فدفع الشافعي إليه الكيس وصعد وليس معه شيء.

4 - وقال ابن حجر وغيره: أنه لم يقع في مدة حياة الشافعي رضي الله عنه طاعون لا بمصر ولا بغيرها كرامة لبركة وجوده بينهم.

5 - وعن ابن خلكان قال: قال أبو ثور: من زعم أنه رأى مثل محمد بن إدريس في علمه وفصاحته ومعرفته وثباته وتمكنه فقد كذب، كان منقطع القرين في حياته، فلما مضى لسبيله لم يعتض عنه.

6 - ومدحه الحافظ السلفي بقصيدة يقول فيها:

فعليك يا من رام دين محمد بالشافعي وما تلاه وقالا
أعني محمداً ابن إدريس الذي فاق البرية رتبة وكمالاً

7 - قال أحد الشعراء فيه كما في الخطط التوفيقية:

أتيت لقبر الشافعي أزوره تعرضنا فلك وما عنده بحر
فقلت: تعالى الله تلك إشارة تشير بأن البحر قد ضمه القبر

8 - وقال البوصيري صاحب (البردى):

بقبة قبر الشافعي سفينة
رست في بناء محكم فوق جلمود
ومن غاص طوفان العلوم بقبره
استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودي

والأقوال في مناقب الإمام الشافعي كثيرة جداً، فقد صنّفت فيها عدة مؤلفات لا مجال لاستعراضها في هذه المقالة. إلّا أن أبرز من وضع هذه المصنفات من القدامى:

داود الظاهري، والساجي، وابن أبي حاتم، والحاكم، والقطان، والأصفهاني، والبيهقي، والرازي، وابن المقري، والدارقطني،

والسرفي، والمقدسي، وإمام الحرمين، والزمخشري، والسبكي، وابن حجر، وغيرهم من كبار العلماء.

أمّا المؤلفات الحديثة، فحدّث ولا حرج، إذ أنها تفوق أضعاف ما كتب عنه رضي الله عنه في الماضي. وقد أفردت بعض المصنفات أشعاره التي كان ينظمها في حب الله، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآل البيت عليهم السلام، والعقائد الإسلامية، والزهد في الدنيا، والمناجاة، وغيرها الكثير. وسنمر على بعض منها بإذنه تعالى.

بعض من أقواله ونظمه رضي الله عنه

1 - في المناجاة الإلهية:

بموقف ذلي دون عزتك العظمى ... بمخفي سر لا أحيط به علما
بإطراق رأسي باعترافي بذلتي ... بمد يدي أستمطر الجود والرحما
بأسمائك الحسنى التي بعض وصفها ... لعزتها يستغرقني النثر والنظما
بعهد قديم من ألست بربكم ... بمن كان مجهولاً فعلمته الإسما
أذقنا شراب الأنس يا من إذا سقى ... محباً شراباً لا يضام ولا يظما

2 - في حبّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله:

من مثلكم لرسول الله ينتسب ... ليت الملوك لها من جدّكم نسب
ما للسلاطين أحساب بجانبكم ... هذا هو الشرف المعروف والحسب
أصل هو الجوهر المكنون ما لعبت ... به الأكف ولا حاقت به الريّب
خير النبيين لم يذكر على شفةٍ ... إلّا وصلت عليه العجم والعرب
خير النبيين لم تحصر فضائله ... مهما تصدت لها الأسفار والكتب

خير النبيين لم يقرن به أحد وهكذا الشمس لم تقرن بها الشهب
واهتزت الأرض إجلالاً لمولده شبيهة بعروسٍ هزّها الطرب
الماء فاض زلالاً من أصابعه أروى الجيوش وجوف الجيش يلتهب
والظبي أقبل بالشكوى يخاطبه والصخر قد صار منه الماء ينسكب

3 - في حبّ آل البيت عليهم السلام :

أ - يا آل بيت رسول الله حبكمُ فرضٌ من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الذكر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

ب - إذا في مجلسٍ ذكروا عليا وسبطيه وفاطمة الزكية
فأجرى بعضهم ذكرى سواهم تشاغل بالروايات الدنية
وقال تجاوزوا يا قوم عنه فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من اناس يرون الرفض حب الفاطمية
على آل الرسول صلاة ربي ولعنته لتلك الجاهلية

ج - تأوه قلبي والفؤاد كئيب وأرّق نومي فالسهاد عجيب
فمن مبلغ عني الحسين رسالة وإن كرهتها أنفسٌ وقلوبُ
ذبيح بلا جرم كأن قميصه صبيغٌ بماء الأرجوان خضيب
فللسيف أغوال وللرمح رنة وللخيل من بعد الصهيل نحيبُ
تزلزلت الدنيا لآل محمد وكادت لهم صمُّ الجبال تذوب
وغارت نجوم وأقشعرت كواكب وهتكٌ لأستارٍ وشُقّت جيوب
يصلى على المبعوث من آل هاشم ويغزى بنوه إن ذا لعجيب

لئن كان ذنبي حب آل محمد فلذلك ذنب لست عنه أتوب
فهم شفعائي يوم حشري وموقفي إذا ما بدت للناظرين خطوب

4 - في مدح الخلفاء رضي الله عنهم :

شهدت بأن الله لا ربّ غيره وأشهد أن البعث حق وأخلص
وأن عرى الإيمان قول مبين وفعل ذكيٌ قد يزيد وينقص
وأن أبا بكر خليفة ربّه وكان أبو حفصٍ على الخير يحرص
وأشهد ربي أن عثمان فاضل وأن علياً فضله متخصّص
أئمةُ قومٍ يهتدى بهداهم لحى الله من إيّاهم ينتقص

5 - في القناعة والرضا :

وما كنت أرضى من زماني بما ترى ولكنني راض بما حكم الدهر
فإن كانت الأيام خانت عهودنا فإني بها راض ولكنّها قهر

6 - في تحذير أهل العلم :

إذا ما كنت ذا فضلٍ وعلمٍ بما اختلف الأوائل والأواخر
فناظرمن تناظر في سكونٍ حليماً لا تلح ولا تكابر

7 - في أهمية السفر والتجوال :

تغرّب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تَفَرُّجُ همٍ، واكتساب معيشةٍ وعلمٌ، وآدابٌ، وصحبة ماجد

وما تقدم ذكره، غيضٌ من فيض، فلله درُّه من عالمٍ عاملٍ، وأديبٍ كاملٍ، وحكيمٍ نابهٍ. وكيف لصغير أن يتحدث عن عملاق في الساحة

الإسلامية، بل والعالمية، وهو قد بذل نفسه وماله لله ولخدمة دين الله ﷻ ، لذا ليس من العجب أن يرفع الله ذكره واسمه، لأن ما كان لله ينمو، ومن تاجر مع الله ربحت تجارته، فمن جاء بالحسنة فله عشرة أمثالها.

أهم المصادر والمراجع:

1 - الكواكب السيارة	ابن الزيات
2 - نور الأبصار	الشبلنجي
3 - الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
4 - مساجد مصر وأولياؤها	د. سعاد محمد
5 - ديوان الإمام الشافعي	المكتبة الوقفية للكتب
6 - تاريخ الطبري	الطبري
7 - الكامل في التاريخ	ابن الأثير
8 - المجالس السنية	للسيد الأمين
9 - أسد الغابة	ابن الأثير
10 الإصابة	ابن حجر
11 - أنا من سلالة آل البيت	الإمام الشعراوي
12 - ديوان الشافعي	مراجعة وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد

وغيرها . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة لمئذنة مسجد الإمام الشافعي رضي الله عنه

2 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى قبة مسجد ومقام الإمام الشافعي رضي الله عنه

3 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى مدخل المسجد والمقام الشريف

4 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى مدخل المسجد والمقام الشريف من باب الباحة الخارجية

5 – صورة عامة لمسجد ومرقد الإمام الشافعي رضي الله عنه من داخل المسجد

6 – صورة لمقصورة مرقد الإمام الشافعي رضي الله عنه

7 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مقصورة مرقد الإمام الشافعي رضي الله عنه

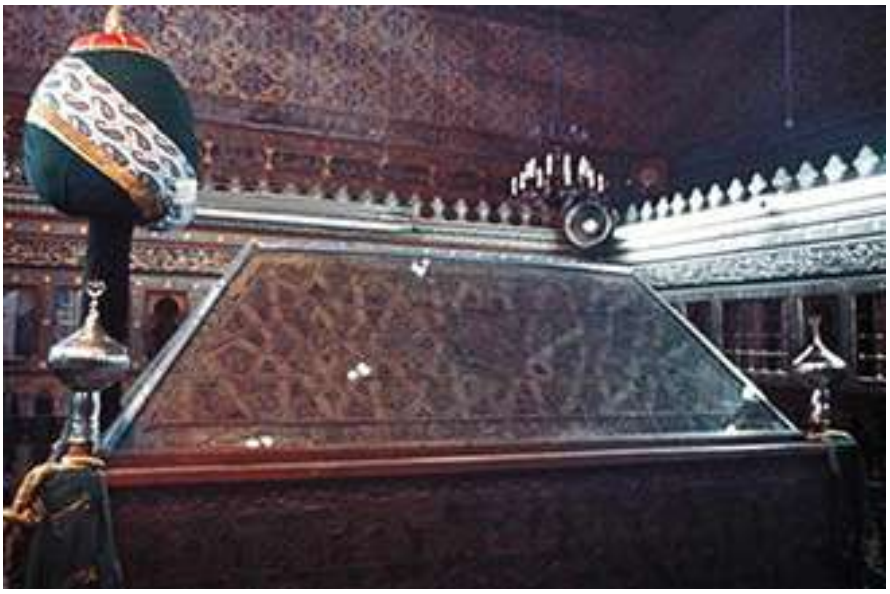

8 – صورة المرقد الشريف للإمام الشافعي من داخل المقصورة

الإمام الليثي

هو الإمام الحافظ العالم الليث بن سعد، بن عبد الرحمن، الفهمي القلقشندي رضي الله عنه ، وهو فقيه ومحدّث وإمام أهل مصر في زمانه، وصاحب أحد المذاهب الإسلامية المندثرة.

مولده ونسبه

لم تفصّل كتب السير والتراجم الكثير حول سيرة الليث ين سعد وحياته، بل اكتفت بذكر تاريخ ولادته ومكانها ونسبه، وبعض مناقبه وما قيل عنه، وتاريخ ومكان دفنه.

ومما ذكر أنه ولد في العام 94 للهجرة في قرية قلقشندة في منطقة دلتا النيل في مصر.

وهو من أصول فارسية من مدينة أصبهان في إيران، ولقبه القلقشندي نسبة إلى القرية التي ولد بها. ويبدو أنه كان من موالي خالد بن ثابت بن ظاعن الفهمي، لذا ينسب الليث إلى بنو (فهم) بالولاء أي لكونه من مواليهم، ومن هنا أيضاً لقبه (الفهمي).

تحصيله للعلم

تلقى الإمام الليث العلم في بداية الأمر علي أيدي تابعي مصر، أي الجيل الثاني بعد الصحابة، ثم رحل عن مصر وهو في العشرين من

العمر إلى الحج عام 113 للهجرة، فتلقى العلم هناك من علماء الحجاز، ثم عاد إلى مصر بعدما ذاع صيته في العلم.

وتصدى للإفتاء وانفرد به في مصر، وعظمّه أهل مصر لذلك، حتى أن ولاة مصر وقضاتها كانوا يرجعون إلى رأيه ومشورته، ثم ما لبث حتى استقل بالقضاء على كامل مصر، وذلك في ولاية حوثرة بن سهل عليها من قبل محمد بن مروان حفيد عبد الملك بن مروان الأموي.

لذلك، أصبح أشهر الفقهاء في زمانه، حتى أنه فاق في علمه وفقهه إمام المدينة المنورة أنس بن مالك رضي الله عنه ، غير أن تلامذته لم يقوموا بتدوين علمه وفقهه ونشره في الآفاق، مثلما فعل تلامذة الإمام مالك. وينقل عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال «الليث أفقه من مالك إلّا أن أصحابه لم يقوموا به».

وقال عنه المحدث يحيى بن بكير: «سمعت الليث يقول: سمعت بمكة سنة 113هـ من الزُهري وأنا ابن عشرين سنة». ويظهر من هذا النقل أن ذلك حصل في بداية تحصيله العلمي، لأنه وكما مرّ معنا سابقاً سافر إلى مكة وهو ابن 20 سنة.

ويروى أنه استقى العلم من خمسين تابعياً، وأدرك 150 رجلاً من تابعي التابعين.

تلامذته ومنهجه في نشر العلم

بعد شيوع علمه بين المسلمين، إلتفّ حوله الكثير من طلاب العلم، والذين ناهز عددهم الخمسين.

وكان للإمام الليثي مجلساً يعقده كل يوم، ويقسمه إلى أربعة أقسام، الأول للوالي يستشيره في حوائجه، والثاني لطلبة العلم في الحديث النبوي الشريف، والثالث عام وكان يخصصه للمسائل الفقهية، ويجيب على بعض الأسئلة، والرابع للناس بشكل عام ممن كانوا يسألونه المال فلم يكن يرد أحداً بحسب ما نُقل.

ونتيجة لعدم إهتمام الليث بن سعد بتصنيف المصنفات، فليس مستهجناً عدم وصول شيء عن علمه وفقهه إلاّ النذر القليل جداً، وما وصل بحسب ما يقال عن ذلك، إنما ورد في كتاب (الفوائد) لابن منده.

بعض من سيرته ومناقبه

ومما كان يتميز به الإمام الليث بالإضافة إلى علمه، أنه كان ذا ثروة كبيرة، ولكن وعلى الرغم من ذلك فقد كان زاهداً بحسب ما نقل معاصروه. ومن هؤلاء: يونس بن عبد الأعلى الذي قال: كان دخل الليث في كل سنة 100 ألف دينار، وما وجبت عليه زكاة قط.

- وينقل أيضاً محمد بن عبد الحكم: كان يدخل لليث في كل سنة أكثر من 80 ألف دينار، وما وجبت عليه زكاة قط، لأن الحول كان لا ينقضي عنه حتى ينفقها ويتصدق بها.

- وقال ابن يونس: كان لليث قرية بمصر يقال لها الفرما يحمل إليه من خراجها، فيجعل ذلك صرراً ويجلس على باب داره ويعطي صرّة لهذا وصرّة لذاك، حتى لا يدع إلّا اليسير من ذلك.

- وروى ابن النحوي في مناقب الليث وقال: بلغني عن يونس بن

عبد الأعلى الصدفي أنه قال: صودر رجل من أهل مصر في زمن الليث بن سعد، ونودي على داره فبلغت أربعة آلاف درهم، فاشتراها الإمام الليث ابن سعد، وبعثني حتى آخذ المفاتيح، فوجدت فيها أيتاماً وعائلة، فقالوا: بالله عليك اتركنا إلى الليل حتى ننظر خربة نذهب إليها، قال: فتركتهم وجئت إليه وأخبرته بالقصة، فبكى وقال: عد إليهم وقل لهم: الدار لكم، ولكم ما يقوم بكم في كل يوم.

- وقال يحيى بن بكير: سمعت أبي يقول: ما رأيت أكمل من الليث بن سعد، كان فقيها، عربي اللسان، يحسن القرآن، والفقه، والنحو، والطب، والشعر، وما زال يذكر خصالاً جميلة ويعقد بيده حتى عقد عشراً.

وفاته ومكان ضريحه

توفي الليث بن سعد رضي الله عنه عام 175 للهجرة، ودفن في مقابر (الصدف) والتي تعرف حالياً بقرافة الليثي. وكانت له جنازة عظيمة، فقد قال محمد بن وهب: شاهدت جنازته مع أبي فما رأيت جنازة أعظم منها ولا أكثر منها، ورأيت الناس كلهم عليهم الحزن والكآبة، ويعزي بعضهم بعضاً، فقلت لأبي: أرى كل واحد من الناس كأنه صاحب الجنازة، فأي رجل كان الليث؟ فقال يا بني: كان عالماً كريماً، حسن العقل، كثير الأفضال، لا يُرى مثله أبداً.

وقال شرحبيل ابن جميل عنه: . . . وكفاه فخراً أنه شيخ مشايخ البخاري ومسلم، فقد روى البخاري عن يونس بن عبد الأعلى عن الإمام الليث بن سعد، وأحاديثه في الصحاح الستة، وهو ثقة وعدل.

وقال القرشي في (تاريخه): وكان قبره كالمصطبة ثمّ بني عليه هذا المشهد بعد مُضي 640 من الأعوام، والذي بنى المشهد عليه هو ابن التاجر (وهو أبو زيد المصري) وقبره مكان معروف بإجابة الدعاء، وزاره العديد من العلماء رضي الله عنه . ولم يزل هذا المشهد الكريم موضع عناية المصريين ليومنا هذا.

ذكر بعض من دفن إلى جواره

1 - أبرز من دفن إلى جوار الإمام الليثي: هو ابنه الإمام الفقيه المحدث شعيب بن الليث بن سعد. وكان من أجلاء العلماء المعدودين المحدثين، وكان يقال له: الكريم ابن الكريم.

2 - بالإضافة إلى شعيب فقد دفن في قبره أخوه لأمه محمد بن هارون الصدفي.

3 - وبالمشهد أيضاً قبر الشيخ جمال الدين على باب المشهد.

4 - الشيخ أبي بكر البهائي.

5 - الشيخ عز الدين البلقائي

6 - الشريف الطوسي - وهذا يحتاج إلى تحقيق مستقل لمعرفة هويته.

7 - الشيخ عز الدين عاقد الأنكحة (أي الذي يجري عقود الزواج).

8 - الشيخ محمد المصري المعروف بالحليق مع جماعة من الصالحين.

9 - وعند شباك الليث قبر عليه عامود مكتوب فيه: هذا قبر شبل الدولة العسقلاني توفي سنة 629 للهجرة.

10 وقريب منه عمود مكتوب فيه: هذا قبر الشيخ علي بن عمر المؤذن بمسجد شمس الدين العلائي.

11 - وخارج المشهد قبر الفقيه ابن طاب الزمان.

12 - وخارج المشهد أيضاً جماعة من خدّام الليث وزواره، بالإضافة إلى جماعة لا تُعرف أسماؤهم.

وفي كل ليلة سبت يعمل للإمام الليث (مقرأة) أي ختمية للقرآن الكريم، ويعمل له مولد في شهر شعبان بعد مولد الإمام الشافعي رضي الله عنه.

وما يزال المسجد الذي بداخله ضريحه الشريف عامراً بالذكر والصلوات لا سيما نهار الجمعة. وفي زيارتنا الأخيرة لمرقده الشريف شهدنا بعض هذه المراسم المباركة.

فهنيئاً لأهل مصر بوجود هذا العالم الفذّ بين ظهرانيهم، وهنيئاً له لوجوده بين محبين لله ولرسوله وآل بيته وأصحابه الأخيار والعلماء الكرام والصالحين.

ومدحه النابلسي في أبيات من الشعر يقول فيها:

بأبي المكارم سيد السادات وهو الإمام الليث ذو البركات

لما نزل مصر وسائر أهلها في نعمة وعناية وهبات

أهم المصادر والمراجع

1 – الإصابة	ابن حجر
2 – أسد الغابة	ابن الأثير
3 – الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
4 – الكواكب السيارة	ابن الزيات
5 – الخطط	المقريزي
6 – الحقيقة والمجاز	للنابلسي

وغيرها

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة لدخل مسجد ومقام الإمام الليثي وتظهر القبة من عمق الصورة

2 – صورة للدكتور أحمد قيس على مدخل المسجد والمقام للإمام الليثي

3 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى اتجاه مدخل المقام

4 – صورة للدكتور قيس في الباحة الخارجية للمسجد والمقام

5 – صورة للدكتور قيس على باب المقام

6 – صورة للدكتور قيس وهو يهم بالدخول إلى مرقد الإمام الليثي

7 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف للإمام الليثي

8 – صورة جانبية إلى جوار المرقد ويبدو المحراب في وسط الصورة

9 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد من زاوية أخرى

10 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد الإمام الليثي من زاوية مختلفة

11 – جدارية معلقة داخل المسجد تترجم لسيرة وحياة الإمام الليثي

12 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى مرقد الإمام شعيب ابن الإمام الليثي والمدفون بجواره في مقصورة خاصة

13 – الدكتور قيس إلى جوار مرقد الإمام شعيب ابن الإمام الليثي

14 – صورة للدكتور قيس بجوار المرقد الخاص بالإمام شعيب من زاوية أخرى

العلّامة مرتضى الزبيدي

في أول شارع الخليفة، وقبل مقام السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنه لجهة اليمين يقع مقام ومسجد السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب عليه السلام، وكنّا قد تحدثنا عن السيدة سكينة والسيدة رقية في كتابنا السابق (مصر وآل البيت)، وعند الدخول إلى مرقد السيدة رقية رضي الله عنه نجد مرقد وضريح العلّامة مرتضى الزبيدي، فمن هو؟

العلّامة الزبيدي

هو العلّامة الكبير واللغوي والمحدّث الزبيدي، واسمه محمد بن محمد بن عبد الرازق، بن مرتضى، الحسيني الزبيدي.

وهو من سلالة الأشراف ويتصل نسبه بالإمام الحسين عليه السلام، ومنها لقبه الحسيني. كما أنه ترعرع في مدينة (زبيد) في اليمن، ولهذا السبب لقّب بالزبيدي.

وبالإضافة إلى لقبه (الزبيدي)، يعرف أيضاً (بأبي الفيض)، و(أبو الجود)، و(أبو الوقت). أمّا عن اسم والدته، فإننا لم نجد في المراجع من ذكر ذلك.

ولادة ونشأة الزبيدي (العلمية)

ولد العلّامة الزبيدي عام 1145هـ/ 1732م في مدينة (بلكرام) في الهند، وهو من أصول عراقية، وارتحل مع عائلته إلى منطقة (زبيد) في

اليمن حيث نشأ وترعرع هناك، وأخذ علومه الأولية في بداية أمره من علماء اليمن في ذلك الوقت. وبقي في زبيد مدة طويلة قبل ارتحاله وهجرته في طلب العلم. فزار الحجاز ونهل من علمائها المعارف الإسلامية، ثم قصد مكة لحج بيت الله الحرام، والتقى أيضاً بالعلماء هناك، وبعدها طاف في أنحاء الجزيرة العربية وصولاً إلى السند (باكستان حالياً)، والهند، وبلاد فارس (إيران)، والمغرب العربي، وانهى ترحاله في مصر حيث بقي مدة طويلة حتى وفاته بها.

وكان من أبرز اساتذته: الشيخ أحمد الملوي، والشيخ الجوهري، والشيخ الخنفي، وغيرهم، وقد أجازوا له، وشهدوا بسعة علمه وجودة حفظه.

ولذلك، فقد ذاع صيته بالعلم والتقوى، وأصبح مصدراً موثوقاً نقل عنه العديد من العلماء، وعدّهم البعض فوصل إلى ثلاثماية شيخ وعالم على الأقل. وهذه الشهرة العظيمة له جعلت معظم علماء الأزهر الشريف آنذاك يسعون إلى حضور دروسه والإستماع إليه والإجازة منه، وزاد من شهرة الزبيدي أيضاً تناقل الناس خبر حضور مشايخهم لتلقي العلم والدروس منه، مثل: الشيخ أحمد السُّجاعي، والشيخ مصطفى الطائي، والشيخ سليمان الأكراشي، وغيرهم. فازداد شأنه وعظم قدره، واجتمع عليه العامة والأكابر والأعيان.

واللطيف في الأمر، أن العلّامة الزبيدي منح السلطان أبي الفتح عبد الحميد خان الأول (1203 هـ) سلطان الدولة العثمانية إجازة في الرواية عنه وتحديداً رواية (الرحمة)!!! وبهذا دليل ساطع على علو

شأن الزبيدي وشهرته العلمية. وعلى الرغم من أنه كان من الفقهاء والمحدثين إلّا أن شهرته كانت من خلال تفوقه في اللغة.

الإرث العلمي للزبيدي

ترك العلّامة الزبيدي إرثاً ثميناً من المؤلفات والكتب والأعمال الأدبية، والأخلاقية، والكلامية، والحديثيّة، وفي الأنساب، وفي اللغة، وغيرها.....

وقد بلغ مجموع ما تركه من مصنّفات نحو 107 مؤلفاً، وكان من أبرز تلك المصنفات كتابه: **تاج العروس من جواهر القاموس**، الذي ذاع صيته واشتهر به.

وهذا الكتاب (تاج العروس) هو معجم لغوي في شرح وتفسير المعاني لمفردات اللغة العربية. ويعتبر هذا المعجم اللغوي الأضخم بين سائر المعاجم اللغوية العربية. ويبلغ عدد مجلداته نحو 35 مجلداً، وقد صدر في بيروت عام 1965 عن دار إحياء التراث العربي. وبالإضافة إلى هذا المعجم اللغوي، فإنه قد صنّف العديد من المؤلفات في شتّى الميادين، منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - (أسانيد الكتب الستة) وهذا الكتاب يدرس أحوال الرواة أو ما يعرف (بعلم الرجال) أو (الدراية).

2 - (أتحاف السادة المُتّقين في شرح إحياء علوم الدين للغزالي) وجاء في (10 مجلدات)، وهو كتاب في الكلام والفلسفة.

3 - (جنوة الإقتباس في نسب بني العباس) وهو كتاب في الأنساب.

4 - (كشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام)، وهو كتاب في الأخلاق.

5 - (بلغة الأريب في مصطلح آثار الحبيب)، وهو كتاب في السيرة النبوية والعترة المباركة.

وفاته ومكان ضريحه

توفي العلّامة الزبيدي في شهر شعبان من عام 1205هـ/ بعد صراع مع مرض الطاعون الذي عمّ مصر في ذلك الوقت، وعن عمر قارب الستين. ودفن إلى جوار مرقد السيدة رقية بنت علي بن أبي طالب عليها السلام في شارع الخليفة. والى جوار قبر زوجته السيدة زبيدة والتي كانت قد توفيت في حياته، ودفن في القبر الذي كان قد أعدّه لنفسه مسبقاً.

ويقول تلميذه (الجبرتي) في تاريخه: أن معظم أهل مصر وعلماء الأزهر لم يعلموا بموته بسبب اشتغالهم بأمر مرض الطاعون الذي كان متفشياً، ولهذا السبب لم يرثه أحد من شعراء عصره أو تلامذته.

ودفن إلى جوار مجموعة من الأعلام والصالحين، ويبدو أنّهم قد توفوا بالطاعون أيضاً، وهو المرقد الذي يجاوره ويعرف بضريح الأولياء.

ويجاوره أيضاً مرقد للشيخ محمد فرغلي (1907 - 1954) والذي كان مشاركاً في حرب فلسطين عام 1948 م.

رحم الله العلّامة الزبيدي وزوجته السيدة زبيدة، ومن دفن إلى جوارهم، وأنالهم الله شفاعة السيدة رقية رضي الله عنها التي تشرفوا بمجاورتها.

أهم المصادر والمراجع

1 - الكواكب السيارة ابن الزيات

2 - الخطط التوفيقية علي باشا مبارك

3 - إجازة السلطان تحقيق د. محمد فتحي الأعصر

4 - مرتضى الزبيدي موقع ويكيبيديا

5 - تاريخ الجبرتي عبد الرحمن الجبرتي

وغيرها . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – الدكتور قيس على باب مرقد السيدة رقية بنت الإمام علي عليه السلام حيث دفن إلى جوارها العلاّمة الزبيدي وزوجته

2 – الدكتور قيس بجوار مرقد السيدة زبيدة زوجة العلاّمة الزبيدي

3 – الدكتور قيس إلى جوار مرقد العلاّمة الزبيدي لجهة اليمين ويجاوره مرقد محمد فرغلي

4 – صورة للدكتور قيس بين أضرحة الفرغلي والعلاّمة الزبيدي والأولياء

5 – صورة أخرى للدكتور قيس بين المراقد الثلاثة المذكورة

شبل أمير الجيوش

في محافظة المنوفية المصرية هناك مسجد عامر وضريح شامخ ينسب لشبل أمير الجيوش. وهذا المشهد معروف بين أبناء مصر المحروسة، ولا سيما أبناء محافظة المنوفية. فمن هو صاحب الضريح؟

أمير الجيوش

هو محمد بن الفضل بن العباس عم النبي ﷺ، ومعروف بإسم محمد شبل الأسود.

ولد في السنة التاسعة للهجرة في الحبشة في حياة النبي ﷺ، وأمّه السيدة ميمونة الحبشية زوجة الفضل بن العباس، وقد تزوجها أثناء تواجد وفد من الحبشة في المدينة المنورة.

وبحسب هذه المصادر أن الذي أجرى عقد الزواج كان الصحابي الجليل المقداد بن الأسود، وحضر هذا الزواج الصحابي الجليل معاذ بن جبل، والصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضوان الله عليهم.

صفات ولقب السيد محمد شبل الأسود

عند ولادته أسماه والده على إسم نبي الرحمة محمد ﷺ، واشتهر بين بني هاشم (بالشبل) لشجاعته. ويقول إسلام سليم في مدونته: وسبب تسميته بالشبل لأن جميع أسماء بني هاشم هي أيضاً أسماء

الأسود، وذلك لهيئتهم وهيبتهم وشجاعتهم المنقطعة النظير. ولا زالت هذه الصفات متوارثة في الأشراف إلى أن يقبضهم الله من الأرض قبل قيام الساعة.

وقيل أنه لقّب (بشبل) لأن أباه الفضل كان شجاعاً كالأسد.

وقد نعت بالأسود نسبة إلى سواد لونه الذي ورثه عن والدته ميمونة الحبشية رضي الله عنه . ولقبه أمير الجيوش جاء نتيجة قيادته للعديد من المعارك التي خاضها المسلمون.

سبب قدومه إلى مصر ووفاته بها

يقول إسلام سليم: قاد شبل الجيش الإسلامي في وجه الرومان وذلك من أجل إخراجهم من مصر بحدودها القديمة، وقد انتصر فيها المسلمون وطردوا الرومان، إلّا أن شبل استشهد في هذه المعركة إلى جانب مجموعة من أصحابه الذين دفنوا إلى جواره في المسجد المنسوب إليه في مدينة الشهداء في محافظة المنوفية. وكانت هذه الشهادة المباركة عام 40 للهجرة، وعن عمر ناهز 31 عاماً.

ويضيف بالقول: تذكر الكتب التاريخية أن أمير الجيوش محمد بن الفضل بن العباس، جاء في زمن مد الفتوحات الإسلامية لها، لإستنقاذها من براثن العسف الروماني. ونزل أول ما نزل في منطقة (بالبهنسا) في الجهة المقابلة للصعيد المصري، وبعد استقراره بها لحقن به أخواته البنات وعددهن 7، واللواتي خدمن إلى جانب أخيهم في الحرب. وبقي يلاحق فلول الرومان باتجاه الصعيد إلى أن وصل إلى المنوفية ومنطقة (سرسنا) فيها، وكان في هذه المنطقة قلعة حصينة

للرومان، والتي سقطت بيد أمير الجيوش بعد معارك ضارية، وما تزال آثار هذه القلعة ماثلة إلى اليوم.

وأخذ يطارد فلولهم باتجاه الصعيد، وبعدما إطمئن من ابتعادهم وتشرذمهم عاد إلى منطقة (سرسنا) لتثبيت الجيش الإسلامي في هذه المواقع الجديدة، إلا أنّه وقع في كمين أعدّه بعض فلول الرومان، فأخذ ومن معه يقاتلوهم حتى غافله أحد الجنود الرومان من الخلف وطعنه بالرمح في ظهره، فخرّ صريعاً شهيداً.

فتم دفنه في منطقة(سرسنا) والتي تعرف اليوم بمدينة الشهداء، وهذا الدفن تمّ في مكان استشهاده، ولاحقاً تمّ بناء الضريح عليه، ومن بعدها أُنشئ المسجد والعمارة الحالية.

أمّا عن أخواته االسبعة فقد استشهدن وقد تم دفنهن إلى جواره كما تظهر الصور المرفقة. وقد تم دفن اصحابه الذين استشهدوا معه أيضاً إلى جواره في مقبرة خاصة بهم أشرنا إليهم من خلال الصور المرفقة.

ويقال أن أسماء أخواته الشهيدات هنّ:

1 – السيدة زمزم 4 – السيدة ذكية 7 – السيدة رضى

2 – السيدة عاتكة 5 – السيدة أم السعد

3 – السيدة حليمة 6 – السيدة أم الخير

وتذكر المصادر أن عدد أصحابه الذين استشهدوا معه بلغوا 40 شهيداً. وقد تشرّفنا بزيارة هذا المسجد الشريف والمراقد الموجودة به أثناء زيارتنا الأخيرة لمصر المحروسة.

إشكالية وتعليق

يؤكد جملة من أهل التاريخ أن الفضل بن العباس لم يولد له ولد ذكر يدعى (محمد)، بل فقط انثى حملت إسم (ام كلثوم) والتي تزوجها أبو موسى الأشعري. وبالتالي فإنه ومن خلال قولهم هذا، ينفون أصل وجود محمد شبل أمير الجيوش.

وأبرز من تبنى هذا القول: ابن حجر العسقلاني صاحب كتاب (الإصابة).

أمّا التعليق على هذه الإشكالية، فقد دونت فيها الكثير من الكتابات وبشكل سردي وتاريخي مطوّل، لذا سوف ننقل أهم النقاط التي تؤكد نسبته إلى محمد شبل.

1 - إن أقدم وثيقة أرّخت وترجمت لمحمد شبل كانت من خلال الأمير غانم بن عياض الأشعري، وهو حفيد أبو موسى الأشعري. وهذه المخطوطة موجودة بدار المخطوطات المصرية.

2 - تذكر الدكتورة سعاد ماهر أن رواية استشهاده مع الرومان غير دقيقة، وهي تنسب وفاته واستشهاده إلى وقت لاحق أي إلى عام 65 للهجرة، ولا تنفي نسبة الضريح له. أي أنها تؤكد وجوده وتناقش في التاريخ وظروف الإستشهاد.

3 - أمّا علي باشا مبارك فقد أكّد على وجوده وذكره في (خططه)، وقال أنه يقام له مولد حافل كل عام. ويتحدث عن الأضرحة الموجودة إلى جواره. إلّا أنه يتبنّى رواية أخرى لجهة زواج الفضل بن العباس من

السيدة ميمونة الحبشية، حيث يروي أن الفضل والد محمد قد تزوجها وهو في الحبشة بتجارة لأهل المدينة. . . .

4 - برأينا المتواضع، وبعد مقابلة الآراء المتعددة نصل إلى الإستنتاج التالي:

إن أهم المصادر التاريخية والخاصة بالأنساب وضعها مؤلفوها في أزمنة متباعدة نسبياً، وأمكنة متفرقة، وبالتالي لم يدعِ أحد منهم حصره لكل سلسلة النسب للمترجم عنه.

وهذا ما تؤكده كتبهم الموجودة بين أيدينا حالياً، فقد نجد ذكراً لرجل ما في كتاب ولا نجد أثراً له في كتاب آخر. ومن جهة أخرى قد تكون العناصر القبلية أو الجاهلية في كثير من الأحيان حاكمة على قلم هؤلاء المؤرخين، إذ أن التراث العربي القديم لا يقيم وزناً كبيراً لأبناء الأمة وخاصة إن كانت سوداء البشرة. وعلى كل حال إن نفس وجود اسمه في مصدر أو أكثر يؤكد على وجوده بغض النظر عن التاريخ وسبب القدوم إلى مصر، أو أسباب الشهادة ومع من وضد من.

لذا إن هذا المشهد يقوم على أدلة لا بأس بها وهذا بحد ذاته كاف لنسبته إليه والله أعلم.

حالة المسجد والأضرحة

يعتبر مسجد ومقام سيدي محمد شبل الأسود من المساجد والمقامات الدينية التي تحظى بالعناية المركزة والدائمة. وهو تحت إشراف وزارة الأوقاف ووزارة الآثار، وبهذا تأكيد إضافي على صحة نسبه لصاحبه محمد بن الفضل بن العباس.

ولقد تشرفنا بزيارته وزيارته إخوته البنات والشهداء ودعونا المولى ﷻ هناك، وندعوه مجدداً لأن يلهم المعنييّن بالإهتمام (بتربة الأشراف) و(مشاهد الطباطبائيين)، إنه سميع مجيب.

أهم المراجع والمصادر:

1 - الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
2 - مساجد مصر وأولياؤها الصالحون	د. سعاد ماهر محمد
3 - سيدي شبل الأسود	د. إسلام يحيى سليم
4 - الإصابة	إبن حجر العسقلاني
5 - ترجمة الأمير غانم بن الغياض (في كتاب فتوح الشام)	محمد بن عمر الواقدي
6 - قبر أمير الجيوش	موقع صدى العرب
7 - مقام سيدي شبل الأسود	موقع الوطن
وغيرها	

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس أمام مسجد ومرقد شبل أمير الجيوش

2 – صورة للدكتور قيس على مدخل المسجد

3 – صورة للدكتور قيس على باب المسجد

4 – صورة للدكتور قيس من داخل المسجد وعلى باب مرقد شبل الأسود

5 – صورة لمرقد شبل الأسود أمير الجيوش

6 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد شبل أمير الجيوش

7 – جدارية معلقة على مقصورة شبل أمير الجيوش

8 – جدارية تشير إلى مرقد السبع بنات أخوات شبل وتذكر أسماءهن

9 – صورة لقباب مرقدي شبل أمير الجيوش لجهة اليسار
وأخواته البنات لجهة اليمين من الصورة

10 – صورة للدكتور قيس بين مقصورتي شبل وأخواته

11 – صورة للدكتور أحمد قيس على باب مراقد الشهداء المدفونين إلى جوار شبل أمير الجيوش

12 – صورة للدكتور أحمد قيس إلى جوار مراقد الشهداء والى جانبه خادم المسجد

13 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مراقد الشهداء

14 – صورة لمراقد الشهداء من الجهة المواجهة

أبو بكر محمد ابن سيرين

في شارع الخليفة والمعروف أيضاً بشارع الأشراف من القاهرة القديمة (الفسطاط)، ومن بداية الطريق باتجاه مقام السيدة نفيسة رضي الله عنها على جهة اليسار، توجد غرفة صغيرة عليها قبة خضراء صغيرة، وبقرب باب هذه الحجرة وضعت جدارية كتب عليها: هذا مقام (محمد بن سيرين) مفسر الأحلام، (وسيدي عبد الغني عبد الله البلاسي). فمن هما وما هي قصتهما، وصحة نسبة وجودهما في مصر المحروسة؟

إبن سيرين

هو أبو بكر محمد ابن سيرين البصري التابعي المعروف، وقد اشتهر بتفسير الرؤى بالإضافة إلى أنه من المحدثين والفقهاء والزهاد.

ولد محمد بن سيرين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه عام 653م، وكان أبوه (سيرين) مملوكاً لأنس بن مالك الصحابي، وذلك بعد معركة عين التمر وهي بلدة غربي الكوفة افتتحها خالد بن الوليد في خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وقد اعتقه لاحقاً أنس بن مالك.

وأمّه أسمها (صفية) وكانت أمه لأبي بكر الصديق فأعتقها.

وينقل عن أنس بن سيرين قوله: ولد أخي محمد لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وعرف أبوه (سيرين) وأمه (صفية) بالصلاح وحسن السيرة.

نشأته وطلبه للعلم

نشأ محمد بن سيرين في بيت تحوطه التقوى والورع، شأنه بذلك شأن كل الأسر الإسلامية في الصدر الأول. واتصل بمجموعة كبيرة من الصحابة من أمثال: زيد بن ثابت، عمران بن الحصين، أنس بن مالك، أبو هريرة، عبد الله بن الزبير، عبد الله بن العباس، عبد الله بن عمر، وجعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه .

وأقبل ابن سيرين على هؤلاء الصحابة الكرام ينهل من علمهم وفقههم وروايتهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ويقول هشام بن حسان: أدرك محمد بن سيرين ثلاثين صحابياً.

لذلك اشتهر محمد بن سيرين وذاع صيته وعلت شهرته في البلاد وعرف بالعلم والورع.

وقد كانت له مواقف مشهورة مع ولاة بني أمية صدع فيها بكلمة الحق وأخلص النصح لله ولرسوله، كما أنه ناصر آل البيت في العديد من المواقف لا مجال لاستعراضها في هذه المقالة خشية الإطناب.

مناقبه وتلامذته

كان محمد بن سيرين يعمل بالتجارة في أسواق المسلمين، فإذا رجع إلى بيته بالليل أخذ في القيام وتلاوة القرآن ويبكي.

وقال عنه مورق العجلي: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه، ولا أورع في فقهه من محمد بن سيرين. وقال عنه ابن عون: كان يأتي بالحديث على حروفه، وما رأيت مثل محمد بن سيرين.

وقال أيضاً: ثلاثة لم تر عيناي مثلهم: ابن سيرين بالعراق، والقاسم الطيب بن محمد بالحجاز، ورجاء بن حيوة بالشام، وكأنهم ألتقوا فتواصوا.

قال أبو عوانة: رأيت محمداً بن سيرين في السوق، فما رآه أحد إلّا ذكر الله.

وقال عنه الطبري: كان بن سيرين فقيهاُ عالماً، ورعاً، أديباً، كثير الحديث، صدوقاً، شهد له أهل العلم والفضل بذلك، وهو حجة.

وقال عنه ابن شبرمة: دخلت على محمد بن سيرين (بواسط) فلم أر أجبن منه بالفتيا (لشدة ورعه)، ولا اجرأ على تفسير الرؤيا منه.

وقال عنه أيضاً هشام: ما رأيت احداً عند السلطان أصلب من ابن سيرين. وعن ابي عون قال: أن محمد بن سيرين إذا كان في حضرة والدته لو رآه رجل لا يعرفه أو ظن ان به مرضاً من شدة توقيره لها وخفض صوته عندها.

وبسبب هذه المناقب الرفيعة والعالية، قصده طلاب العلم من شتى بقاع الأرض، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: قتادة، وأيوب، ويونس بن عبيد، وابن عون، وخالد الحذّاء، وهشام بن حسان، وعون الأعرابي، وقرة بن خالد، ومهدي بن ميمون، وجرير بن حازم، وعقبة بن عبد الله الأصم، وغيرهم الكثير.

وفاته

توفي محمد بن سيرين عام (110 للهجرة 729 م) عن عمر (77/ 80)، وقيل أنه توفي بعد مئة يوم بالتمام من وفاة الحسن البصري رضي الله عنه.

وقد أوصى قبل وفاته بوصية إلى أهله وأولاده تتضمن المفاهيم الإسلامية السامية، وقد ذكرها تلميذه ابن عون ونقلها أصحاب التراجم.

ودفن رضي الله عنه في البصرة ويقع ضريحه حالياً في مشهد الحسن البصري رضي الله عنه في العراق. وبالتالي فإن هذا المكان الموجود في مصر بشارع الخليفة ليس ضريحه قطعاً بحسب أهل التاريخ، والذين يقطعون بعدم دخول محمد بن سيرين إلى مصر.

تعقيب لا بد منه

هناك اختلاف كبير بين العلماء حول صحة نسبة كتاب التفسير للأحلام لابن سيرين، فمنهم من يؤكد نسبته اليه، ومنهم من ينفي ذلك مع التأكيد على أنه كان من أبرز المفسرين للرؤيا والأحلام في زمانه.

أما عن سيدي عبد الغني عبد الله البلاسي فهو ينسب إلى أحد أبناء الذرية المباركة، ولم نقف على ترجمة له في الكتب والمصادر التي اطلعنا عليها.

وبالتالي يمكن القول بأن هذا المرقد هو لأحد أبناء ذرية آل البيت عليهم السلام، وبحسب المتداول بين الناس أنه كان من أهل الخير والصلاح، ويزوره الناس كرامة لأجداده من آل البيت عليهم السلام. ويبدو أنه كان من أصحاب الطرق الصوفية وذلك لأن مرقده يشرف عليه المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر. والله سبحانه أعلم بحقائق الأمور.

وعلى كل حال فإنه يزار بعنوان مودة(آل البيت)، ولشهرة صلاحه

وورعه وتقواه، وهذا معنى الحديث الوارد عن الإمام علي عليه السلام : ألسنة الناس أقلام الحق.

أهم المصادر والمرجع

1 - سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبي
2 - وصفة الصفوة	أبو الفرج ابن الجوزي
3 - وفيات الأعيان	القاضي ابن خلكان
4 - تاريخ الطبري	الطبري
5 - الطبقات الكبرى	لإبن سعد
6 - ابن سيرين	موقع ويكيبيديا
7 - ابن سيرين	موقع د. محمود صبيح

وغيرها . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس أمام المقام المنسوب لابن سيرين في حي الخليفة

2 – صورة للدكتور قيس من داخل المقام والى جوار المرقد المنسوب لابن سيرين

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد المنسوب لابن سيرين

4 – صورة للدكتور قيس بالآلية التي كان يتجول بها للوصول إلى هذا المقام

ابن طولون

يعتبر مسجد ابن طولون في القاهرة القديمة ثاني أقدم مسجد بني في مصر بعد مسجد الفسطاط الذي بناه عمرو بن العاص والذي تقدم الكلام عنه. فمن هو ابن طولون؟

ابن طولون

هو أحمد بن طولون والمكنّى (بأبي العباس) مؤسس الدولة الطولونية في مصر والشام. والده طولون كان مملوكاً تركياً من بلاد منغوليا، ويقال أنه كان من ضمن الجزية التي أرسلها حاكم بخاري إلى بلاط الخليفة العباسي في سنة من السنين، وأغلب الظن أن طولون وصل إلى بلاط الخليفة العباسي في سنة 200 للهجرة، وأنه من خلال مواهبه وصفاته العسكرية نجح بالوصول إلى رئاسة حرس الخليفة.

وتزوج طولون وولد له مولود ذكر أسماه (أحمد) عام (220 للهجرة)، في مدينة بغداد، وكان اسم زوجته والدة أحمد بن طولون (هاشم ويقال قاس).

وتوفي طولون والد أحمد في العام (240هـ)، وتزوجت زوجته من بعد وفاته من (بغا الأصغر) أحد زعماء الجند، ومن بعده تزوجت من (باكباك) الذي خلف بغا في وظيفة الأمين في البلاط العباسي.

ونتيجة لقرب طولون من الخليفة العباسي ومكانته عنده، لقي أحمد بن طولون وأخاه موسى الكثير من العناية بعد وفاة أبيهما، كما حصلا على التعليم العسكري الذي يؤهلهما للعمل في جند الخليفة، وبالإضافة إلى تلقي أحمد بن طولون العلوم في الدين والفقه في المعاهد الإسلامية العباسية يومذاك.

وفي مراحل الشباب والرجولة تزوج أحمد بن طولون من (خاتون ابنة عمة يارجوخ) وأنجب منها ولده البكر (العباس) والذي أضحى يكنى به (أبو العباس أحمد بن طولون).

وعلى إثر بعض الأحداث نجح ابن طولون بالتقرب إلى الخليفة العباسي (المستعين بالله)، حيث أضحت هذه العلاقة وطيدة بينهما، ولما اعتزل (المستعين) الحكم للمتوكل العباسي لم يفارق ابن طولون المستعين، إذ اختاره المستعين ليصحبه إلى واسط في العراق، وإلى مكة في الحجاز، وفي طوال هذه المدة كان ابن طولون يحسن خدمة المستعين. إلاّ أن المتوكل خشي من بقاء المستعين على قيد الحياة، فأرسل إلى ابن طولون خطاباً يطلب فيه قتل المستعين، ويقال أن أحمد بن طولون رفض ذلك إلا أن المستعين قتل، فقام ابن طولون بدفن جثمانه ثم عاد إلى سامراء في العراق.

وينقل عن ابن طولون قوله: كانت غاية ما وعدنا به على قتل المستعين ولاية واسط، فتركت ذلك فعوضني الله ولاية مصر والشام وسعه الأحوال معها.

وعند عودة ابن طولون إلى العراق وجد أن النفوذ أصبح بيد الجنود

الأتراك، وكان أقوى الجند مركزاً وشأناً (باكباك) الزوج الثالث لوالدة أحمد بن طولون.

ولذلك اختار (باكباك) أحمد بن طولون ليكون نائباً عنه في مصر، والتي وصل إليها في العام (254هـ)، وبرفقة الجنود للدفاع عنه ضد أي ثورة أو ما شابه ذلك.

وبعد مدة من وصوله إلى مصر استطاع ابن طولون أن يحقق نفوذاً قوياً وخاصة على ولاة الأقاليم بسبب حنكته السياسية ودهائه في الإدارة . ولقد استطاع في هذه المدة أن يكوّن جيشاً قوياً وخاصة بعد مقتل (باكباك) وتحول السلطة إلى (يارجوخ) والد زوجته، والذي أقرّ صهره على ولاية مصر وأطلق يده عليها. واستطاع أحمد بن طولون بعد خمس سنوات من مجيئه إلى مصر نائباً للوالي أن يضم لنفسه إدارة الخراج (الضرائب) في البلاد، وأن يصبح أميراً على مصر كلها بما في ذلك الإسكندرية. وفي عهده أصبح لمصر ولأول مرة جيش عظيم مستقل عن الخلافة ومن ضمنه حامية بحرية عملت على المحافظة على طرق الإتصال البحري بين سواحل مصر والشام.

واستطاع ابن طولون من استمالة العديد من خصومه وحتى بعض اتباع البلاط العباسي من خلال بذله للأموال والهدايا والتي كما يقولون: الكرم الحاتمي نسبة إلى حاتم الطائي المشهور. كما أنه كان مولع بإنشاء الدور والعمارات والمساجد، وأهمها المسجد الذي يحمل اسمه اليوم. هذا بالإضافة إلى العديد من الأماكن الأثرية الموجودة اليوم والتي تعود إلى الحقبة الطولونية.

وفاته وعدد أولاده

توفي أحمد بن طولون في العام (270هـ) (884م) بعد معاناته مع مرض الإسهال الشديد، وقد تم دفنه في جبل المقطم، ولا يعرف في أي بقعة تحديداً وعلى الأغلب فقد ضاع واندثر.

وخلّف من الأولاد 33 ولداً / منهم 17 ذكراً والباقي من الإناث. وكان من أبرز أبنائه الذين توالوا على الحكم والسلطة (أبو الجيش خمارويه) ولاحقاً (أبو المناقب شيبان).

بعض ما قيل عنه

أثنى عليه ابن الأثير بالقول: وكان عاقلاً حازماً، كثير المعروف والصدقة، متديناً، يحب العلماء وأهل الدين، وعمل كثيراً من أعمال البر ومصالح المسلمين.

وقال عنه شمس الدين الذهبي: كان بطلاً شجاعاً، مقداماً مهيباً، سائساً، جواداً، من دهاة الملوك.

بعض الإنتقادات والتهم

وجهت لابن طولون عدة انتقادات أهمها: استقلاله عن الخلافة العباسية وتأسيسه للحكم الأسري الخاص به، ما ساهم ذلك في إضعاف لقوة السلطة المركزية العباسية أمام خصومها من الداخل والخارج، وبالتالي إفساح المجال لغير العرب من تقلد زمام السلطة الإسلامية. أمّا عن التهم التي بحقه: فيقول شمس الدين الذهبي: لكنه

جبّار، سفاك للدماء، بحيث يروى أن من قتلهم ابن طولون أو ماتوا في سجنه بلغوا ثمانية عشر ألفاً.

ويصفه مصطفى صادق الرافعي في كتابه (من وحي القلم): كان له يد مع الملائكة ضارعة، ويد مع الشياطين ضاربة.

وقصة ابن طولون مع (بنان الحمال) مشهورة، فقد نقل ابن قتيبة الدينوري: ولما ذهب أبو الحسن بنان إلى ابن طولون يعظه، وينهاه عن هذه النكراء، طاش عقل الحاكم، فأمر من توّه بإلقاء بنان إلى السباع.

وذكر علي مبارك في (خططه): إن ابن طولون أتى إلى المسجد يوم الجمعة، وإذا بالخطيب يرقى المنبر وهو (أبو يعقوب البلخي)، وخطب خطبة الجمعة ودعا للمعتمد العباسي ولولده، ونسي أن يدعو لأحمد بن طولون، ونزل عن المنبر. فأشار ابن طولون إلى خادمه وطلب إليه أن يضرب البلخي خمسماية سوطٍ، ومن بعدها أعاده إلى المنبر ليدعو له، وامتثل البلخي ثم نزل فامر ابن طولون خادمه بإعطائه خمسماية دينار بعدد الأسواط.

وذكر ابن الزيات في (الكواكب السيارة) الحادثة التي جرت مع القاضي بكار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو كان من أكابر الفقهاء والمحدثين في عهد ابن طولون، كما أن القاضي بكار من أحفاد مخلدة مولى رسول الله ﷺ. ومضمون الحادثة: عند استقلال ابن طولون بمصر، عن الخلافة العباسية، جمع قضاة الأمصار وأمرهم بخلع (الموفق) وأن يعلنوا أن الموفق خارجي، فاجابوه كلهم إلا القاضي بكار، فإنه قال له لم يثبت عندي ذلك، فغضب ابن طولون وسجن القاضي بكار.

ولم يزل القاضي بكار في السجن مضيقاً عليه حتى وصل الأمر بابن طولون إلى مرحلة الإحتضار، فطلب من ابنه (خمارويه) أن يذهب إلى سجن القاضي بكار ليطلب منه الدعاء للشفاء، فرفض القاضي ذلك وما لبث ابن طولون أن توفي، ومن بعدها بأيام توفي القاضي بكار في السجن مظلوماً رضي الله عنه .

وقد ذكر الشبلنجي في (نور الأبصار) وغيره ما يؤكد تعسف وظلم ابن طولون على العباد بخلاف ما يشاع. وقد ذكر الشبلنجي مصادر هذه الحادثة مع محاولته تبريرها، فيقول: ذكر القرمائي قي تاريخه، وصاحب الغرر والعرر، وصاحب المستطرف، أنهم قالوا: أنه لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيدة نفيسة يشكونه اليها، فقالت لهم: متى يركب؟ قالوا في غد، فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت: يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها ونزل عن فرسه فأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها: ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم، هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة، لا سيما عن قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها، فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم، اعملوا ما شئتم فإنّا صابرون، وجوروا فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا إلى الله متظلمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

وقالوا أنه عدل عن ظلمه على إثر هذه الرسالة (أو الرقعة).

ويعلق الدكتور صلاح عدس على هذه الحادثة بالقول: وهكذا كان

الناس دائماً يعتقدون أن أهل البيت هم الخلاص. . . . . من بعد الله سبحانه.

أهم المصادر والمراجع

مساجد مصر	د. سعاد محمد
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
الكواكب السيارة	ابن الزيات
نور الأبصار	للشبلنجي
آل بيت النبي	د. صلاح عدس
الكامل في التاريخ	ابن الأثير
سيرة أعلام النبلاء	الذهبي
من وحي القلم	مصطفى الرافعي
عيون الأخبار	ابن قتيبة الدينوري
ابن طولون	موقع ويكيبيديا
وغيرها	

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس على المدخل الرئيسي للمسجد الطولوني نسبة (لأحمد بن طولون)

2 – صورة للدكتور قيس في الباحة الخارجية لمسجد أحمد بن طولون

3 – صورة للدكتور قيس على مدخل المسجد الطولوني الداخلي

4 – صورة للدكتور قيس من داخل المسجد وهو يشير إلى المئذنة القديمة والمشهورة

5 – وأيضاً صورة للدكتور قيس من داخل المسجد وتبدو المئذنة والقبة

6 – صورة للدكتور قيس في رواق المسجد الطولوني

مشهد السبع بنات

في آخر القرافة (المقبرة) الكبرى من جهة آخر حدود مصر القديمة (الفسطاط)، يوجد هناك سبع قباب متوازية ومتشابهة لجهة العمارة، وفي داخل كل واحدة منها يوجد محراب ما عدا واحدة فيها محرابان.

وهذه القباب شبه مندثرة ويعمّها الخراب والإهمال كما هو ظاهر في الصور المرفقة!!

فما هي قصة هذه القباب؟

يوجد هناك جوابان على هذا السؤال، وأحدهما أقوى بكثير من الآخر، وإن كان كلاهما لا يسلمان من النقد العلمي.

أولاً القباب السبع

ذكر هذه القباب المقريزي في خططه ونسبها إلى سبعة من بني المغربي قتلهم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله.

وقد نقل معظم المؤرخين هذه الأحداث عن المقريزي بالدرجة الأولى مع بعض الإضافات أو التعديلات بما يتناسب مع طبيعة المسائل التي تعرضوا لها في كتبهم.

ومضمون هذه الأخبار التي ذكرها المقريزي: هي أن رجلاً يدعى أبو الحسن علي بن محمد كان والياً على المغرب في زمن الدولة

العباسية، وسبب بقائه لمدة طويلة في المغرب أصبح يشار إليه بأبي الحسن علي بن محمد المغربي.

كما عمل ولده (الحسين) أيضاً لصالح السلطة العباسية في بغداد.

وحصل نزاع أو التباس بين الحسين بن المغربي وبين ابن سيف الدولة الحمداني، اضطر على إثره ترك الحسين بن المغربي لحلب. وقد تواصل لاحقاً ابن المغربي مع الخليفة الفاطمي العزيز بالله، والذي استقبله في مصر وجعله من شيوخ الدولة، وجعله وزيراً.

وكان للحسين بن المغربي ولداً يدعى القاسم ذو همة وفطنة وذكاء شديد، وكان والده يخشى على نفسه وعليه وعلى اسرته من تهور هذا الشاب، وخاصة مع وصول الحاكم بامر الله إلى السلطة بعد وفاة والده العزيز بالله.

وكان الخليفة الحاكم منصور بن العزيز من الحكام الذين يقتلون على الظن أو عند أدنى شبهة، لذا فقد شهد عهده مقتل العديد من رؤساء دولته وعماله.

وبالفعل تحققت مخاوف الحسين بن المغربي، حيث قام ولده القاسم بالحديث عن السلطة والحاكم بشكل سلبي أمام أحد الأشخاص، الذي نقل هذا الموضوع إلى الحاكم، والذي أمر بدوره بإلقاء القبض على آل المغربي وقتلهم.

ولم ينجُ منهم سوى الوزير ابو القاسم الحسين بن المغربي الذي فرّ من مصر ونجح بالوصول إلى خارج حدود السلطة الفاطمية آنذاك.

وينقل عنه هذه الأبيات في رثاء أسرته:

إذا شئت أن ترنو إلى الطف باكياً فدونك فانظر نحو أرض المقطم
تجد من رجال المغربي عصابة مضمخة الأجساد من حلل الدم
فكم تركوا محراب أي معطل وكم تركوا من سورة لم تختم

مناقشة وتعليق على هذه الرواية:

أ - بغض النظر عن الأحداث التي تنقلها هذه الرواية لجهة الدقة العلمية في النقل والتدوين البعيد عن الهوى والعصبية، فإن هناك سؤالاً جوهرياً لا بد منه وهو: إذا كان الحاكم الفاطمي أمر بقتلهم، فمن شيّد هذه المشاهد عليهم؟ والمعروف بأن القاتل لا يكرّم قتيله بتشييد قبة على ضريحه!!!

وهذا الفعل لا يقوم به إلّا المحب الذي يريد إطاله ذكر محبوبه وتخليده. فكيف لنا أن نفهم هذا التناقض الواضح؟

ب - تعرف هذه القباب أيضاً بإسم (السبع بنات) !! فمن أين أتت هذه التسمية المشهورة جداً، والمروية في الكتب التاريخية، وكيف لنا أن نوافق ونوازن بين القول بالمشاهد السبعة لبني المغربي، وبين القول بالسبع بنات؟!

وبالمحصلة العامة حول هذين السؤالين نقول: أن هذه التساؤلات مشروعة ومنطقية إلّا أنها تحتاج إلى عناء كبير وغير مضمون لجهة الوصول إلى نتائج وأجوبة قطعية. وهي من المسائل التي أصبحت من الحلقات الضائعة في التاريخ الإسلامي، وما قاله المقريزي وغيره قد يكون محتملاً أو مقبولاً بنسبة معينة والله اعلم.

ثانياً: السبع بنات

وهذه الرواية تتحدث عن سبع نساء أحبّهن الأمير الجيوشي، وهو بدر الدين الجمالي، أمير جيوش الخليفة المستنصر بالله، وباني سور القاهرة. وقد توفيت هذه النسوة في حياة بدر الدين، فدفنهن إلى جانب بعضهن، وأشاد على أضرحتهن هذه المشاهد، بحيث يستطيع مشاهدتها عن بُعد من أعلى جبل المقطم حيث يقيم.

وعلى كل حال، فإن كان لنا الأمر في اختيار إحدى الروايتين، فإننا حتماً كنا سنختار الرواية الثانية لما تحمل من معاني الحبّ والجمال، بخلاف الأولى والتي تتضمن القتل وسفك الدماء.

إلّا أنه وللأسف لا توجد أدلة علمية على الرواية الثانية، فقط إسم (سبع بنات) هو ما أوجد هذه الحالة من الإرباك في النصوص التاريخية المروية.

والمفارقة الغريبة حول الرواية الثانية هي أنه لماذا لم ينشأ أحد تمثالاً ضخماً تخليداً لذكرى بدر الدين الجمالي الذي أحبّ السبع نساء ودفنهن وبقي هو على قيد الحياة؟

ألا تستحق ذكراه أن تخلّد؟

وهذه التعليقة الأخيرة أوردناها من باب الملاطفة مع السادة القراء الأعزاء.

وختاماً نقول: إن هذه المعالم الأثرية والتي تعود إلى الحقبة الفاطمية تحتاج إلى رعاية خاصة من قبل المسؤولين في وزارة الآثار،

ويمكن إدراجها على الخريطة السياحية للمعالم الأثرية في مصر المحروسة، وذلك بعد استنقاذها من الإندثار، وتنظيف محيطها من النفايات العشوائية الخاصة بأبناء المنطقة.

أهم المصادر والمراجع

خطط التاريخ	للمقريزي
مساجد مصر	سعاد محمد
الخطط التوفيقية	علي باشا
مشهد السبع بنات	موقع المنصة
أضرحة السبع بنات	موقع ويكيبيديا
حكاية السبع بنات	موقع الأهرام
وغيرها	

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى مشاهد السبع بنات

2 – صورة للدكتور قيس وهو يهم بالدخول إلى هذه المشاهد

3 – صورة للدكتور قيس في وسط المشاهد السبعة

4 – صورة للدكتور قيس وهو يتوجه للدخول إلى أحد هذه المشاهد

5 – صورة للدكتور قيس من داخل أحد المشاهد السبعة للبنات

6 – صورة أخرى من داخل مشهد من المشاهد

7 – صورة لهذه المشاهد وتبدو معالم الإهمال الشديد واضحة وخاصة لجهة تراكم النفايات إلى جوار هذه المعالم الحضارية والإنسانية والإسلامية

محمد علي باشا

شهدت مصر إبّان سيطرة الدولة العثمانية عليها أي منذ العام (923هـ/ 1517م) عند دخول السلطان سليم إليها، حتى تسلم زمام السلطة عليها من قبل محمد علي باشا في العام (1219هـ/ 1805م)، أسوأ أنواع الممارسات كالظلم والطغيان، والحيف والجور وعدم الأمان، بحيث أن الناس أثناء هذه المدة كانت تتعرض لشتى أنواع الإنتهاكات من نهب الأموال، وسبي النساء، وخطف وبيع للأولاد، وانتشار الرذيلة، وما شابه ذلك من موبقات. وللأسف كل ذلك كان يجري زوراً بإسم الإسلام.

لذا فإن أهل مصر طلبوا من السلطة العلية(الباب العالي) إبقاء محمد باشا والياً عليهم، وذلك لما تلمسوا فيه من صفات ومناقب أشعرتهم بالأمن والأمان، والأمل بالمستقبل. واستجابت السلطنة العثمانية لهذا المطلب، وأصدرت فرماناً بذلك عام (1220هـ/ 1806م).

وحول هذا الأمر يقول علي باشا: «لما صدر له الأمر بولاية مصر عام (1220هـ) طبقاً لمرغوب أعيانها، وسلسلة الفتن محكمة حلقها، وعقد الحوادث صعب حلّها، والإضطراب عام في جميع الأنحاء، والعقول غالب عليها حب الأهواء، والعرب تعربد في كل النواحي،

والمناسر تقطع الطرق، وتنهب الضواحي، والعسكر تجلب على الأهل كل داهية، والأمراء المصرية تعيث في البلاد، وتخرب القاصية والدانية، وإذا أرسل لقتالهم عسكر زادوا عنهم أضعافاً في الفساد، مع ما بين فرقهم من العداوة والعناد: فالأرنؤود تخالف الإنكشارية وتقاتلها، والدلاة تعادي كل فرقة وتصاولها، والكل معاد للأهالي، عاصٍ للوالي. أخذ الباشا (محمد علي) بالجد والحزم، وتصدى لحل تلك المشكلات المعضلة، والفتن المتطاولة، فشرع في استمالة قلوب المشايخ أصحاب الكلمة، كالسيد عمر مكرم (نقيب الأشراف) والشيخ الشرقاوي، والدواخلي، حتى صاروا معه، فجعل يحل عقد المشاكل بهم، ويستعين برأيهم على مهمات النوازل، ولم يزل يعالج الأمور بعقل ثابت، وسياسة تامة ورشيدة، حتى تفرّد في الأمر (أي السلطة»). فمن هو محمد علي باشا؟

ولادة محمد علي باشا وبعض أخباره.

هو محمد علي باشا المسعود بن إبراهيم آغا القوللي (أي العزيز)، ووالدته تدعى زينب، ولد في العام 1769م في منطقة (قولا) من محافظة مقدونيا أثناء سيطرة الدولة العثمانية عليها. وكان والده (إبراهيم آغا)رئيس الحرس المسؤول عن أمن الطرق ببلده، وقد مات ابراهيم آغا وولده محمد علي كان ما زال صغير في السن، ثم لم تلبث أمه أن ماتت فصار يتيم الأبوين وهو في الرابعة عشر من عمره، فكفله عمه (طوسون)الذي مات أيضاً، فكفله حاكم (قولة) وصديق والده (الشوربجي اسماعيل) الذي أدرجه في سلك الجندية، فأبدى محمد

علي شجاعة وحسن نظر، فقربه الحاكم إليه وزوجه من إمرأة غنية وجميلة وكانت تدعى (أمينة هانم)، ورزق منها بخمسة أولاد، ثلاثة ذكور وهم: ابراهيم، وطوسون، واسماعيل، ومن الإناث بنتين.

واللافت هنا أن أسماء أولاده الذكور حملوا أسماء من ربّوه وكفلوه، وبهذا الأمر شيء من البر والعرفان.

ولاحقاً عندما قررت الدولة العثمانية إرسال جيش إلى مصر لإنتزاعها من أيدي الفرنسيين كان محمد باشا نائب رئيس الكتيبة (الألبانية) والتي كان قوامها 300 جندي.

وعند وصول هذا الجيش إلى ميناء (أبو قير) في مصرعام 1801م، قرر رئيس الكتيبة أن يعود إلى بلده، فأصبح محمد علي باشا رئيس الكتيبة وقائدها، واستطاع من خلال مهارته وحنكته من أن يوجد له مكان على مسرح الأحداث المصرية، بالإضافة إلى نجاحه في كسب ود المصريين.

وفي عام 1804م تم تعيين والٍ عثماني جديد على مصر يدعى (أحمد خورشيد باشا)، ولم يتمكن هذا الوالي من ضبط الأمور، بل على العكس حصل في عهده القصير العديد من الأزمات والنكبات التي حاقت بأهل مصر، فاختار زعماء الشعب بقيادة (عمر مكرم) نقيب الأشراف آنذاك، محمد علي ليجلس محل الوالي خورشيد، وأمام حكم الأمر الواقع أصدر السلطان العثماني (سليم الثالث) فرماناً يقضي بتولية محمد علي باشا على مصر وعزل خورشيد عنها. وذلك في العام 1805م.

وبعد توليه للسلطة، اتجه محمد علي إلى بناء دولة عصرية على

النسق الأوروبي في مصر، وللوصول إلى هذه الغاية شرع في التركيز على التعليم والثقافة ركني إزدهار أية أمّة.

ولحماية هذا المجتمع أسس قوة عسكرية نظامية جديدة تعمل وفق أنظمة الجيوش الغربية لجهة التنظيم والإعداد والتسليح، لذلك أنشأ مدرسة حربية في (أسوان) وألحق بها ألفاً من مواليه ليتم تدريبهم على النظم العسكرية الحديثة. وهؤلاء الضباط شكلوا النواة الأولى التي بدأ بها الجيش النظامي المصري. والذي وصل تعداده في العام 1839م إلى 236 ألف بين ضابط وجندي.

وعندما شرع محمد علي باشا في حرب الوهابيين الذين عاثوا في أرض الحجاز فساداً، اقتضت الحاجة إلى بناء اسطول بحري فشرع في بنائه في ترسانة (بولاق).

وحتى لا يكون تحت رحمة الدول الأجنبية التي كانت تمده بالسلاح مقابل المال، أنشأ العديد من المصانع للأسلحة والعتاد العسكري والتي خولته بالاستغناء عن شراء الأسلحة من الخارج.

وفي الجانب التعليمي والثقافي فقد أرسل العديد من طلبة الأزهر إلى الخارج لتحصيل العلوم في شتى الميادين. كما أنشأ العديد من المدارس والمعاهد، والكليات العليا في كافة الإختصاصات، لا سيما الهندسة والزراعة والطب وما شابه ذلك. ثم أنشأ مدرسة للصيدلة، وأخرى للقابلات (الولادة)، والطب البيطري، والمحاسبة، والمعادن.

كما أنه فرض على ولاته إنشاء العديد من المدارس الإبتدائية في كافة المحافظات المصرية. وكان من نتيجة هذه النهضة العلمية والثقافية

والإقتصادية في مصر أن تحولت إلى بلد مصدر للعديد من المنتوجات إلى الخارج وكان من أهمها القطن.

أمّا على المستوى العمراني، فقد أسس العديد من المدن، وأقام القلاع للدفاع عن الثغور، كما شيّد منارة لإرشاد السفن بالإسكندرية، واهتم ببناء القصور ودور الحكومة، وأنشأ (دفتر خانة) لحفظ الوثائق الحكومية، وداراً للآثار بعدما أصدر أمراً بمنع خروج الآثار من مصر. وعبّد الطرق واستصلح الأراضي وما شابه ذلك.

أما على المستوى الاجتماعي فقد ارتفع تعداد السكان في عهده، وساد الأمن والأمان في البلاد بنتيجة اعتماده على سياسة التسامح لا سيما بين المسلمين والمسيحيين وغيرهم. ما عدا اتباع الفكر الوهابي الذين شنّ عليهم حرباً ضروساً وشتت شملهم لا سيما في بلاد الحجاز. وبهذا أصبح يعرف محمد على باشا بأنه (مؤسس مصر الحديثة)، وامتد سلطانه حتى شمل السودان والشام والحجاز وغيرها.

أمّا عن سبب قتاله للوهابيين، فإنه وبعد ظهور دعوة محمد ابن الوهاب في الحجاز والتي قامت أساساً على الفتنة بين المسلمين من خلال ما فعلوه أتباعه في الحجاز من قتل وسلب، وسبي ونهب، وهتك لحرمة الحرمين، وتشريد لأهل تلك المناطق الذين هاجروا إلى مصر أو الشام، وغيرها من المناطق المجاورة، وتعطيلهم للحج، وقطعهم للطريق وسلبهم الناس حتى الحجيج، ومكاتبة أهل البلاد يستغيثون بالدولة، فقام على إثرها محمد علي باشا بإرسال العسكر لإخماد تلك الفتنة.

فأرسل لهم جيشاً بقيادة ابنه (طوسون)، فلم يكن إلا قليل، حتى انهزم الوهابيون شر هزيمة، واستحوذت العساكر المصرية على متاعهم، ودخلوا البلد واستولوا عليها.

ثم أخذ في تدبير أمر الحجاز، وتأمين الطرق وصولاً إلى طرده للوهابين من مكة والمدينة، وسائر المناطق كالطائف وجدة، وأطاعه أكثر القبائل.

وعند وصول هذه الأخبار إلى مصر والاستانة دقت الطبول، وزينت البلاد، وعمّت الفرحة كأفضل ما يكون

وأمّا عن سبب فتكه بالمماليك(البحرية)، فقد وصل إليه الخبر بأن جماعة من المماليك تواطأوا على قتله أثناء عودته من منطقة السويس، فغير برنامج سفره وأخفى حركة تنقّله، وأخذ يعد العدّة للإقتصاص منهم.

وعمد إلى حيلة ذكية من خلال دعوتهم إلى حضور مراسم تعيين أبنه (طوسون) في القلعة، فحضر زعماء المماليك (الباقين بعد اندثار دولتهم) وكان عددهم 40 في الوقت المحدد، ولم يتغيب منهم أحد. وبعد دخولهم القلعة أغلقت الأبواب خلفهم وحوصروا وقتلوا، وصودرت أموالهم وممتلكاتهم، وأعطى محمد علي باشا الأمان لنساء المقتولين، من خلال الطلب منهن بالعودة إلى بيوتهن بعد أن تشتتن على إثر هذه الواقعة.

فسبحان الله كيف تدور على الظالم الدوائر، فإن أبناء جبيل وكسروان في لبنان لاقوا الويل من فعل هؤلاء المماليك (البحرية)،

حيث عمدوا إلى قتل الناس وسبي النساء ونهب الأموال وتشتيت أهل هذه البلاد. فلم يلبثوا إلا قليلاً حتى سلّط الله عليهم من يذيقهم مرّ كأس اعمالهم.

واستمرت مصر طوال فترة سلطة محمد علي باشا بالازدهار والنمو والتقدم.

وفاته

أصيب محمد علي باشا في أواخر عمره بالخرف فاستلم ابنه البكر ابراهيم السلطة وبقي مدة حتى توفي في حياة أبيه، فخلفه أخوه طوسون في الحكم.

وبعد مدة يسيرة من وفاة ابراهيم، توفي محمد علي باشا في عام 1849م. ودفن في المسجد الذي بناه داخل القلعة المشهورة الآن في مصر.

تعقيب

انّ ما تم سرده من أخبار محمد علي باشا هو النذر القليل، حيث شهدت فترة حكمه الكثير من التعقيدات السياسية وخاصة التدخلات الخارجية الفرنسية والبريطانية، والتي ترجمت إلى حركات تمرد وثروات ضده في العديد من الأطراف، والتي كان محمد علي باشا ينجح في القضاء عليها. ما ساهم في ظهور العديد من المبغضين والحسّاد حتى داخل بلاط الدولة العثمانية. وكان دوره في القضاء على الفتنة الوهابية، كما في التخلص من المماليك، وعمارة مصر

وازدهارها، كان لهذا الدور مفاعيل استثمرت عليه من قبل أعدائه وحسّاده للتشنيع حتى يومنا هذا...

وعلى كل حال، فتلك حقبة تاريخية مهمة في نهضة مصر المحروسة، وبصمات محمد علي باشا واضحة في معالمها وآثارها.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: 140].

وقد زرنا مقبرة العائلة الحاكمة والتي تعرف (بتربة الفاميليا)، وعاينا من قرب هذه الأضرحة، والتي تقع قرب(قرافة سيدي عقبة)، والتقطنا بعض الصور وأضفناها إلى هذه المقالة مع شرحها.

أهم المصادر والمراجع

الخطط التوفيقية علي	باشا مبارك
تاريخ مصر	عبد الرحمن الجبرتي
بيت محمد علي	موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة
مقالة شكوك حول اصول محمد علي الألبانية	جريدة الإتحاد (د. محمد علي الصويكري)
محمد علي باشا	موقع ويكيبيديا
وغيرها	

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة المدخل الرئيسي لقلعة محمد علي باشا

2 – صورة للقلعة من بعيد

3 – الدكتور قيس أمام القلعة

4 – صورة للدكتور قيس
أمام الميضأة في باحة مسجد القلعة

5 – صورة عامة لمسجد القلعة مع الميضأة

6 – صورة للدكتور قيس
على باب المسجد في القلعة

7 – صورة للدكتور قيس أمام المنبر القديم داخل المسجد

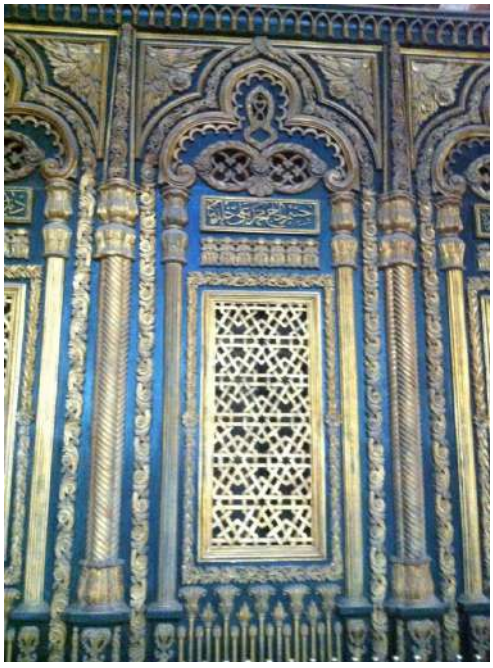

8 – صورة لمقصورة مرقد محمد علي باشا

9 – صورة تظهر كامل المقصورة لمرقد محمد علي باشا في القلعة

10 – صورة للدكتور قيس أمام مقصورة مرقد محمد علي باشا

11 – صورة للدكتور قيس من الجهة الخلفية للقلعة

12 – صورة للدكتور قيس في الحديقة الخارجية لقصر القلعة

13 – صورة للدكتور قيس وتظهر
من خلفه قباب المقبرة للأسرة الملكية

14 – صورة للدكتور قيس أمام المدخل
الرئيسي لمقبرة الأسرة المالكة

15 – صورة للدكتور قيس
أمام الباب لبهو المقبرة الملكية

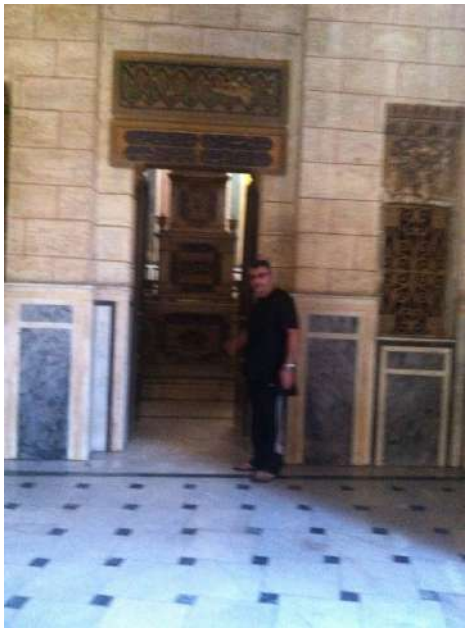

16 – صورة للدكتور قيس
قرب ضريح نور هانم

17 – صورة لقبة مرقد نور هانم والمزخرفة بأجمل أنواع الزينة والألوان لجهة الرأس ويبدو شاهد الضريح المنقوش بالذهب

18 – صورة إضافية لقبة نور هانم ويبدو الضريح لجهة الأقدام وهو مزخرف بالذهب والنقوش الفنية الجميلة

19 – الدكتور قيس إلى جوار قبر نور هانم في الحجرة الخاصة بها

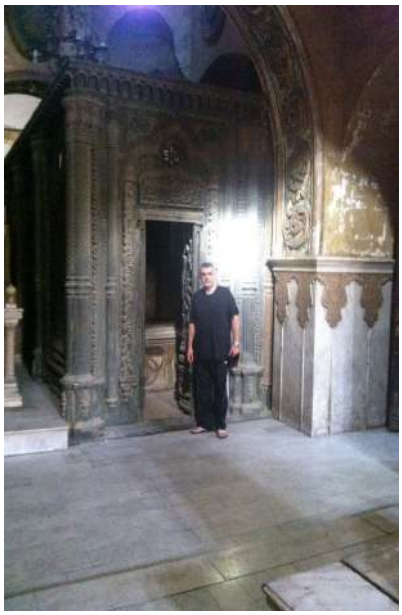

20 – صورة للدكتور قيس أمام حجرة ضريح طوسون باشا ابن محمد علي

21 – صورة للدكتور قيس داخل المقبرة الخاصة بالمماليك والذين دفنوا تحت أقدام الأسرة المالكة

22 – صورة أخرى للدكتور قيس ويبدو من خلفه قبور المماليك

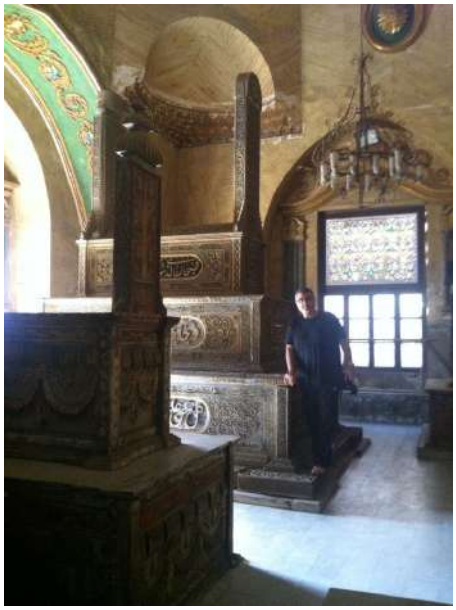

23 – صورة للدكتور قيس في وسط المقبرة الخاصة بالعائلة

24 – صورة من وسط مقبرة الأسرة المالكة وتبدو أضرحة الأمراء على مختلف مراتبهم

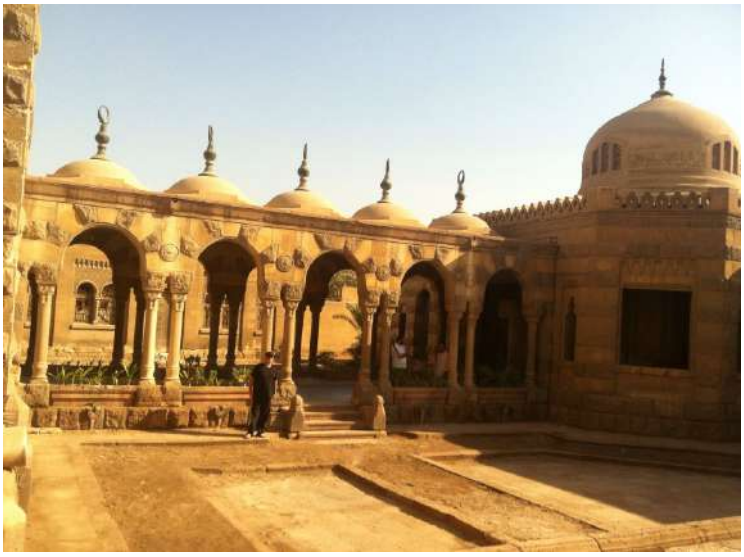

25 – صورة للدكتور قيس ويبدو من خلفه قباب الممشى الموصل إلى داخل المقبرة

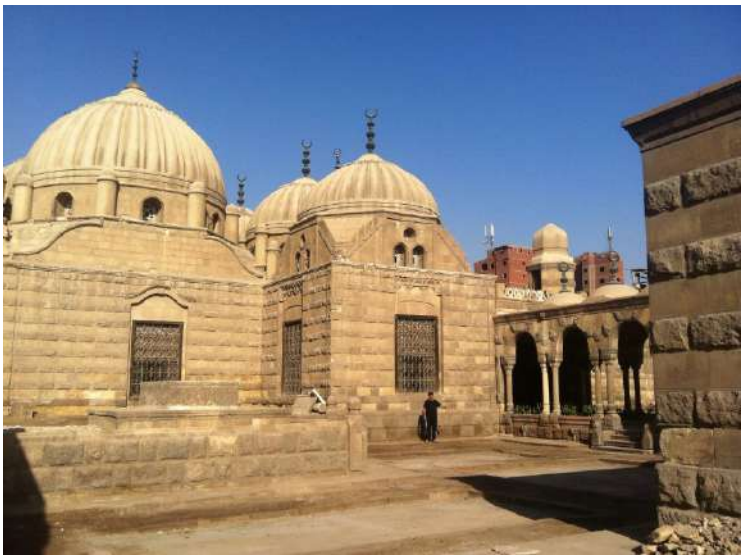

26 – صورة للدكتور قيس إلى جوار نهاية الممشى المغطى بالقباب
ويبدو من ورائه قباب المقبرة الخاصة بالأسرة الحاكمة

27 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى القباب التي تعلو المقبرة

رابعة العدوية

رابعة العدوية، المرأة التي ملأ صيتها دنيا التصوّف، هل هي شخصية اسطورية من نسيج مخيلات الباحثين، أم أنها على العكس من ذلك كانت إنسانة مثل سائر الناس، وعاشت مثلهم أيضاً في عالم الواقع والحقيقة؟؟

بهذا السؤال بدأ عاطف سميح الزين كتابة مقالته عن رابعة العدوية مؤسسة المذهب الصوفي المعروف بمذهب الحب والعشق الإلهي.

وهذا السؤال الذي طرحه (الزين) إنما يعكس طبيعة الإختلاف بين الباحثين حول تحديد سيرة حياتها وهويتها، ونتيجة لهذا الأمر (أي الاختلاف حول هويتها)، انصرفت همتّهم إلى التركيز على الجانب الصوفي من حياتها، وهو الجانب الذي قامت عليه شهرتها حتى كان لها ذلك الصيت الذائع وما حفل به من مكرمات فتنت عالم الصوفية، وألقت بظلالها عليه حتى يومنا هذا.

فمن هي رابعة؟

لم تتفق الآراء على تحديد هوية رابعة، فالبعض يرون أنها مولاة لآل عتيك، وآل عتيك بطن من بطون قيس، وأن أباها اسمه اسماعيل.

والبعض الآخر يرون أن من آل عتيك(بني عدوة) ولذا تسمى

العدوية. والإختلاف في تحديد هويتها بين الباحثين يبدأ من هنا، ففي حين تذكر بعض المصادر اسم أبيها على أنه اسماعيل، فإن مصادر أخرى تغفل إسم هذا الأب، ومن هنا اختلط الأمر على البعض فمزج بين رابعة العدوية البصرية الصوفية المعروفة، وبين امرأة أخرى اسمها رابعة بنت اسماعيل (أو رايعة)، وقد عاشت الأخيرة في بلاد الشام وتزوجت من أحمد بن أبي الحواري، وتوفيت في عام 229 للهجرة ودفنت في أعلى جبل يسمى (زيتا) في بيت المقدس. وهذا الخلط وقع فيه الحائري أيضاً صاحب (تراجم اعلام النساء). وقد أجمع الباحثون على كنيتها، وهو: أمّ الخير. ولم يذكر أحد اسم والدتها بحسب اطلاعنا. وقيل: أن اسم (رابعة) يعود إلى أنها ولدت بعد ثلاث بنات لأبيها، فلما كانت الرابعة فقد حملت الإسم. وهذا ما ذكره ابن الجوزي.

ومهما كان ذلك الإختلاف بين المؤرخين، فهناك إجماع على وجود إمرأة تدعى رابعة العدوية، عاشت في البصرة خلال القرن الثاني الهجري، وقد عمّرت حوالي ثمانين عاماً، وتوفيت في عام 185 للهجرة.

بعض ما قيل عن نشأتها

تنقل سعاد محمد عن طه عبد الباقي: أن رابعة فقدت أبويها وهي ما تزال في سن الطفولة، وكانت لا تملك من الدنيا إلا قارباً متواضعاً يحمل عليه الناس من شاطئ إلى شاطئ. وكانت تجد بعض السلوى لها أثناء تنقل القارب من خلال بعض الألحان الحزينة، التي كانت تعزفها

في مزمارها، وفي يوم من الأيام رأت في ما يرى النائم نوراً ساطعاً مشرقاً يملأ الوجود ثم يغمر جسدها ويتسلل إلى قلبها وروحها. وبعدها تسمع صوتاً يقول لها: يا رابعة أما آن لك أن تعودي إلى ربّك!! يا رابعة لقد اجتباك ربك فاقبلي عليه وتفرّغي له يغنيك عن الدنيا.

فاستيقظت رابعة والنور يملأ قلبها وروحها، فالقت رداء الدنيا وأقبلت على الأخرة. ويعترض قمر الدوله ناصف على هذه الرواية التي ذكرها طه عبد الباقي، وذلك لأنها (أي الرواية) لا تتفق مع ما جاء عنها في كتب الطبقات، وخاصة في كتاب(تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار، الذي يقول: ولما كبرت رابعة وتوفي والدها، حدث في البصرة قحط وتفرقت اخواتها، خرجت رابعة تهيم على وجهها تبحث عن رزق تقتات منه، فرآها ظالم وباعها بستة دراهم، ومن اشتراها أثقل عليها بالعمل. وذات يوم هربت من بيت سيدها وهامت على وجهها في الطريق حتى ارتمت على الأرض من شدة التعب، فأخذت تناجي ربّها قائلة: يا ربي أنا غريبة ويتيمة وأسيرة وقد صرت عبدة، ولكن غمي الكبير هو أن أعرف: أراضي عني أنت أم غير راض؟ فسمعت صوتاً يقول لها ما مضمونه: إنك على خير.

وبعد أن سمعت هذا رجعت إلى بيت سيدها راضية النفس مطمئنة، تخدم سيدها وتصوم وتصلي لربها، وذات ليلة استيقظ سيدها على صوت تهجدها، فنظر من فتحة الباب فرأى رابعة ساجدة وهي تقول: «إلهي أنت تعرف ان قلبي يتمنى طاعتك، ونور عيني في خدمتك، ولو

كان الأمر بيدي لما توقفت ساعة عن خدمتك، لكنك تركتني تحت رحمة هذا المخلوق». ورأى أيضاً نوراً فوق رأسها.

فلما سمع توسلها ورأى هذا النور فزع، ودعا رابعة برفق قائلاً لها: يا رابعة لقد أعتقتك وأنت حرّة، فإن شئت بقيتي هنا وسنكون جميعاً بخدمتك، وإن تشائين فاذهبي، فودعته رابعة شاكرة له فضله وارتحلت، واتخذت مهنة العزف على الناي مدة ثم تابت من بعد ذلك، وابتنت لنفسها خلوة انقطعت فيها للعبادة.

وقد وافق الدكتور عبد الرحمن بدوي على رواية العطار، وذلك في كتابه (شهيدة العشق الإلهي)، إلّا أنه لم يوافق على ما انتهت إليه القصة، إذ يقول: «أن رابعة لما عتقت اندفعت بفضل الحرية التي حصلت عليها إلى المشاركة في حياة الدنيا، خاصة أنها كانت باهرة الجمال، ساحرة الفتنة، وإنها قطعت شوطاً طويلاً في طريق الإثم وغرقت في بحر الشهوات. ويعلل ذلك بقوله: إن الإنقلابات الروحية الكبرى إنما تقع دائماً نتيجة لعنف وإفراط ومبالغة في الطرف المنقلب عليه. فعنف إيمان القديس بولس كان نتيجة لعنف إنكاره المسيحية، وعنف الحياة التقية لدى القديس أغسطين كان لازمة طبيعية لعنف الحياة الشهوانية التي عاشها قبل تحوله إلى الإيمان، إن الإعتدال من شأن الضعفاء والتافهين، أمّا التطرّف فمن شيم الممتازين الذين يبدعون ويخلقون التاريخ. ثم يضيف وما كان لرابعة أن تتطرف في إيمانها وحبها لله، إلا إذا كانت قد تطرفت من قبل في حبها للدنيا، فمن أعماق الشهوة العنيفة تنبثق الشرارة المقدسة للطهارة».

ونحن بدورنا نعلق على ما قاله الدكتور بدوي: هذا كلام باطل جملةً وتفصيلاً، وهو كلام حيص بيص، فهل كان الأنبياء أو الأولياء أو العلماء من السلف الصالح يعيشون في أعماق الشهوات قبل أن تنبثق عنهم الشرارات المقدسة للطهارة؟

ويأخذ قمر الدولة ناصف موقفاً وسطياً بين رواية العطار وبين الدكتور بدوي، فهو لا يسلم بأن رابعة العدوية تابت دون أن تخطئ، والدليل على توبتها هو الدليل على خطإها. ويقول: «من أي شيء تابت؟ هل تابت من احترافها العزف على الناي؟ وهل في احترافها العزف على الناي إثم يجب أن تتوب منه؟».

ويستلحق تساؤله هذا، بأنه يعتقد أنها احترفت العزف على الناي والغناء، وخاصة أن هذه المهنة في ذلك العصر كان من غير الممكن أن تكون بعيدة عن ألوان الإغراء وأجواء اللهو.

فكان لا بد لرابعة أن تتخلص من تلك الحياة اللاهية التي وجدت نفسها فيها بعد احترافها العزف على الناي والغناء، فراحت تبحث عن نفسها التائهة في زحمة الحياة، وقد منّ الله عليها بالتوبة، ووفقت لها.

وعلى أي حال، فقد بدأت رابعة صفحة جديدة ومشرقة من حياتها بعد توبتها، فجعلت لنفسها خلوة بعيدة عن الناس، وانقطعت فيها للعبادة، وذاع صيتها في البصرة، وسعت بعواطفها إلى الحبّ الإلهي، وابتدعت مذهباً في التصوّف عرف بها وعرفت به، واستحقت أن يطلق عليها اسم (شهيدة العشق الإلهي).

بعض من أورادها في الحب الإلهي:

١ - يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعدتي ومرادي
أنت روح الفؤاد، أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي
أنت لولاك يا حياتي وأنسي! ما تشتّت في فسيح البلاد
كم بدت منة، وكم لك عندي من عطاء ونعمة وأيادي
حبّك الآن بغيتي ونعيمي وجلاء لعين قلبي الصادي
إن تكن عني راضياً فإني يا منى القلب! قد بدا إسعادي

٢ - حبيبي ليس يعد له حبيب ولا لسواه في قلبي نصيب
حبيبي غاب عن بصري وشخصي ولكن في فؤادي ما يغيب

٣ - أحبك حبين: حبّ الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكري عمن سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراكا
فلا الحمد في ذا ولا ذاك، لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكا

٤ - قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا
أنت همي وهمتي وحديثي ورقادي إذا أردت مقيلا

٥ - فليتك تحلو والحياة مريرةُ ولـيـتـك تـرضـى والأنـام غـضـاب
وليـت الـذي بـيـنـي وبـيـنـك عـامرٌ وبـيـنـي وبـيـن الـعـالـمـيـن خـراب
إذا صحّ منـك الـودُّ فـالـكـلُّ هـيـنٌ وكـل الـذي فـوق الـتـراب تـراب

وفاتها وضريحها

تقدم القول على أن وفاة رابعة العدوية كان في العام 185 للهجرة بحسب (ابن خلكان)، أمّا عن مرقدها وضريحها، هنالك ثلاثة آراء:

الأول: أنه على رأس جبل زيتا في بيت المقدس من مناطق بلاد الشام. وهذا الرأي خطأ لأنه يعود لرابعة أخرى، زوجة أحمد بن أبي الحواري والتي تكلمنا عنها في بداية المقالة.

الثاني: ما قاله ياقوت الحموي في (معجم البلدان)، أن قبر رابعة العدوية هو بالبصرة في العراق، حيث لم يثبت أنها رحلت إلى الشام لكي تموت وتدفن في بيت المقدس.

الثالث: أنها في مصر بجوار ضريح (ذا النون المصري) حيث يوجد لها هناك ضريح ومشهد ينسب إليها، وهذا الأمر غير مشهور بين المؤرخين، إلا أننا وُفّقنا بالاهتداء إلى مكانه وتوثيقه كما بالصور المرفقة.

والقول الأصح بين هذه الآراء هو الرأي الثاني، والله أعلم.

أهم المصادر والمراجع

مساجد مصر	د. سعاد محمد
أعلام تراجم النساء	الأعلمي الحائري
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
الصوفية في نظر الإسلام	عاطف سميح الزين
سير أعلام النبلاء	شمس الدين الذهبي
معجم البلدان	ياقوت الحموي
رابعة العدوية	موقع ويكيبيديا
وفيات الأعيان	ابن خلكان
وغيرها	

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1 – الدكتور قيس إلى جوار
مسجد ومقام رابعة العدوية لجهة اليسار

2 – الدكتور قيس أمام لوحة باسم
الشارع المنسوب لرابعة في القرافة

3 – الدكتور قيس أمام مدخل المقام وهو مغلق

4 – صورة للدكتور قيس داخل المسجد ويبدو مرقد رابعة لجهة يسار الصورة

5 – صورة للدكتور قيس بجوار مقصورة مرقد رابعة المنسوب إليها

6 – صورة للدكتور قيس بعد فتحه لمقصورة المرقد للدخول إليه

7 – صورة للدكتور قيس من داخل المقصورة وإلى جوار المرقد المنسوب لرابعة

8 – صورة عامة للمرقد المنسوب لرابعة من داخل المقصورة

9 – صورة لوحة تتحدث عن رابعة ومناقبها

10 – الدكتور قيس وهو ينظر إلى الثريّا المعلقة داخل المقصورة فوق المرقد

11 – صورة قديمة لمرقد ومقام الإمام الحسن البصري في العراق حيث يوجد معه ابن سيرين بالإضافة إلى السيدة رابعة العدوية كما هو مشهور ومعروف

ذو النون المصري

هو ثوبان بن ابراهيم أبو الفيض والمعروف بذي النون المصري، وهو أحد كبار مشايخ الصوفية المذكورين في رسالة القشيري لابن هوازن.

ومذهبه الصوفي مشابه لمذهب رابعة العدوية في العشق الإلهي، ويذهب البعض إلى القول: بأنه تأثر برابعة ونقل عنها، لما في أوراده وأذكاره ما يشابه إلى حدٍ بعيد ما قالته رابعة العدوية، إلّا أنه يفترق عنها لجهة أنّه محدث وفقيه بالإضافة إلى زهده وتصوّفه.

ولادته ونشأته

ولد ذو النون في عام (179 للهجرة) في منطقة أخميم في مصر، وأبوه ابراهيم كان نوبياً، لذا فقد ورث ذو النون عن والده لونه الأسمر الشديد. ولم نجد في المراجع التي اشتغلنا عليها اسم والدته. ويقال له: (ذو النون) أو (ذي النون) والكل يصح ويعرف بها. أمّا عن نشأته وترعرعه، فإننا لم نعثر إلّا على نذر قليل ولا يتعدى بعض الكلمات. وهي: ولد ذو النون بأخميم ثم رحل إلى الفسطاط طلباً للعلم، فلما تصوّف أخذ يهيم على وجهه في القرى والأرياف.

وعن اختياره للتصوف، يقول ذو النون: «خرجت من مصر إلى بعض القرى، فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عيني فإذا

أنا بقنبرة (طائر) عمياء سقطت من عشّها على الأرض، فانشقّت الأرض وخرج منها سكرجتان (شيء يشبه وعاء السكر بشكل بيضاوي مفتوح من أعلاه)، أحدهما ذهب والأخرى فضة، وفي إحداهما سمسم وفي الأخرى ماء، فجعلت القنبرة تأكل من هذه وتشرب من تلك، فقلت حسبي قد تبت، ولزمت الباب (أي باب الطاعة) إلى أن قبلني».

طلبه للعلم واساتذته

درس في بداية الأمر في الفسطاط على بعض مشايخ وعلماء مصر في زمانه، ثم سافر إلى الحجاز وأخذ العلم عن العديد من علماء المدينة المنورة ومكة المشرفة. وكان من أبرز أساتذته (جابر بن حيّان) الكيميائي المشهور، وأحد أبرز تلامذة الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، ثم انتقل إلى سورية (الشام) وأخذ العلم من علمائها آنذاك. وقد روى الحديث عن مالك بن أنس، والليث بن سعد، وعبد الله بن لهيعة.

ونتيجة لعلمه وزهده وورعه ذاع صيته في الآفاق، فأخذ الطلاب يفدون إليه للإستفادة من علمه وأخلاقه، وكان من أبرزهم: أبو يزيد البسطامي، وسهل التستري، أبو سعيد الحراز، وأبو عمرو الدمشقي.

لقاؤه برابعة العدوية

ورد في كتب التراجم، وأيضاً ما نقلته الدكتورة سعاد محمد في (مساجد مصر): أن ذا النون المصري التقى برابعة العدوية ودار بينهما

حديث نقلته معظم التراجم، ومضمون الحادثة التالي: «قال سعيد بن عثمان، كنت مع ذي النون في تبة بني إسرائيل (اسم منطقة)، وإذا بشخص قد أقبل، فقلت: يا أستاذ شخص قد أتى، فقال لي: انظر من هو، فإنه لا يضع قدمه في هذا المكان إلّا صديق. فنظرت فإذا هي إمرأة، فقلت: إنما هي امرأة، فقال: صديقة وربِّ الكعبة فابتدر إليها وسلّم عليه، فقالت: ما للرجل ومخاطبة النساء؟ فقال: أنا أخوك ذو النون ولست من أهل التهم، فقالت: مرحباً حيّاك الله بالسلامة، فقال لها: ما حملك على الدخول في هذا الموضع؟ فقالت: آية من كتاب الله ﷻ، قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ [النساء: 97]، فقال لها صفي لي المحبّة، فقالت: سبحان الله أنت عارف بها وتتكلم بلسان المعرفة وتسألني عنها، فقال: للسائل حق الجواب، فأنشدت تقول:

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا

إلى آخر هذه القصيدة والتي ذكرناها في مقالة رابعة العدوية.

وفي مورد التعليق على هذه الحادثة، فإننا نقول بأنها غير صحيحة إطلاقاً وموضوعة. لأن رابعة قد توفيت على أكثر الروايات في العام (185 للهجرة)، في حين أن ولادة ذو النون كانت كما تقدم في العام (179للهجرة)، فيكون عمر ذو النون عند وفاة رابعة ست سنوات ! فكيف يمكنه الإلتقاء بها وهو أستاذ وبرفقه طالب؟؟

وللأمانة العلمية، فقد استدركت الدكتورة سعاد محمد بعد عرضها لهذه الحكاية بالقول: على الرغم من تضارب كتب التراجم والطبقات

في إثبات ونفي الصلة بين ذي النون المصري ورابعة، إلا أننا لا نستطيع أن ننكر ما بين مذهبيهما في الحب الإلهي من أوجه الشبه.

بعض من مناقبه

روى ابن الزيات عن أبي السرح، قال: قلت لذي النون كيف حالك مع المتوكل حين أمر بقتلك، فقال: لما أوصلني الحاجب إلى الستر رفعه وقال لي: أدخل، فدخلت ونظرت، فإذا المتوكل في غلالة مكشوف الرأس والخدم قائمون على رأسه (أي بانتظار أوامره)، وهو متكئ على سيفه، فعرفت في وجوه القوم الشرّ، ففتح لي باباً (أي ألهمت) فقلت في نفسي: يا من ليس في السماء نظرات، ولا في البحر قطرات، ولا في الرياح روحات، ولا في الأرض حبات، ولا في قلوب الخلائق خطرات، ولا في أعضائهم حركات، ولا في عيونهم لحظات، إلّا وهي لك شاهدات، وعليك دالات، وبروبيتك معترفات، وفي قدرتك متحيرات، فبالقدرة التي تحيّر بها من في الأرض والسموات الّا صليت على محمد وعلى آل محمد، وأخذت قلبه عني. قال: فأخذ المتوكل يخطو حتى اعتنقني ثم قال: اتعبناك يا أبا الفيض، إن تشأ تقم عندنا، وإن تشأ تنصرف، فاخترت الإنصراف.

وهذه الحادثة التي جرت مع ذي النون كانت نتيجة لشكوى بعض الحسّاد أمره إلى المتوكل العباسي، فأنجاه الله ببركة توسّله به ﷻ، وببركة توسّله بالنبي وآله صلوات الله عليهم، ولأنها خرجت من قلب مؤمن صادق ومظلوم.

نقل علي مبارك عن الشعراني في طبقاته: كان ذو النون يقول

للعلماء: أدركنا الناس وأحدهم كلّما ازداد علماً ازداد في الدنيا زهدا وبغضاً، وأنتم اليوم كلّما ازداد أحدكم علماً إزداد في الدنيا حباً وطلباً ومزاحمة، وأدركناهم وهم ينفقون الأموال في تحصيل العلم، وأنتم اليوم تنفقون العلم في تحصيل الأموال.

وسئل عن السفلة من الخلق من هم؟ فقال: من لا يعرف الطريق إلى الله ولا يتعرفه (أي يتعلمه).

وفاته ومرقده

توفي ذو النون في العام(245 للهجرة) في منطقة الجيزة في مصر، ولأجل ايصال جنازته إلى التربة التي دفن بها، حمل في قارب مخافة أن يتقطع الجسر من كثرة الناس مع الجنازة، فلما أخرج جثمانه من القارب وحمل على أكتاف الرجال، جاءت طيور خضر فاكتنفت الجنازة ترفرف عليها حتى وري في الثرى فغابت بعدها.

وأنشد بعض الشعراء في هذه الحادثة:

ورأيت أعجب ما رأيت ولم أكن من قبل ذلك رأيته لمشيع
طيراً ترفرف حوله وتحفه حتى توارى في حجاب المضجع
ثم احتجبن عن العيون فلم أحط علماً بكنه مصيره والمرجع
وأظنها رسل الإله تنزلت والله أعلم فوق ذاك الموضع

أمّا عن مرقده الشريف، فإنه وبالإجماع هو الموجود قرب قرافة عقبة بن عامر، ولقد تشرفنا بزيارته والدعاء هناك ولله الحمد، وقمنا بتوثيق ذلك من خلال الصور المرفقة.

أهم المصادر والمراجع:

الكواكب السيارة	ابن الزيات
الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
مساجد مصر	د. سعاد محمد
طبقات الصوفية	أبو عبد الرحمن السلمي
الرسالة القشيرية	أبي القاسم حوازن
ذو النون المصري	موقع ويكيبيديا
وغيرها	

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – الدكتور قيس أمام مدخل المقام وهو مغلق على الدوام وبجوار ذو النون هناك ضريحان ينسب أحدها إلى رابعة والثاني لإبن الحنفية وقد تكلمنا سابقاً عنهم

2 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد ذو النون

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار ضريح ذو النون المصري
ويبدو خلفه اللوحة الصخرية المنقوش فيها مناقب ذو النون

4 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد ذو النون حيث يضع الدكتور قيس يده

5 – الدكتور قيس وهو يعاين لوحة موضوعة على مرقد ذو النون المصري

6 – صورة اللوحة الموجودة على ضريح ذو النون المصري وهي تتحدث عن حياته ومناقبه

7 - صورة للعامود الحجري الأثري والمنقوش عليه بعض مناقب ذو النون المصري

عمر ابن الفارض

هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي، أحد أشهر الشعراء المتصوفين، وكانت أشعاره غالباً في العشق الإلهي حتى لقّب (بسلطان العاشقين).

ولادته ونشأته

ولد في مصر علم (576 للهجرة) وهو من أصول شامية من حماة، وكان والده من القضاة في الدولة العباسية، واشتهر بأنه كان يفرض للنساء الحقوق على الرجال بين يدي الحكام، فنعت بالفارض، وانتقل هذا النعت إلى ولده محمد حيث عرف لاحقاً (بابن الفارض). وبعد ولادة عمر ابن الفارض نشأ بمصر في بيت علم وورع، ولماّ شبّ درس الفقه الشافعي ودرس وأخذ الحديث عن ابن عساكر. ثم تعرّف إلى الشيخ علي البقّال الصوفي، فأعجب به وأحب سلوك طريق الصوفية، فتزهد وتجرّد، وجعل يأوي إلى المساجد المهجورة في خرابات القرافة (بالقاهرة) وأطراف جبل المقطم.

وعن هذه الفترة يقول ابن الزيات: قال الشيخ نور الدين: سمعت الشيخ ابن الفارض يقول: كنت في أول تجريدي استأذن والدي وأطلع إلى وادي المستضعفين بالجبل الثاني وآوي فيه، وأقيم في هذه السياحة مدة ليال والهاً، ثم أعود إلى والدي لأجل بركته ومراعاة لقلبه، وكان

والدي يومئذ خليفة الحكم العزيز بالقاهرة ومصر، وكان من أكابر أهل العلم والعمل، فيجد سروراً برجوعي إليه، ويلزمني بالجلوس في مجالس الحكم، ثم أشتاق إلى التجريد فأستأذنه وأعود إلى السياحة، وما زلت أفعل ذلك مدة إلى أن طلب والدي أن يكون قاضي القضاة فلم يُعطَ له ذلك، فترك الحكم واعتزل الناس وانقطع إلى الله تعالى في الجامع الأزهر إلى أن توفي، فعدت إلى التجريد والسياحة وسلوك طريقة الحقيقية، فلم يفتح عليّ شيء، فحضرت يوماً من السياحة إلى المدرسة السيوفية، فوجدت شيخاً بقالاً على باب المدرسة يتوضأ وضوءاً غير مرتب، فقلت له: يا شيخ أنت في هذه السن في دار الإسلام وعلى باب المدرسة بين الفقهاء وأنت تتوضأ وضوءاً خارجاً عن ترتيب الشرع؟ فنظر إليّ وقال: يا عمر أنت ما يفتح عليك بمصر وإنّما يفتح عليك بمكة شرّفها الله تعالى فاقصدها، فقد آن لك وقت الفتح. فعلمت بعد قوله هذا أنه من أولياء الله تعالى، وأنّه تستر بالمعيشة وإظهار الجهل، فجلست بين يديه وقلت: يا سيدي وأين أنا وأين مكة، ولا أجد ركباً ولا رفيقاً في غير أشهر الحج؟ فنظر إليّ وقال: هذه مكة أمامك. فتركته وطلبتها فلم تبرح أمامي حتى دخلتها في ذلك الوقت. وجاءني الفتح (الإلهام) حين دخلتها.

وقد عبّر عن ذلك بقوله:

يا سميري روح بمكة روحي شادياً أن رغبت في إسعادي
كان فيها انسي ومعراج قدسي ومقام المقام والفتح بادي

وقد ذكرنا هذه الرواية عن ابن الزيات، بسبب أن البعض يعيب

على ابن الفارض زيارته إلى مكة خارج أشهر الحج!! وكان زيارة مكة خارج الموسم تعتبر منقصة أو عيباً!! مع أنه بقي في مكة طوال خمس عشرة سنة، فمن قال لهؤلاء أنها لم يحج؟ مع العلم أنه حج وسيمر معنا ذلك. وعن إقامته بمكة، ينقل ابن الزيات عنه أيضاً: أقمت بمكة بواد كان بينه وبين الحرم مسافة طويلة، وكنت آتي منه كل يوم وليلة أصلي في الحرم الشريف.

ويقول إبن خلكان في (تاريخه) عن ابن الفارض: سمعت أنه كان رجلاً صالحاً كثير الخير، على قدم التجرد (التصوّف)، جاور بمكة زادها الله تعالى شرفاً زماناً، وكان حسن الصحبة، محمود العشرة.

بعض ما جاء من مناقبه

يقول عنه حفيده الشيخ نور الدين: كان سخياً معتدل القامة، له وجه جميل حسن مشرب بحمرة ظاهرة، وكان عليه نور وخفر، وكان إذا حضر في مجلس يظهر على ذلك المجلس سكون وسكينة، ورأيت جماعة من المشايخ والفقراء وأكابر الدولة وسائر الناس يحضرون مجلسه وهم في غاية ما يكون من الأدب معه والإنصياع له، وإذا مشى في المدينة يزدحم الناس عليه ويلتمسون منه البركة والدعاء، ويقصدون تقبيل يده فلا يمكن أحداً من ذلك، بل يصافحهم، وكانت ثيابه حسنة ورائحته طيبة، وكان ينفق على من يرد عليه نفقة متّسعة، ويعطي من يده عطاء جزيلاً، ولم يكن يقبل من أحد شيئاً، فقد بعث إليه السلطان الملك الكامل ألف دينار، فردّها إليه.

وينقل حفيده الشيخ نور الدين الرواية التالية، قال: رأيت الشيخ

ابن الفارض نائماً مستلقياً على ظهره وهو يقول: صدقت يا رسول الله، صدقت يا رسول الله، رافعاً صوته مشيراً باصبعيه اليمين واليسار، واستيقظ من نومه وهو يقول ذلك ويشير بإصبعه كما كان يفعل، فأخبرته بما رأيت وسمعته منه وسألته عن سبب ذلك، فقال، يا ولدي رأيت رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول لي: يا عمر لمن تنسب؟ فقلت: يا رسول الله إلى بني سعد قبيلة حليمة، فقال ﷺ: بل أنت نسبك متصل بي، فقلت: يا رسول الله إني أحفظ نسبي عن أبي وجدّي إلى بني سعد، فقال ﷺ: لا، بل أنت مني ونسبك متصل بي، فقلت: صدقت يا رسول الله مكرراً ذلك مشيراً بإصبعي كما رأيت ذلك.

ويعلق ابن الزيات على هذه الرواية، فيقول: وهذه النسبة الشريفة إمّا أن تكون نسبة الأهلية، أو نسبة المحبة والتبعية التي هي عند أهل المحبة أشرف من نسبة الأبوة، وهي النسبة التي جعلت سلمان الفارسي من أهل البيت عليهم السلام.

ويضيف ابن الزيات بنقله عن الشيخ نور الدين، أنه قال: وعلى إثر هذه الحادثة حجّ إلى مكة وزار المدينة ووقف بين يدي رسول الله ﷺ وامتدحه بقصيدة أنشدها عند الروضة الشريفة وهو مكشوف الرأس، وكان يبكي بكاءً عظيماً والناس يبكون معه. وهذه القصيدة وغيرها الكثير جمعها حفيده الشيخ نور الدين في ديوان كبير، عرف لاحقاً بديوان ابن الفارض، لا يمكننا استعراضها لكثرة أبياتها.

وفاته ومرقده

توفي ابن الفارض عام (632 للهجرة) بالقاهرة، ودفن في منطقة سفح المقطع في المنطقة التي تعرف اليوم بإسم «الأبيجية». وضريحه

معروف عند الناس لا سيما أهل التصوّف. ومشهده عامر بالذكر والصلاة، وزواره كثر، ويقصده العديد من السياح الأجانب من بلدان الغرب وذلك لشهرته الواسعة في أوساطهم على خلاف المجتمعات الإسلامية وللأسف. ويعتبر مسجده ومرقده بحالة جيدة إلّا أن الوصول إليه صعب للغاية من خلال طريق القرافة الوعرة.

وقد تشرفنا بزيارة مرقده في أثناء تواجدنا في القاهرة في منتصف العام الحالي 2018م. وقمنا بتوثيق ذلك من خلال الصور المرفقة مع المقالة.

أهم المصادر والمراجع

الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
الكواكب السيارة	ابن الزيات
شذرات الذهب	ابن خلكان
البداية والنهاية	ابن كثير
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردى
ابن الفارض الشاعر الصوفي	طاهرة كربا سفروشها، موقع ديوان العرب
ديوان ابن الفارض	موقع الديوان، موسوعة الشعر العربي
ابن الفارض	ويكيبيديا
وغيرها	

آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة للدكتور قيس على مدخل مسجد ومقام سيدي عمر الفارض

2 – صورة للدكتور قيس في وسط باحة المسجد الخارجية وتظهر قبة المقام لسيدي عمر الفارض

3 – صورة للدكتور قيس على باب مدخل المقام لسيدي عمر ابن الفارض

4 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مقصورة المرقد الخاص بابن الفارض

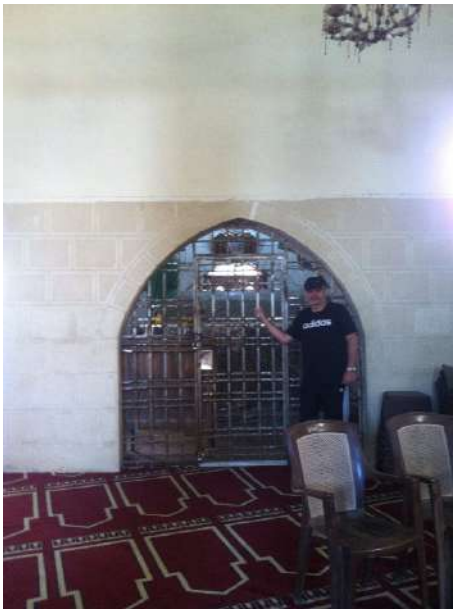

5 – صورة أخرى مواجهة
للمقصورة الخاصة بالمرقد

6 – صورة جانبية تظهر كامل
المقصورة لمرقد ابن الفارض

7 – صورة للمرقد الشريف من خلف المقصورة

8 – صورة تظهر المرقد من داخل المقصورة

9 – صورة من داخل الضريح الشريف لابن الفارض

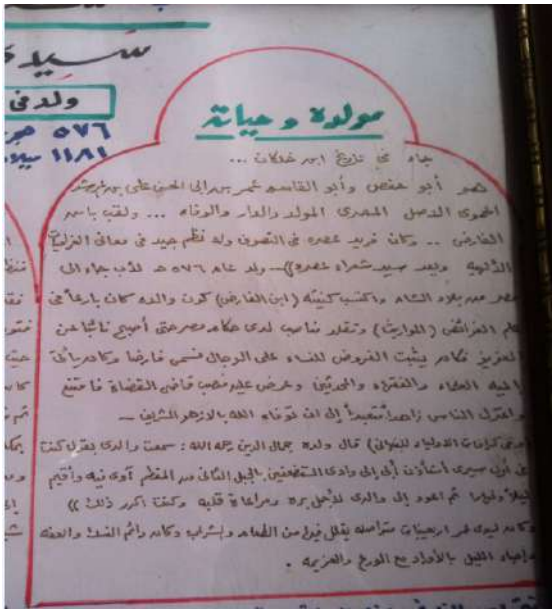

11 – جدارية تتحدث عن بعض مناقب ابن الفارض
معلقة داخل المقام بالإضافة إلى العديد مثلها

12 – أبيات من الشعر معلقة على مقصورة ابن الفارض

سيدي البدوي

هو الإمام أحمد بن علي بن يحيى المعروف بالبدوي، وهو إمام صوفي عربي، ويعتبر القطب الثالث في الترتيب عند الصوفية، فالأول الرفاعي، والثاني عبد القادر الجيلي، والثالث البدوي، والرابع الدسوقي.

وللإمام البدوي تنسب الطريقة البدوية ذات الراية الحمراء. ولقّب بالبدوي لأنه كان دائماً يغطي وجهه باللثام صيفاً وشتاءً مثل أهل البادية. كما أن له العديد من الألقاب أشهرها (البدوي)، (السطوحي)، (أبو العباس)، (باب النبي ﷺ).

ويتصل نسبه بالإمام الحسين عليه السلام، إذ أن سلسلة نسبه هي: أحمد بن علي، بن يحيى، بن عيسى، بن أبي بكر، بن اسماعبل، بن عمر، بن علي، بن عثمان، بن حسين، بن محمد، بن موسى، بن يحيى، بن عيسى، بن علي، بن محمد، بن حسن، بن جعفر الزكي، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب عليه السلام. أما والدته فهي السيدة فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبد الله.

ولادته ونشأته

ولد البدوي في المغرب في مدينة (فاس) عام (596 للهجرة)، وكان السادس بين إخوته. وكان والده وأجداده قد انتقلوا من الحجاز إلى مدينة فاس المغربية عندما زاد اضطهاد الحجاج بن يوسف الثقفي لآل البيت عموماً. فالتجأ العديد منهم إلى المناطق البعيدة.

نشأ البدوي في أول الأمر في مدينة فاس، ، ثم قرر والده الإرتحال إلى مكة المكرمة للحج، فاصطحب معه كامل اسرته وحج معهم في العام (607هـ)، وكان عمر البدوي إحدى عشر سنة، وأقاموا مدة طويلة بمكة بعد الحج. وعندما بلغ البدوي 38 من عمره، سافر إلى العراق مع شقيقه الأكبر حسن، ورجعا بعد عام إلى مكة، ثم لاحقاً قرر البدوي الهجرة إلى مصر. فوصل إلى مدينة طنطا حيث أصبحت لاحقاً موطن انتشار طريقته.

تحصيله العلمي

حصّل البدوي علومه الأولية في فاس، وبعد ارتحاله إلى مكة حفظ القرآن على يد أخيه الأكبر حسن، وبعدها التحق بالحلقات العلمية في مكة ونهل من علمائها المفاهيم الإسلامية، ودرس فقه الإمام الشافعي وتأثر به، بالإضافة إلى تحصيله العلمي في مكة، فقد كان من المعروفين في الشجاعة حتى لُقّب (بالغضبان) و(العطّاب).

أمّا عن تحصيله أو تأثره بالمفاهيم الكشفية الصوفية، فإن المراجع لا تذكر له استاذاً تلقى منه هذه المعارف، بل جلّ ما يذكرونه هو

حدوث حالة من الوله عنده وهو في مكة، فتغيرت أحواله واعتزل الناس ولزم الصمت، وكان لا يتكلم إلا بالإشارة.

إلّا أنه ومن خلال المراجعة لسيرته الطيبة، نجد أنه في خلال زيارته إلى العراق قام بزيارة قرية (أم عبيدة) بلد القطب الأول أحمد بن علي الرفاعي، ومركز الطريقة الرفاعية، كما أنه زار مقام القطب الثاني عبد القادر الجيلاني، ومن خلال قيامه بهذه الأمور لا بدّ له من معرفة مسبقة، وهذه المعرفة لا بدّ لها من استاذ، أو شيخ، أو عارف، أو ما شابه ذلك.

في حين أن الإمام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق، قال: إن البدوي لم يتصرف من تلقاء نفسه كعادة غيره من الأولياء، وأنه لا بد رأى رؤيا تأمره بالرحيل إلى العراق فامتثل. وهناك رواية صوفية تقول: كان للبدوي ميولاً نحو الزهد منذ صغره، حتى لقبه قومه في طفولته بالزاهد، وقد لبس خرقة التصوف في فاس على يد الشيخ عبد الجليل النيسابوري، وكان أخوه الأكبر حسن قد سبقه إلى ذلك وعلى يد نفس الشيخ. وعلى كل حال فبعد رجوعه من العراق إلى مكة أتته رؤيا تطلب إليه الهجرة إلى مصر، وعند وصوله إليها كان له استقبال حاشد ويقال أن الملك استقبله مع عسكره وأكرمه وعظّمه.

وعندما استقر البدوي بطنطا، أقام في دار تاجر اسمه «ابن شحيط» ويعرف أيضاً باسم (ركن الدين) وسكن فوق سطح داره، ومن هنا جاء لقبه بالسطوحي.

طريقته أو منهجه

تعرف طريقة أحمد البدوي بإسم (الطريقة الأحمدية) نسبة لإسمه أحمد، أو (بالطريقة البدوية) نسبة إلى كنيته.

وتقوم الطريقة البدوية على لبس الخرقة من شيخ عن شيخ، والعهد بها والمبايعة، والخرقة البدوية حمراء. وبحسب مصادر الصوفية، أوصى البدوي تلميذه المقرب عبد العال، فقال: يا عبد العال، اعلم أني اخترت هذه الراية الحمراء لنفسي في حياتي وبعد مماتي، وهي علامة لمن يمشي على طريقنا من بعدي.

وبعد وفاة البدوي وانتشار تلاميذه، تفرعت الطريقة البدوية إلى ما يقارب 15 طريقة تعمل جميعها وفق الطريقة البدوية ولكن مع بعض الإجتهادات الإضافية من كل شيخ طريقة.

وللتعرف إلى الطرق الصوفية وأصل نشأتها وتطورها، وطرقها التي تعتمد على الأذكار والأوراد، والرياضيات الروحية في القالب الإسلامي، كل ذلك لا يسعنا ذكره في هذه المقالة بل يحتاج إلى كتاب كبير. وقد وضعت العديد من المصنفات عن هذه المسائل وهي متوافرة في المكتبات لمن يريد أن يتوسع حول هذا الأمر.

وفاته ومرقده

توفي الإمام البدوي في العام (625 للهجرة) بمدينة طنطا، عن عمر يناهز 79 عاماً، وخلفه من بعده على الطريقة تلميذه الشيخ عبد العال، والذي قام ببناء المسجد على ضريحه بعد أن كان على شكل خلوة كبيرة بجوار القبر.

ثم بنى علي بك الكبير المسجد والقباب والمقصورة النحاسية حول الضريح، وأوقف لها الأوقاف للإنفاق على المسجد، حتى أصبح أكبر مساجد طنطا.

وقال علي مبارك عن هذا المسجد: إنه لا يفوقه في التنظيم وحسن الوضع والعمارة إلا قليل.

وفي عهد الرئيس أنور السادات أدخلت توسيعات جديدة إلى المسجد البدوي. وحالة المسجد والضريح كانت ممتازة أثناء زيارتنا الأخيرة في النصف الأول من عام 2018 م.

الإحتفال بمولد البدوي

يعتبر الإحتفال بمولد البدوي من أكبر الاحتفالات الدينية في مصر، ويقام في منتصف أوكتوبر من كل عام في مدينة طنطا الكائن فيها ضريحه بمسجده المشهور. ويقام هذا الإحتفال لمدة اسبوع، تتخلله قراءة القرآن، والمدائح النبوية، والأذكار والأوراد الصوفية، بالإضافة إلى إقامة خيم لتوزيع الطعام والشراب وباقي الخدمات. ويقام للبدوي أيضاً إحتفالاً آخر يعرف بالمولد الرجبي، ويقام لمدة اسبوع أيضاً.

كراماته وما يروى عنها

إن لأحمد البدوي كرامات كثيرة كما ينقل ذلك أغلب المصريين، وذلك لأنه كان من أهل التقوى والصلاح والزهد بالإضافة إلى كونه سليل العترة الطاهرة، لذا فإن الإعتقاد الغالب لدى المصريين أن الدعاء في مسجد البدوي وقرب ضريحه مورد للإجابة من الله سبحانه وتعالى.

وأنت بداخل المسجد وقرب ضريحه كثيراً ما تسمع مقولة: (شيلاه يا بدوي)، وهذه المقولة قد تبدو غريبة أو مستهجنة عند البعض، ولكن من خلال الرجوع إلى المصطلحات المصرية العامية نفهم هذا الأمر بشكل أوضح وصريح.

فهذه المقولة تعني: شيءٌ لله، أي تصدق علينا أيها البدوي بدعوة منك مستجابة عند الله لأنك عنده من أهل الكرامة.

والى جوار ضريح البدوي يوجد ضريح الشيخ المعروف (بسيدي مجاهد) وهو من تلامذته المشهورين أيضاً.

وفي الختام نسأل المولى ﷻ أن يجمعنا مع أوليائه في محل كرامته إنه سميع مجيب.

أهم المصادر والمراجع

الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
نور الأبصار	ابن الزيات
الطرق الصوفية في مصر	عامر النجار
لواقح الأنوار في طبقات الأخيار	الشعراني
جامع كرامات الأولياء	يوسف النبهاني
أحمد البدوي	ويكيبيديا

وغيرها . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1 – صورة للدكتور قيس في الطريق المؤدي إلى مسجد ومقام سيدي البدوي

2 – صورة للحشود التي تدخل من البوابة الأمنية لزيارة سيدي البدوي

3 – صورة للدكتور قيس في الباحة الخارجية لمسجد ومقام سيدي البدوي

4 – صورة للدكتور قيس وهو يشير إلى المدخل الرئيسي لمسجد ومقام سيدي البدوي

5 – صورة لجدارية تحمل اسم البدوي من داخل المسجد ويبدو المرقد ظاهراً بنسبة معينة

6 – صورة لمرقد سيدي البدوي

7 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مقصورة مرقد سيدي البدوي

8 – أيضاً صورة للدكتور قيس أمام مقصورة مرقد سيدي البدوي

9 – صورة لمقصورة مرقد سيدي مجاهد المدفون إلى جوار سيدي البدوي وسيدي مجاهد هو أحد أبرز تلامذة البدوي

10 – صورة للدكتور قيس أمام مرقد سيدي مجاهد

سيدي الدسوقي

هو ابراهيم بن عبد العزيز أبو المجد المعروف بالدسوقي، وهو آخر أقطاب الولاية الأربعة لدى الصوفية، فالأول الرفاعي، والثاني الجيلي، والثالث البدوي، والرابع الدسوقي.

أمّا لقبه بالدسوقي، فهو نسبة إلى دسوق بشمال مصر التي نشأ وعاش بها حتى وفاته. ومن ألقابه أيضاً: (برهان الدين) و(أبو العينين)، وأمّا الدسوقي فهو الذي اختاره لنفسه. ويعود نسب الدسوقي إلى الإمام الحسين عليه السلام، فهو من سلالة العترة الطاهرة رضوان الله عليهم. ونسبه كالتالي: ابراهيم الدسوقي بن عبد العزيز أبو المجد، بن قريش، بن محمد المختار، بن محمد أبو النجا، بن علي زين العابدين، بن عبد الخالق، بن محمد أبو الطيب، بن عبد الله محمد الكاتم، بن عبد الخالق، بن أبو القاسم جعفر الزكي، بن علي الهادي، بن محمد الجواد، بن علي الرضا، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب، زوج السيدة فاطمة الزهراء، بنت النبي محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأمّا نسبه من والدته: فهو ابن السيدة فاطمة بنت أبي الفتح

الواسطي، والذي كان خليفة القطب الصوفي الأول أحمد الرفاعي في مصر. وكان له دور كبير في تأسيس بنيان الطرق الصوفية في مصر.

ولادته

تقول المصادر الصوفية: أن ابراهيم الدسوقي بشّر بمولده قبل أن يولد، فكان هناك بقرية (سنهور) جنوب شرق مدينة دسوق شيخ من كبار الصوفية وقتها، وكان يدعى (محمد بن هارون)، فكان كلما رأى ابن هارون والد الدسوقي قبل مولده قام له وبالغ في تكريمه، حتى لاحظ ذلك أتباع ابن هارون فسألوه عن ذلك، فقال: أن في ظهره ولياً يبلغ صيته المشرق والمغرب.

ولد الدسوقي في العام (653 للهجرة) بمدينة دسوق، وذلك في عهد الملك (المعز أيبك) السلطان الأول للدولة المملوكية. ويقول الصوفية: أن في أول يوم من ولادته ظهرت له كرامة، سنتحدث عنها في السياق.

نشأته وتحصيله العلمي

نشأ الدسوقي نشأة إسلامية في اسرة مؤمنة، وقد اهتم والده به اهتماماً خاصاً، حيث كان نبوغه ظاهراً للجميع، خصوصاً بعدما أتمّ حفظ القرآن الكريم ودرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي، بعد ذلك بنيت له خلوة (بدسوق) كان يعتكف ويتعبد الله بها.

وكانت بداية علاقته بالصوفية من خلال ارتباط أبيه بالطريقة الرفاعية، حيث كان والده من أعيان خلفاء أبي الفتح الواسطي خليفة

الرفاعي في مصر. لذلك قام والد الدسوقي بإلباسه خرقة التصوف في سن مبكرة مع أخيه موسى. لذلك شبّ في هذا المحيط الإسلامي زاهداً ومتعبداً في خلوته.

وقد سطع نجمه في العلوم والمعارف، لا سيما بعدما نشر طريقته الصوفية الخاصة، حتى وصل صيته إلى كل أرجاء البلاد، وكان في هذه الفترة قد ترك خلوته وتفرّغ لتلاميذه الذين ساهموا في نشر طريقته، وإذاعة صيته في البلاد.

فوصل خبره إلى السلطان (الظاهر بيبرس البند قداري) الذي انبهر بعلم الدسوقي وتفقهه وكثرة اتباعه والتفاف الكثير من حوله، فقام بإصدار قرار بتعيين الدسوقي شيخاً للإسلام.

فقبل الدسوقي المنصب وقام بمهمته، وكان يهب راتبه من هذه الوظيفة لفقراء المسلمين، كما قرر السلطان بناء زاوية يلتقي فيها الشيخ الدسوقي بمريده، ليعلمهم ويفقههم في أصول دينهم، وظل الدسوقي يشغل منصب شيخ الإسلام حتى توفي السلطان بيبرس، بعدها اعتذر عنه ليتفرغ لتلامذته ومريديه.

طريقته الصوفية

تسمى طريقة الدسوقي بعدة أسماء، فتسمّى أحيانا (بالطريقة الدسوقية) نسبة إلى مدينة دسوق، وتعرف أيضاً (بالبرهامية) نسبة إلى اسم مؤسسها ابراهيم الدسوقي، وتسمى أيضاً: (بالبرهانية) نسبة إلى لقب الدسوقي (برهان الدين).

وعن طريقة الدسوقي يقول محمد بن علي السنوسي: «وأما طريق السادة (البرهانية الدسوقية) فهو مبني على دوام الذكر الجهري، ولزوم الجد في الطاعات وارتكاب خطر أهوال المجاهدات، وذبح النفس بسكين المخالفات، وحبسها في سجن الرياضة (الروحية)، حتى يفتح الله عليها بالسراج في رياض المعرفة، ومن شأن هذه الطريقة السنية الإستكثار من ذكر (يا دايم)، لا سيما في مجالس التلاوة والذكر الجهري بالجلالة مع الهوية، ومن شأنهم لبس الزي الأخضر». وبحسب الشعراني، فإن الطريق عند الدسوقي يمكن تلخيصها في كلمتين: تعرف ربّك وتعبده، فمن قبل ذلك فقد أدرك الحقيقة والشريعة.

والدسوقي يجعل من طريقته كالخلافة أو الإمامة، بحيث يأخذ العهد من المريد من شيخ عن شيخ سبقه، والدسوقي يقول حول هذا المعنى: «رأس مال المريد المحبة والتسليم، وإلقاء عصا المعاندة والمخالفة، والسكون تحت مراد شيخه وأمره».

انتشار طريقته وخلفائه

بعد وفاة الدسوقي تولى أمر الطريقة شقيقه (شرف الدين موسى) والذي كان قد تلقى الطريقة عن أخيه ابراهيم، فعاش متنقلاً ما بين دسوق والإسكندرية مجتهداً في نشر العلم وتربية المريدين، حتى أدركته الوفاة بالإسكندرية عام (739 للهجرة)، فحمل منها إلى دسوق ودفن بجوار شقيقه ابراهيم من الجهة القبلية.

فخلف من بعده على الطريقة (سليمان البيسوني)، ومن بعده

(جلال الدين أحمد بن محمد الكركي) الذي كان خليفة على الطريقة وإمام المسجد الإبراهيمي بدسوق.

وتنتشر الطريقة الدسوقية في مصر بشكل خاص، وبالعديد من البلدان حول العالم يناهز تعدادها 25 بلداً عربياً وأوروبياً.

وعن مدى انتشار هذه الطريقة ورواجها حول العالم، يقول أتباع الطريقة بأن ذلك مردّه إلى قول منسوب للدسوقي يقول فيه:

لا تنتهي الدنيا ولا أيامها حتى تعُم المشرقين طريقتي
وفي أرض الصين والشرق كلها لأقصى بلاد الله صحّت ولايتي

مؤلفاته وإرثه الثقافي

لم يترك الدسوقي الكثير من المؤلفات، وذلك بسبب انشغاله بمريده وتلامذته، وقد فقدت معظم كتبه وضاعت، وعلى حسب استنباط شيوخ الصوفية (كالكركي، والمنّاوي، والبقاعي) تمّ الإلمام ببعض أسماء مؤلفاته، وهي:

1 - الجوهرة المضيئة في سلوك الطالب ونصح البرية، ويعتبر هذا الكتاب المرجع الرئيسي لطريقته.

2 - كتاب الرسالة، وفيه قواعد لمن يريد أن يسلك طريق الفقر والزهد.

3 - كتاب الحقائق، ويجمع هذا الكتاب ذكر حقائق الطريقة وحقائق المعارف.

4 - مؤلف في فقه السادة الشافعية، وهو كتاب فقهي.

أما الشعر عند الدسوقي فهو قليل، وجاء بإسلوب ونمط عموم المتصوفة وخاصة في عبارات العشق الإلهي، مثال على ذلك:

سقاني محبوبي بكأس المحبة فتهت عن العشاق سكراً بخلوتي
ونادمني سراً بسرٍ وحكمة فما كان أهنا جلوتي ثم خلوتي
ولاح لنا نور الجلالة لواهنا لصمّ الجبال الراسيات لدكّت
وكنت أنا الساقي لمن كان حاضراً أطوف عليهم كرة بعد كرة

بعض من كراماته

هناك العديد من الإفتراءات بعنوان (الكرامات» تنسب إلى الدسوقي، وهي في الأعم الأغلب من قبل بعض الأتباع الذين أرادوا إذاعة صيته بين الناس بهذا الأسلوب. وهو كان قد أشار قبل وفاته إلى هذا المعنى محذراً أتباعه من المبالغة فيه بالقول:

«إنما آمركم بما أمركم به ربّكم، وإن نقضتم العهد فإنما هو عهد الله لا عهدي».

فيكفي الدسوقي شرفاً أنه من الذرية الطاهرة، ويكفيه عزاً أنه مؤمناً وتقياً، ومن المعلوم أن العبد إذا عبد الله حق عبادته، جعله المولى سبحانه وتعالى من خاصته وأهل كرامته، فلا داعي لهذه الروايات التي تؤثر سلباً على المفاهيم الإسلامية وخصوصاً في وقتنا الراهن، أو في أي وقت، فبالعقل عرف الله وبالعقل عُبِد.

وفاته

توفي الدسوقي في العام (696 للهجرة) على أغلب الروايات، عن

عمر ناهز 43 عاماً، وقد دفن الدسوقي بمدينة دسوق محل مولده، وأقام أهل المدينة بعد ذلك على ضريحه زاوية صغيرة، وتوسعت شيئاً فشيئاً حتى تحولت هذه الزاوية إلى مسجد من المساجد الكبرى في مصر، والذي يعرف حالياً بمسجد سيدي ابراهيم الدسوقي أو المسجد الإبراهيمي. ولقد تشرفنا بزيارة هذا المسجد والأضرحة الموجودة فيه لا سيما ضريح الدسوقي رضي الله عنه.

الإحتفال بمولده

يقام احتفال سنوي بمدينة دسوق بذكرى ولادة ابراهيم الدسوقي، وذلك شهر(تشرين الأول أو أوكتوبر) من كل عام ويستمر لمدة اسبوع وسط إجراءات أمنية مشددة، ويحتفل بهذه الذكرى 77 طريقة صوفية من مختلف أنحاء العالم، ويصل تعداد زواره في هذه المناسبة إلى أكثر من مليون زائر من مختلف المحافظات المصرية.

ويقام له أيضاً احتفال سنوي ويعرف (بالمولد الرجبي) في أواخر (نيسان أو ابريل) من كل عام، ويقام لمدة اسبوع أيضاً.

وفي كلا الإحتفالين توزع الأطعمة والمشروبات، وتعقد حلقات الذكر والتلاوة والأوراد.

وفي الختام نردد قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: 62].

أهم المصادر والمراجع

الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
نور الأبصار	الشبلنجي
لواقح الأنوار في طبقات الأخيار	أبي المواهب الشعراني
أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي	جمال الدين الشيّال
الطرق الصوفية في مصر	عامر النجار
مختصر طريق التصوف	علاء بكر
سيدي ابراهيم الدسوقي	موقع الصوفية (صيد الفوائد الإسلامي للدعو والإرشاد)
ابراهيم الدسوقي وغيرها	موقع ويكيبيديا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1 – صورة عامة لمسجد ومقام سيدي الدسوقي

2 – صورة للدكتور قيس في وسط الصورة قرب مسجد ومقام سيدي الدسوقي

3 – صورة لباحة المسجد الداخلية

4 – صورة من داخل المسجد
تظهر باب المرقد الشريف

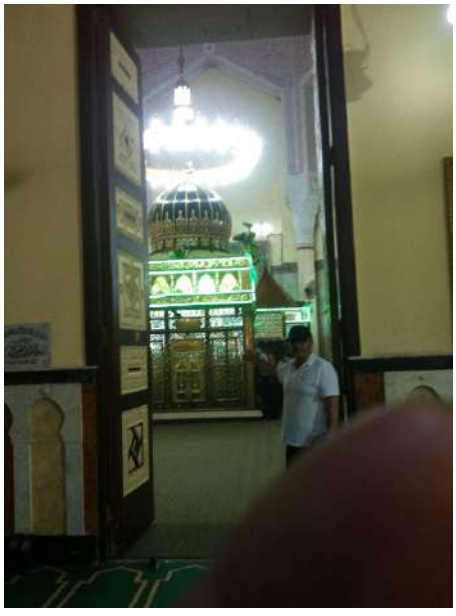

5 – صورة للدكتور قيس وهو على باب
المرقد الشريف ويشير إليه

6 – صورة للدكتور قيس إلى
جوار المرقد الشريف للدسوقي

7 – صورة أقرب للدكتور قيس إلى جوار باب مقصورة مرقد الدسوقي

8 – صورة من داخل مقصورة الدسوقي ويبدو المرقد مزيناً بأبهى الصور

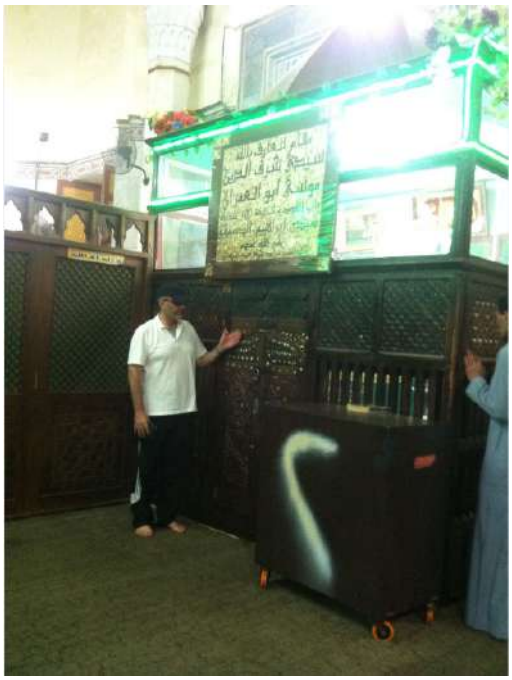

9 – صورة للدكتور قيس إلى جوار مرقد (شرف الدين موسى)
شقيق سيدي الدسوقي والذي ترأس الطريقة بعد وفاة أخيه

10 – صورة أيضاً من داخل مقصورة شرف الدين موسى والتي تبدو بأبهى حلة

المرسي (أبو العباس)

إن المرسي أبو العباس ذاع صيته واشتهر من خلال الطرق الصوفية بشكل عام، ومن خلال بعض الوسائل الإعلامية لا سيما الأفلام المصرية على اختلاف أنواعها بشكل خاص، فمن منّا لا يعرف اسم المرسي أبو العباس، أو من منّا لم يسمع به من قبل؟! حتى إن بعض الأفلام المصرية قد ورد فيها ذكره على شكل إرجوزة: «إقروا الفاتحة للعباس، لفريق الأهلي لأجدع ناس». أو ما شابه ذلك. فمن هو المرسي (أبو العباس)؟

الشيخ أبو العباس (المرسي)

هو شهاب الدين أبو العباس، أحمد بن حسن بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي.

يتصل نسبه بالصحابي سعد بن عبادة رضي الله عنه الذي كان والياً على مصر من قبل الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه عام (36 للهجرة)، فجدّه الأعلى كان قيس بن سعد بن عبادة.

ولقبه المرسي جاء نتيجة ولادته في منطقة (مرسية) في الأندلس، والذي أصبح متداولاً في مصر.

وهو عالم دين وصوفي، وأحد أبرز رجالات الصوفية في الطريقة الشاذلية.

مولده ونشأته وتحصيله العلمي

ولد (المرسي) في العام (616 للهجرة) في مدينة (مرسية) الأندلسية، وكان والده يعمل في التجارة التي كانت تدّر عليه أرباحاً، مما مكّنه من إرسال ابنه إلى معلم لتدريسه، فقام هذا المعلم بتدريسه القرآن الكريم وتفقيهه في امور الدين، وقد حفظ المرسي القرآن الكريم كله في سنة واحدة، كما درس عند غيره في الأندلس أصول الفقه والقراءة والكتابة وكل ما يرتبط بالعلوم والمعارف الإسلامية.

وعمل مع والده في التجارة، وقد خصص له والده راتباً شهرياً بدل أتعابه معه، فكان المرسي ينفق هذه الأموال التي تأتيه على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل، وكان يُبقي معه القليل.

وكان من بداياته مستغرقاً في ذكر الله، ملتزماً بالطاعة والقيام بالفرائض وأداء الأمانة، لذا اشتهر بين التجار والناس بالصدق والأمانة والعفة والنزاهة، حتى أصبح قدوة لتجار عصره في التأدب بأدب الدين الحنيف، وكان قدوة للاخرين في التمسك بالعروة الوثقى من خلال رعايته لحقوق الله سبحانه، وحبّ آل البيت رضي الله عنهم، والإحسان إلى المسلمين. وكان يصوم أياماً كثيرة من كل شهر، ويقوم الليل إلّا أقلّه، ويمسك لسانه عن اللغو واللمم ولا يتحدث إلا بما هو خير. فكانت هذه العوامل الصالحة منطلقاً له نحو التصوّف.

وفي العام (640 للهجرة) عزم والده على الحج إلى بيت الله الحرام، فأخذه معه وأخيه وأمهما، فركبوا البحر من طريق الجزائر

حتى إذا كانوا على مقربة من شواطئ تونس، هبّت ريح عاصفة أغرقت المركب بمن فيه، إلا أن عناية الله تعالى أدركت أبا العباس المرسي وأخاه، فقد نجيا من الغرق، فقصدا تونس واتخذاها داراً لهما. وهناك التقى بالشيخ أبو الحسن الشاذلي.

وعن لقائه بالشيخ الشاذلي، يقول المرسي: «لما نزلت بتونس وكنت أتيت من مرسية بالأندلس وأنا إذ ذاك شاب، سمعت بالشيخ أبا الحسن الشاذلي، فقال لي رجل: نمضي اليه، فقلت: حتى أستخير الله، فنمت تلك الليلة فرأيت كأني أصعد إلى رأس جبل، فلما علوت فوقه رأيت هناك رجلاً عليه برنس أخضر وهو جالس، وعن يمينه رجل وعن يساره رجل، فنظرت اليه فقال: عثرت على خليفة الزمان، فانتبهت من النوم. فلما كان بعد صلاة الصبح جاءني الرجل الذي دعاني إلى زيارة الشيخ، فسرت معه، فلما دخلنا عليه رأيته بالصفة التي رأيته بها فوق الجبل، فدهشت لذلك، فقال لي الشيخ: ما اسمك؟ فذكرت له إسمي ونسبي، فقال: إني انتظرك منذ عشر سنين. ومن يومها لازم المرسي الشيخ أبا الحسن الشاذلي ورحل معه إلى مصر.

ورأى الشاذلي في أبو العباس المرسي فطرة طاهرة، ونفساً خيّرة، واستعداداً طيباً للإقبال على الله سبحانه، فمنحه حبّه وغمره بعنايته، وأخذ في تربيته بشكل يمكنه من أن يكون خليفته من بعده، وقال الشاذلي يوماً للمرسي: يا أبا العباس، والله ما صحبتك إلّا لتكون انت أنا، وأنا أنت يا أبا العباس، فيك ما في الأولياء، وليس في الأولياء ما فيك.

وبذلك يكون المرسي قد تلقى علومه من الشاذلي بالإضافة إلى تلقيه العلوم الأخرى كالفقه والحديث والتفسير والمنطق والفلسفة من أبرز العلماء في تونس آنذاك.

وصحّت صحبة أبي العباس المرسي لشيخه الشاذلي، فزوجه ابنته وانجب منها ثلاثة أولاد: محمد وأحمد وابنته بهجة التي تزوجها لاحقاً الشيخ (ياقوت العرش) أحد تلاميذ المرسي المشهورين. وبعد ذلك عمد الشاذلي إلى إدخاله في الطريق الصوفي لينال تاج العلوم بحسب التعريف والمصطلح الصوفي.

وفي العام (642 للهجرة) خرج الشاذلي من تونس ومعه أبو العباس المرسي وأخوه عبد الله وخادمه أبو العزايم باتجاه مصر وتحديداً الإسكندرية.

يقول المرسي: «لما قدمنا من تونس إلى الإسكندرية، نزلنا عند عمود السواري، وكانت بنا فاقة وجوع شديدين، فبعث إلينا رجل من عدول الإسكندرية بطعام، فلما كان الصباح صلى بنا الشيخ وقال: أحضروا ذلك الطعام، فأكلنا.

واستقر الشاذلي ومن معه في الإسكندرية بحي (كوم الدكّة). أمّا الدروس العلمية والمجالس الصوفية، فقد اختار لها الشاذلي المسجد المعروف اليوم (بجامع العطارين)، وكان هذا الجامع يعرف وقتها (بالجامع الغربي)، وقد أقبل على هذه الدروس والمجالس، جمع غفير من خواص الإسكندرية وعوامها، وخاصة أن الإسكندرية كانت في ذلك الوقت حاضرة علمية معروفة.

واستمر أبو العباس مع الشاذلي يسير في ضوء تربيته وينهج طريقه لا يحيد عنه قيد الشعرة، إلى ان كانت وفاة الشاذلي عام (686 للهجرة) الذي دفن بمنطقة (حي رأس التين) بالإسكندرية، وأقام ابو العباس المرسي بعد الشاذلي مدة 43 عاماً ينشر العلم ويهذب النفوس، ويربي المريدين، وكان من أبرزهم، الإمام البوصيري، وابن عطاء الله السكندري، وياقوت العرش، وابن اللبان، والعزيز بن عبد السلام، وابن أبي شامة. . . . . وغيرهم.

وقد تولى أبو العباس مشيخة الطريقة الشاذلية بعد وفاة أبي الحسن الشاذلي، وكان عمر (المرسي) آنذاك 40 سنة، وظل يحمل لواء العلم والتصوف حتى وفاته، بعد أن سطع نجم الطريقة الشاذلية في الآفاق.

وفاته ومرقده

توفي المرسي أبو العباس في العام (686 للهجرة)، ودفن في مقبرة باب البحر، وكانت هذه التربة خاصة يدفن فيها الأولياء. وقد أقيم عام (706 للهجرة) بناءً على ضريحه حتى يتميز عن بقية القبور من حوله، فصار البناء مزاراً، ثم صار مسجداً وتم ترميمه وتوسعته مراراً حتى أخذ صورته الحالية، وهو يعد أكبر المساجد في الإسكندرية وقد قام ببنائه وزخرفته الأخيرة المهندس الإيطالي (ماريو روسي) الذي أعلن إسلامه.

ولقد تشرفنا بزيارة المسجد وضريحه في زيارتنا الأخيرة للإسكندرية ووثقنا ذلك بالصور المرفقة.

بعض من أقواله

يقول أبو العباس المرسي: أن أوقات الإنسان أربعة: النعمة، البلية، الطاعة، المعصية، ولله عليك في كل وقت منها سهم من العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية.

- فمن كان وقته النعمة فسبيله الشكر، وهو مزج القلب بالله.
- ومن كان وقته البلية فسبيله الرضا بالقضاء والصبر.
- ومن كان وقته الطاعة فسبيله شهود المنة من الله عليه، إذا هداه الله لها ودفعه للقيام بها.
- ومن كان وقته المعصية فسبيله الإستغفار.

ومن أقواله أيضاً: الأنبياء إلى أممهم عطية، ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هدية، والفرق بين العطية والهدية، ان العطية للمحتاجين والهدية للمحبوبين، لقوله ﷺ: «إنّما أنا رحمة مهداة».

وقال أيضاً: قول النبي ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»، أي لا فخر بالسيادة وإنما أفتخر بالعبودية لله سبحانه وتعالى.

الطريقة الشاذلية

اتماماً لهذا البحث لا بد من الإشارة المختصرة حول منهج الطريقة الصوفية الشاذلية، فهي تقوم على أساس الحب في مقابل طريق المجاهدة. ويشرح هذا المعنى حديث الإعرابي الذي سأل النبي ﷺ: متى الساعة؟ فأجابه ﷺ: وما أعددت لها؟، قال: ما أعددت لها كثير صوم وصلاة غير أني أحب الله ورسوله، قال ﷺ: المرء مع من أحب.

وبرأي الشاذلية: أن السائر إلى الله إذا أدى الفرائض، واجتنب المنهيات، واحب الله ورسوله، كان وصوله إلى الله أسرع ممن جاهد نفسه بالمجاهدات والرياضات والعبادات، فالحب هو جناح الطيران إلى حضرة الرحمن، وكل من المجتهد في العبادات والمحب مع إقامته الفرائض يرجى لهما الوصول، بل إن المحبين مجتهدون في عبادتهم، ففي الحديث القدسي: «من عاد لي ولياً فقد أذنته بالحرب. وما تقرّب إليّ عبدي بأحب إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب اليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينّه، ولئن استعاذني لأعيذنّه». فالمحب من فرط حبه لله يكثر من النوافل بعد إقامته للفرائض محبة في حبيبه خالصة، لا يدنس عبادته دنس رياء ولا يفسدها عجب، فهو بمحبته غائب عن حظ نفسه في العبادة بل هي خالصة لله ربّ العالمين.

لهذا تعتبر الطريقة الشاذلية مزيجاً من منهج الحب والعشق الإلهي، بالإضافة إلى منهج الذكر والأوراد والأعمال الصوفية.

وفي الختام لا يسعنا سوى ذكر قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

أهم المصادر والمراجع:

الخطط التوفيقية	علي باشا مبارك
الصوفية	عاطف سميح الزين
لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس	ابن عطاء الله السكندري
زبد خلاصة التصوف	الإمام العز بن عبد السلام
النفحة المحمدية في الحكمة الروحانية	الإمام سلام الراضي
ختم الأنبياء	الحكيم الترمذي
أبو العباس المرسي	موقع ويكيبيديا
المرسي أبو العباس	موقع المعرفة

وغيرها . . . . . .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

1 – صورة لمسجد ومقام سيدي المرسي أبو العباس في الإسكندرية

2 – صورة للقبة والمئذنة للمسجد والمقام الشريف

3 – صورة للدكتور قيس إلى جوار الجدارية التي تشير إلى اسم وصاحب المسجد والمقام

4 – صورة أقرب للدكتور قيس إلى جوار الجدارية والتي يشير إليها

5 – الدكتور قيس على مدخل مسجد ومقام المرسي أبو العباس

6 – صورة من داخل المسجد والمقام وتبدو حلقات الذكر
الخاصة بالطرق الصوفية وهم يتلون الأوراد والأذكار

7 – صورة لمقصورة مرقد ومقام المرسي أبو العباس في داخل المسجد
وإلى جانبها اللوحة الجدارية التي تتحدث عنه وتترجم له

8 – صورة للدكتور قيس إلى جوار المرقد الشريف للمرسي أبو العباس

9 – صورة أقرب للدكتور قيس بجوار المرقد الشريف

10 – قصيدة من الشعر مهداة إلى المرسي أبو العباس معلقة على المقصورة من الخارج

11 – جدارية معلقة داخل المسجد إلى جوار مرقد المرسي أبو العباس

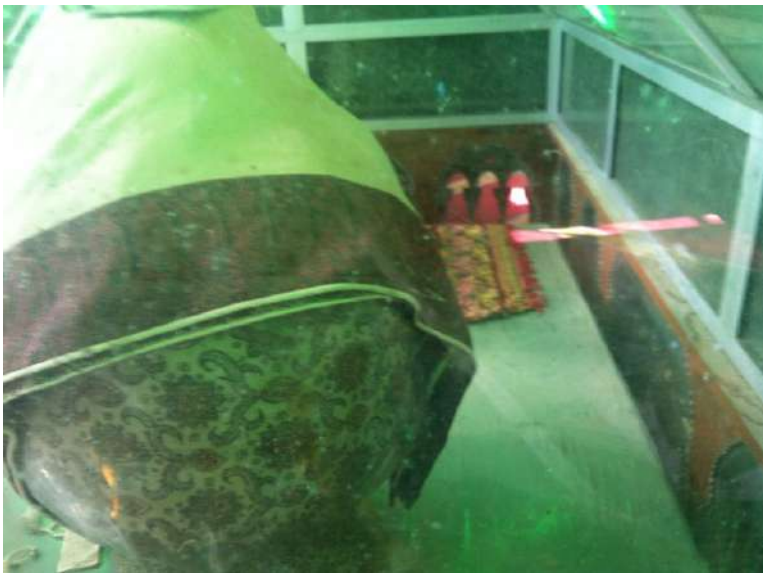

12 – صورة من داخل المقصورة ويظهر المرقد الشريف للمرسي أبو العباس

13 – صورة جانبية للمرقد ويظهر الجانب المخصص للزوار من النساء

14 – جدارية داخل المسجد تتحدث عن فضائل آل البيت عليهم السلام

15 - صورة للدكتور قيس في أحد مقاهي الإسكندرية بعد الإنتهاء من برنامج الزيارة

الفهرس

الموضوع الصفحة

قبل البداية 7
مصر وكنوزها الحضارية والإنسانية 9
محمد ابن الحنفية 21
فاطمة أُم اليتامى 53
القاسم بن محمد الطيب 71
آمنة أم الذرّية 85
يحيى الشبيهي 99
فاطمة العيناء 113
أم كلثوم بنت الحسين 123
يحيى المتوّج بالأنوار 133
السيدة نفيسة الكبرى 143
فاطمة بنت الأنور 149
مقام سيدي عقبة 155

مسجد ومرقد عمرو بن العاص 163
الإمام الشافعي 175
الإمام الليثي 189
العلّامة مرتضى الزبيدي 203
شبل أمير الجيوش 211
أبو بكر محمد ابن سيرين 223
ابن طولون 231
مشهد السبع بنات 241
محمد علي باشا 249
رابعة العدوية 267
ذو النون المصري 281
عمر ابن الفارض 291
سيدي البدوي 301
سيدي الدسوقي 313
المرسي (أبو العباس) 325